وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة الكوفة
كلية التربية للبنات

أدب المرأة
منذ ظهور الاسلام حتى نهاية القرن الأول الهجري

رسالة تقدمت بها
عتاب بسيم مشكل السوداني

الى مجلس كلية التربية للبنات في جامعة الكوفة
وهي جزء من متطلبات نيل درجة الماجستير في اللغة العربية وآدابها

بإشراف
الاستاذ الدكتور داود سلّوم

١٤٢٦هـ
٢٠٠٥م

المحتويات

الموضوع	الصفحة

التمهيد

المرأة في الجاهلية

إذا ذُكِرَتْ المرأة لابدّ وأن نرجع في ذاكرتنا الى المرأة الأولى في حياة الخلائق ومن هنا نبدأ .. فحواء هي أول امرأة في الوجود ، وهي النفس التي جعلها الله مع آدم زوجين وجعل منهما الخلائق والبشر أجمعين قال تعالى : { وَأَنَّهُ خَلَقَ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالأُنْثَى }(١) .

وهكذا عاشت المرأة الى جانب الرجل منذ عهد الإنسانية الأولى وشاركته في ميادين الحياة ، وإذا كانت المرأة الأولى قد أخذت مع الرجل الأول مكانها في الكون الواسع العجيب فإنها لم تسلم ممّا طوّقتْهُ بها الأساطير والخرافات القديمة ، فقد حاول كثير من الناس أن يسير وراء معتقدات أبتدعوها ومذاهب أعتقدوا صحتها وثباتها ، فقديماً بحثوا في هل للمرأة نفس وهل لها حقٌ في الحياة ؟ إذا ما أراد أهلها وأدها أو دفنها وهي على قيد الحياة(٢) ؟

وعلى الرغم من الأفكار والعقائد القديمة التي كان لها الأثر في حياة المرأة ومكانتها الإجتماعية إلاّ أنّ التاريخ لم يعدم ومضات قوية كشفت نبوغ عدد غير قليل من النساء في السياسة والحرب وتدبير المُلك وفي الأدب والشعر والحكمة وغيرها .

ومن الآثار الدالة على ذلك أن تعتلي المرأة عرش المُلْك فيعلو مقامها ويقوى دورها حتى توجه الرجل ذاته بعد أن كانت تابعة له يوجهها الوجهة التي يريدها ، فقد رُوِيَ أنَّ مِنهُنَّ مَنْ صِرنَ ملكات مُطاعات في الملك والرياسة ، وقد صوّر لنا القرآن الكريم عظمة الملكة بلقيس وعقلها الراجح وحسن تدبيرها واعتمادها الشورى في إدارتها للبلاد قال تعالى : { إِنِّي وَجَدتُّ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ }(٣) .

ووردت في الشعر الجاهلي إشارات تشيد وتفخر بالملكة بلقيس قال أسعد تُبّع في فخرهِ :

ولدتني من الملوك ملوكٌ   كل قَيْل متوج صنديد

---

(١) سورة النجم ، الآية :٤٥ .

(٢) ينظر المرأة وحقوق الإنسان : محمد جمال الهاشمي ، ص٢٢ ، والمرأة في أدب العصر العباسي : واجدة الأطرقجي ، ص١٧ .

(٣) سورة النمل ، الآية : ٢٣ .

ونساء متوجات كبلقيس وشَمسٍ ومن لَميسِ[1]

ومنهن أيضاً زنوبيا ملكة تدمر التي بسطت رقعة مملكتها حتى آسيا الصغرى وبلاد النهرين ومصر ((وبلغت من العِزّة درجة ضُرِبَ بها المثل فقالت العرب أعزُّ من الزبّاء))[2] .

وقد أختلفت الآراء في حال المرأة العربية في العصر الجاهلي إلاّ أنَّ المصادر تدل بصراحة على أن هناك شخصياتٌ نسائية تجلّت أسمائهن في مُختلف المجالات سواء في القدرات الأدبية والعقلية أو في الفضائل الخُلُقية كالكرم والشجاعة والعِفّة والأنَفة ، ففي كتب الأدب أخبارٌ تدل على ألتزام المرأة بعِزّة النفس واتصافها بالعِفّة والأنفة وذلك ما روي عن عفيرة الجديسية بنت عفار وقيل يعفر وقيل عبار التي يُقال لها الشموس حين زُفَّتْ أنطلق بها قومها الى عمليق ملك طسم والقيان يغنين ليدخل بها قبل زوجها-وكان عمليق قد فرض ذلك على بنات جديس - وحين خرجت شقّت درعها من قبل ومن دبر وأخذت تحرض قومها قائلة :

أيجمل مايؤتى الى فتياتكم وأنتم رجال فيكم عدد النملِ

وتصبح تمشي في الدماءِ عفيرة جهاراً وزُفّت بالنساءِ الى بعلِ

ولو أننا كُنّا رجالاً وكنتم نساءً لكُنّا لانقرّ لذا الفعلِ

فموتوا كراماً أو أميتوا عدوّكم ودُبُّوا لنار الحربِ بالحطبِ

فللبين خيرٌ من مقامٍ على الأذى وللموتِ خيرٌ من مقامٍ على الذلّ

وإنْ أنتم لم تغضبوا بعد هذهِ فكونوا نساءً لاتغيبُ عن [3]

وقيل لـمّا سمع أخوها قولها وكان سيداً مُطاعاً تآمر مع أفراد عشيرتهِ على تدبير حيلةٍ لقتلِ عمليق ورهطهِ ، حتى قتلهُ ، واستطاعت تلك المرأة العربية أستنهاض الهِمَمْ بحثّها وتحريضَها ، وفي كتب التراث أخبارٌ كثيرةٌ كشفتْ عمّا كان للمرأةِ العربية من الأثرِ البليغ في حياة الشعب العربي ، وكان من عظيم أثرها وقدرها في النفوس أنّها كانت تُجيُر مَنْ استجار بها وتحميه ، فقد روي عن سُبيَعة بنت عبد شمس ذكرٌ في حرب الفُجّار ، وهي أُخت أُميّة بن عبد شمس وعمّة حرب بن أُميّة وزوجة مسعود بن مالك الثقفي الذي جعل خباء زوجتَهُ سُبيعة بنت عبد شمس حرماً في حرب الفجار وقال لها من دخلَهُ من قُريش فهو آمن . فجعلت سُبَيعة توصل في خبائها القطعة بعد القطعة ليتسع . فقال لها زوجُها : لايتجاوزني خباؤكِ فإني لاأُمْضي إلاّ مَنْ أحاطَ بهِ الخِباءُ . فأحْفَظها

(١) المرأة في الشعر الجاهلي : الحوفي ، ص٥٢٧ .
(٢) المرأة في الشعر الجاهلي : علي الهاشمي ، ص٥٦ .
(٣) الدر المنثور : زينب العاملي ، ص٥٣٠ .

فقالت لهُ : أمَا واللهِ إنّي لأظُنُّ أنّكَ سَتودُّ أنْ لو زِدتُ في تَوْسعتهِ . فلّما التقى الفريقان إنهزمت قيس وكان زوجها معهم . فدخلوا خباءَ سُبَيعة مستجيرين بها .فأجار لها حربُ أُميّة جيرانها وقال لها : ياعَمَّةُ منْ تمسّكَ بأطناب خبائَكِ أو دارَ حولهُ فهو آمن . فنادت بذلك . وأمرت أولادها وهم غلمان أن يدوروا بقيس ويأخذوا بأيديهم الى خبائها ليُجيروهم فاستدارت قيس بخبائها حتى كثروا جداً . فلم يبقَ أحَد لانجاةَ عندهُ إلاّ دار بخبائها حتى صاروا حلقةً[١] . وقيل لذلك الموضعَ مدارَ قيسْ وكان يُضربُ به المثل في الجاهلية ، وتُعَيّر قيسُ بمدارهم يومئذٍ بخباءِ سُبَيعة .

كما روي عن فكيهة بنت قتادة بن مشنوء خالة طرفة بن العبد أن السليك بن السلكة قد استجار بها فقامت دونه حتى نجا فقال[٢] فيها :

لعمر أبيك والأنباء تنمي   لنعم الجار أخت بني
من الخفراتِ لم تفضح   ولُم ترفع لإخوتها شَنارا
كأن مجامع الأرداف منها   نقّاً درجت عليه الريح
يُعافُ وصال ذات البذل   ويَتبّع الممنّعة النَّوارا
وماعجزت فكيهة يوم   بنصل السيف واستلبوا

إنّ مابلغت إليهِ المرأة العربية في هذه الروايات من الفضائل الخلقية في الوفاء والشهامة والأصالة ، لم يكن عفوياً فقد أتاها ذلك من عراقة المنبت ورجاحة العقل والفكر ، شأنها شأن الكثير من العربيات اللواتي ضُربَ بهن المثل في الكرم والشجاعة وكبر النفس والعفة ، فضلاً عن قدراتهن الأدبية والعقلية ، وهناك مايدل دلالة واضحة على أن بعض النساء في الجاهلية كن ذوات شأن وإردة وصاحبات أنفة ورأي وحزم ، حيث كان لهن أن يرفضن الرجال إن لم يجدن في أنفسهن رغبة إليهم ولاسيما بنات الأشراف لذا فإن بعضاً منهن يشترطن في الزواج أن يكون أمرهن بأيديهن ومنهن سلمى بنت عمرو بن زيد إحدى نساء بني عدي بن النجار ، فإنها كانت امرأة شريفة لاتتزوج الرجال إلاّ وأمرها بيدها ، إن شاءت أقامت مع زوجها وان شاءت تركته[٣] .

ومن النساء اللواتي ضُربَ بهن المثل في العِزّةِ والمنعة (أم قِرْفَة) زوجة مالك بن حذيفة بن بدر فقالوا : أعزُّ من أم قِرْفَة وأمنع من أم قِرْفة . وذلك انَّهُ كان يُعلّقُ في بيتها خمسون سيفاً لخمسين فارساً كلها لها محرم[٤] .

---

(١) ينظرالأغاني ، ٧٢/٢٢ .
(٢) المصدر نفسه ، ٣٩٧/٢٠ .
(٣) ينظر المحبّر : محمد بن حبيب البغدادي ، ص٣٩٨. وينظر العصر الجاهلي : شوقي ضيف ، ص٧٢ .
(٤) ينظرالعقد الفريد ، ٧١/٣ .

وقد خلف التاريخ آثاراً أدبية صوّرت براعة النساء اللواتي طرقن أبواباً عديدة في المجال الأدبي حيث كانت المرأة في الجاهلية راويةً للشعر أمثال الفارعة بنت أبي الصلت أُخت أُمية بن أبي الصلت الشاعر المعروف ، وكذلك ابنة الأعشى وليلى ابنة حسان بن ثابت وعائشة بنت أبي بكر الصديق زوجة الرسول (ﷺ) التي كانت تجيد رواية الحديث ، ولم يغفل التاريخ ماكان للمرأة من مواقفَ أدبيةٍ في النقد ، وكانت ناهجة هذا الفن أمُّ جندب التي احتكم اليها أميرا الشعر في عهدها زوجها امرؤ القيس صاحب المعلقة المشهورة (قفا نبك ...) وعلقمة الفحل في قصيدتيهما ، وقد فضلت قصيدة علقمة على قصيدة زوجها امرىء القيس مما أغضب بنقدها هذا زوجها فطلقها فخلفه عليها علقمة الفحل[1] .

أما في قول الشعر فقد نبغ من النساء عددٌ من الشواعر المجيدات ، إلاّ أنّ الأزمان أضاعت الكثير من أشعارهن إلاّ ماورد عرضاً في بعض الأخبار لبعد عهد الشواعر من الرواة الأولين .

وممن اشتهرن بقول الشعر قديماً ليلى بنت لكيز بن مرة الملقبة بليلى العفيفة[2] ، والخرنق[3] بنت بدر أخت طرفة بن العبد لأمِّه ، ومن السابقات أيضاً أمُّ الأغرّ[4] بنت ربيعة إحدى أخوات كليب وائل التغلبي .

وإذا أمعنا النظر في أشعار شواعر الجاهلية وجدناها في الغالب تكاد تنحصر في فنون محدودة كالرثاء ووصف الأحزان ، فتزامن ظهورها في وقت الأزمات العصبية والحروب العنيفة التي كانت تدور رحاها في الجزيرة العربية . ففي حرب البسوس ظهر عددٌ من الشواعر منهن من شريفات بكر وتغلب ، أُمامة بنت كليب[5] ، وأسماء أخت كليب التغلبية[6] ، وجليلة[7] بنت مرة أخت جسّاس التي يلفت النظر شعرها الرائع المؤثر .

ومما يجدر ذكره إنّ عدم التسرع في ابداء الرأي والقطع فيه ، وعدم الملامة في أمر فظيع قد وقع تطرقت إليه شاعراتنا بل قد أبدين الأسف والأسى في ذلك وغدن متلوعات من المصاب الذي ألمَّ بهن وبأفراد قومهن ، فحين قتل جسّاس بن مرّة البكري كليب بن وائل التغلبي في حرب البسوس ، وكانت جليلة أُخت جسّاس زوجاً لكليب ، أجتمع نساء الحي للمأتم فقلن لأخت كليب : رحّلي جليلة عن مأتمِك ، فإن قيامها فيه شماتةٌ وعارٌ علينا عند

---

(١) ينظر الأغاني ، ٨/٢٠٣-٢٠٤ . وينظر أدب النساء في الجاهلية والإسلام : محمد بدر معبدي ، ص١٤ .
(٢) الأعلام : للزركلي ، ٦/١١٧ .
(٣) الأعلام ، ٢/٣٤٧-٣٤٨ .
(٤) مراثي شواعر العرب ، ص٣ .
(٥) معجم النساء الشاعرات : عبد مهنا ، ص١٩ ، وينظر مراثي شواعر االعرب ، ص٦ .
(٦) المصدر نفسه ، ص١٥ ، وينظر مراثي شواعر العرب ، ص٧ - ١١ .
(٧) الأعلام ، ٢/١٣٠ .

العرب .

فطردتها أُخت كليب من المأتم بين وسط النساء قائلةً لها : ياهذهِ أُخرجي عن مأتِمنا فأنتِ أُختُ واتِرنا وشقيقة قاتِلنا . فخرجت جليلة تجر أعطافها الى ديار أبيها ، فقالت لها أُخت كليب : رِحْلةُ المعتدي وفِراقُ الشامت ، ويلٌ غداً لآل مُرّة ، من الكرّةِ بعد الكرّة .

فقالت جليلة : وكيف تَشمتُ الحُرّةُ بهتكِ سِترها وترقبُ وترها ، ثم أنشأت تقول :

يا ابنة الأقوامِ اِنْ لُمْتِ فَلاَ   تَعْجَلِي باللّوْمِ حتّى تَسْألي

فإذا أنْتِ تَبيّنْتِ الّذِي   يُوجِبُ اللوْمَ فلُومِي واعذِلِي

إنْ تكُنْ اُخْتُ امريءٍ ليمَتْ على   شَفَقٍ منْها عليْهِ فافْعَلي

جَلّ عِنْدِي فِعْلُ جَسّاسٍ فيَا   حَسرَتِي عَمّا انجلى أوْ ينجلِي

فِعْلُ جَسّاسٍ على وَجْدِي بهِ   قاطعٌ ظهْري ومُدنٍ أجَلِي

لَوْ بِعيْنٍ فُدّيَتْ عينٌ سِوَى   أُخْتِهَا فانفَقَأتْ لم أحْفَلِ

تَحْمِلُ العَينُ أذى العَيْنِ كمَا   تَحْمِلُ الأمُّ أذَى ماتَقْتَلِي[1]

فالشاعرة هنا استطاعت أن تصوّر عواطفها الملتاعة وقلبها الحزين إثر فقدها زوجها كليباً حين قتله أخوها جسّاس ، فتقول أن ماصنعهُ جسّاس مع مافي قلبها لهُ من الحب قد قصم ظهرها وأذاقها كأس الموت وأنها لو استطاعت أن تُفدي كليباً بحياتها لفعلتْ ، وقيل أن جليلة أبكت بشعرها هذا جميع رجال الحي ونسائه ، لما أظهرتهُ من اللفظ الشجي وشدة الجزع ولما أثارته من الفجيعة وعمق المصيبة ، ونلمُس هذهِ اللوعة والحزن نفسهما في أبيات (سليمى بنت المهلهل) أُخت كليب التي رثت أباها المهلهل عندما قتلهُ غلامان من عبيدهِ فقالت :

أعينيّ جُوَدا بالدموعِ السوافحِ   على فارس الفُرسانِ في كلِّ

أعينيّ إن تفنى الدموع فاوكفا   دماً بار فضامنٍ عند نوح النوائحِ

ألا تبكيان المرتجى عند مشهدٍ   يُثير مع الفرسانِ نقع الأباطح

عدّياً أخا المعروف في كل شتوةٍ   وفارسها المرهوبَ عند [2]

وفي حرب داحس والغبراء كذلك ظهرت بعض الشواعر منهن أُمُّ قِرفَة

---

(١) العمدة : لابن رشيق القيرواني ، ٢/١٥٣-١٥٤ ، وينظر الدر المنثور ، ص١٣٥ ، وينظر أيام العرب في الجاهلية ، ص١٤٨ .

(٢) مراثي شواعر العرب : لويس شيخو ، ص١٨ ، وينظر معجم النساء الشاعرات : عبد مهنا ، ص١٣٤ .

الفزارية زوجة حذيفة بن بدر الفزاري التي قالت ترثي ابنها بعد أن قتلهُ قيس بن زهير وكان أول من قُتِلَ في حرب داحس ، وتُعيّر حذيفة زوجها لقبوله الديّة :

حُذيفَةَ لاسَلِمتَ من ... ولاوُقّيتَ شرّ النائبَاتِ
أيُقْتَلُ قِرفَةٌ قيسٌ وترضَى ... بإنعامٍ ونوقٍ سارحَاتِ
أما تخَشَى إذا قال ... حُذيفَةٌ قلْبُهُ قلبُ البنَاتِ
فَخُذْ ثأراً بأطرافَ ... وبالبيضِ الحِدادِ

فهي تُعيَّر زوجها وتثير فيه الحميّة للوقوف بوجه من قتل ولدها والأخذ بثأره ، ثم تستدرك قولها بأنهِ إنْ لم يفعل ذلك فلترمها نوائب الدهر وليأخذها الموت سريعاً بأن تقضي ليلها ونهارها بالدموع والأحزان .

وإلاّ خَلّنِي أبكي نهاري ... وليلي بالدموع الجارياتِ
لعل منيّتي تأتي سريعاً ... وترميني سِهَام [1]

وقيل أنّ حذيفة لـَمّا سمع بهذهِ الأبيات ثارت فيه الحميّة فعاد الى الحرب وطلب الثأر وهذا إنْ دلّ على شيء فهو يدل على ماتحملهُ أشعار النساء من الأسلوب المؤثر المتمكن في النفوس الذي لايسكت عليه الرجل وإنْ كان حليماً غزير العقل ، يدفعهن في ذلك حبهن وإخلاصهن للحفاظ على شرف القبيلة وكرامتها ، فالمرأة شريكة الرجل تستثير فيه روح الفضائل والمكارم ومساعدة لهُ بكل ماأوتيت من قوة وذكاء[2] .

ومن الشواعر اللائي ظهرت في يوم شعب جبلة دختنوس بنت لقيط بن زرارة التي قالت ترثي أباها لقيط لـَمّا أخذت بنو عبس تضربه بعد موته :

ألا يالهَا الويلات ويلة مَنْ بَكَى ... لِضربِ بني عبسٍ لقيطاً وقد
لقد ضربوا وجهاً عليه مهابةٌ ... ولاتحفل الصُمُّ الجنادلُ مَنْ [3]

وفي واقعة عين أباغ قُتِلَ فروة وقيس أبنا مسعود بن عامر ، فقالت ابنة فروة ترثي أباها :

وقالوا ماجِداً مِنكُمْ قتَلنَا ... كذاكَ الرُّمحُ يكْلَفُ
بَعيْنِ أباغَ قاسَمْنا المنَايا ... فكَانَ قَسيمُها خَيْرَ [4]

---

(١) مراثي شواعر العرب ، ص٣٩-٤٠ .
(٢) ينظر المرأة في الشعر الجاهلي : علي الهاشمي ، ص٦٦ .
(٣) أيام العرب في الجاهلية : محمد أحمد جاد المولى ، علي محمد البجاوي ، محمد أبو الفضل إبراهيم ، ص٣٦١.
(٤) ديوان الحماسة : لأبي تمام ، ص٢٤٧ . وينظر رياض الأدب في مراثي شواعر العرب ، ص٥٦-٥٧ .

ولأن البكاء والنواح مما أختصت به النساء كثر الرثاء في أشعارهن حتى طغى على سائر الفنون الأُخرى ، ولكنه لايكاد يخلو من موضوعات أُخرى وإنْ كانت قليلة نسبياً كفن العتاب واللوم والأثارة على الحرب والهجاء وحتى الغزل رغم حرص العربية على كتمانِهِ وعدم إذاعته وليس معنى ذلك أنها لاتحب أو لاتتعشق وإنما يعود ذلك الى طبيعتها الأجتماعية في التمسك بالحشمة والأبتعاد عن الإسفاف والإبتذال ونذكر من الشواعر في فن الغزل ضاحية الهلالية حيث وصفت لوعة فراق المحب وقيل يدعى ((حبيب)) :

وماوجدتُ مسجونٍ بصنعاءَ بساقيهِ من حبس الأمير كبُولُ
ومأْلَيلُ مولىً مُسلمٍ بجزيرةٍ لَهُ بعد مانامَ العيونُ عويلُ
بِأكثرَ مني لوعةَ يومَ راعني فراقُ حبيبٍ ما إليهِ سبيلُ(١)

ومن الغزل النسوي قول خلَيْبة الخُضَرَيّة في ابن عمٍّ لها كانت تهواهُ فَعلمَ بذلك قَومُها فحجبوها فقالت :

لهجرك لـمّا أن هجرتك أصبحت بنا شمتاً تلك العيون الكواشحُ
فلا يفرح الواشون بالهجرِ وربّما أطال المحبُّ الهجرَ والجيب
وتغدو النوى بين المحبّين مَع القُلبِ مطويٍ عليهِ الجوانحُ(٢)

وهكذا شقت المرأةُ لها طريقاً في الحياة العربية سجل فيه الأدبُ لها مواقفَ بارعةً في حسن الجواب وبلاغة القول وسرعة البديهة ، واتخذت لها نهجاً قويماً في الدور والمكانة الشعرية .

أما الشاعر الجاهلي فإنه لم يهمل صورة المرأة ومنحها نصيباً كبيراً في شعره ، فقد تغنّى الشاعر العربي بمحاسن المرأة منذ أقدم العصور ، ووصفها أُمّاً وزوجة وفتاة وأمه من الأماء إلاّ أنّ أكثر شعره ، كان يتحدث عن المرأة المحبوبة ، أشاد بمفاتنها ووصف حركاتها وسكناتها وفي حلّها وترحالها ، وبكاها أحر البكاء عند فراقها ووقف عند ديارها يتشوّقُ إليها ويحنُّ لساكنيها ، وافتن في رسم أروع الصور ليعبّر بها عن عواطفهِ ، بأعذب الألفاظ ، مسترفداً خياله الواسع سعة الصحراء .

ووفاقاً لطبيعة حياة الجاهلي وتقاليدهُ التي ورثها عن أسلافهِ في نظرتهِ للمرأة نظرةً ماديةً بحتةً ، فيصف وجهها وعينيها وشعرها وجيدها ... فقد جاء شعره يكاد لايجاوز أبعاد أُنوثتها المادية أو المحسوسة(٣) .

وفي رحلتنا مع المرأة في الشعر العربي تطالعنا صور امرىء القيس لها كما أرادها

---

(١) بلاغات النساء : لابن طيفور ، ص٢١٩ . وينظر غزل النساء : عيسى سابا ، ص١٢ .
(٢) المصدر نفسه ، ص٢١٧ . وينظر معجم النساء الشاعرات : عبد مهنا ، ص٧٤ .
(٣) ينظر المرأة بين المادية والوجدان في الشعر العربي : غالب الناهي ، ص٨-٩ .

العربي آنذاك :

مُهَفْهَفَةٌ بَيْضاءُ غيرُ مُفاضَةٍ ترائبُها مَصْقولةٌ كالسَّجَنجَلِ
كبِكْرِ المُقاناةِ البيَاضِ بصُفْرَةٍ غذاها نَميرُ الماءِ غيرُ المُحَلَّلِ
تصُدّ وتُبْدي عن أسيلٍ وتَتّقي بناظِرةٍ من وَحش وَجْرَةَ مُطفِلِ
وجيدٍ كجيدِ الرِّئم ليسَ بفاحشٍ إذا هيَ نَصّتْهُ ولا بمُعَطّلِ
وَفَرْعٍ يَزينُ المَتنَ أسْودَ فاحِمٍ أثيثٍ كقِنْوِ النّخلةِ المُتَعثِكلِ[١]

وقد تمثلها طرفة بن العبد تمثلاً كاملاً ، فقال في وجهها :

وَوَجهٌ كأنّ الشَمسَ حَلّتْ رداءَها عَلَيْهِ نَقِيُّ اللّونِ لم يَتخَدّدِ[٢]

وقال في ثغرها وأسنانها :

بادِنٌ تجْلو إذا ما ابتَسَمَتْ عن شتيتٍ كأقاحِي الرّمْلِ غُرْ
بدّلَتْهُ الشمْسُ منْ مَنْبتهِ بَرَداً أبْيَضَ مَصْقُولَ الأشُرْ
وإذا تَضْحَكُ تُبْدِي حَبَباً كرُضابِ المِسْكِ بالماءِ [illegible][٣]

وبذلك فقد فازت الحبيبة بنصيبٍ كبيرٍ من الأهتمام ، فالعربي ينأى عن ذكر المرأة -غالباً - إلاّ المحبوبة ، يصفها ويتشوق إليها ، ويعرض لمغامراته معها وينظم ذلك كلُّهُ نشيداً يزين به صدر قصائده ، ليثبت لنفسهِ ذاتية ، أو يُضيف بُعداً ، وربما كانت بسبب حياة المعارك والنضال المستمرين في حياةٍ ملؤها الشظف والقسوة فلا يجد العربي فيها من سلوان غير المرأة لينعم بها .

وحديث الرجل مع المرأة في شؤون القلب وعرض المحاولات العاطفية بينهما أو مايطلق عليه بالنسيب أو التشبيب أو الغزل ، فقد تنوع في الجاهلية ليتخذ طابع التكريم والتقدير مرة والتبذل والمجون أُخرى ، ويتنوع هذا بتنوع طبائع البشر ، فجاء منه العفيف النزيه ، ومنه الماجن الخليع ، ثم فيه الشريف في لفظه ومعناه ، ومنه المتبذل الرخيص ولكل لون مدرسة وشعراء ينتمون إليه[٤] .

إلاّ أنّ الحب الذي أوقدته المرأة في نفس الشاعر الجاهلي غالباً ماكان حباً صادقاً طاهراً وعميقاً ، وبلغ في أحيانٍ كثيرة القمة في التأثير ، وكانت عاقبته

---

(١) ديوان امرئ القيس ، شرحه وضبط نصوصه : عمر فاروق الطباع ، ص١٠٣-١٠٤ .
المهفهفة : اللطيفة الخصر الضامرة البطن ، المفاضة : المرأة العظيمة البطن المسترخية اللحم ، المقاناة : الخلط . الأسالة : أمتداد وطول في الخد ، وجرة : موضع المطفل التي لها طفل ، الرئم : الظبي الأبيض الخالص البياض .
(٢) ديوان طرفة بن العبد ، ص٩ .
(٣) ديوان طرفة بن العبد ، ص٥١ . الخَصِر : البارد ، يقول ريقها عذب بارد ، طيب الرائحة كالمسك .
(٤) ينظر الغزل في العصر الجاهلي : أحمد محمد الحوفي ، ص١٦٤-٣١١ .

التضحية الغالية أو الموت في سبيله ، فكان ذلك جزءاً من القيم الروحية عند العرب .

وماكان من صفات الحبيبة التي ردَّدها الشعراء كثيراً هي العفّة والحشمة والحياء ، وهي من أكرم صفات الأنوثة وأبلغها في سحر قلب المحُب ، قال امرؤ القيس :

مِنَ القَاصرَاتِ الطَّرفِ لو دَبَّ مُحْوِلٌ   مِنَ الذُّرّ فَوْقَ الإتْبِ مِنْها لأثرَا[1]

ومن أمارات الحشمة (الحجاب المعتدل) ، قال النابغة :

صَفَحْتُ بنَظرةٍ ، فرأيتُ منها   تُحيْتَ الخدْرِ ، واضعَة القِرامِ

تَرائِبَ يَسْتَضِيءُ الحَلْيُ فيها   كجمرِ النَّارِ بُذّرَ بالظّلامِ[2]

وهكذا تحصّنت الحبيبة بأثواب الكرامة فألهبت قلب المحُب وبعثت في نفسهِ الشجاعة والفروسية .

أما الزوجة فإن حَظَّها من الشعر الجاهلي يلي حظ الحبيبة ، فهو يصوّر التأثير البعيد الذي كان للزوجة في نفس زوجها ووجدانه ، لِما كان لها من المنزلة الأجتماعية والمكانة الكبيرة في حياة الأسرة .

ولأن الشعر ميدانٌ فسيح للتعبير ، أخذ الشاعر الجاهلي يصوّر الحياة تصويراً طبيعياً أظهر فيه الزوجة بصورة تامة وواضحة بما تنعم به من الصفات الخُلُقية الكريمة كحفظها سر زوجها في غيابه ، وحرصها أشد الحرص على سلامته وحفظ ماله كما أظهرها تهتم بالمحافظة على بيتها وتتَّسِم بالأخلاص والعفّة والحياء .

ومن الصور الكريمة للزوجة ماتُبديه من الحِشمةِ والحياء فتُرضي سيرتها زوجها وجيرانها ، قال أحدهم :

هيفاء فيها إذا استقبلتها صلفُ   عيطاء غامِضة الكعبين معطارُ

خود من الخفرات البيض لم يرها   بساحة الدار لابعلٌ ولاجارُ[3]

ومن الصفات الخلقية للزوجة والتي أكثر الشعراء من ترديدها ، حفظها سر زوجها في غيابه وأخلاصها لهُ ، قال علقمة :

مُنَعّمَةٌ مايُستَطَاعُ كلامُهَا   على بَابهَا مِنْ أنْ تُزار رَقِيبُ

إذَا غَابَ عنها البَعلُ لم تُفش سِرّهُ   وتُرضِي إيابَ البعلِ حين يَؤُوبُ[4]

---

(١) ديوان امرىء القيس ، ص٤٨ . الإتب : قميص غير مخيط الجانبين .
(٢) ديوان النابغة الذبياني، ص١٣٦-١٣٧ . القِرام : ستر أحمر وقيل ثوب ملون رقيق .
(٣) المستطرف في كل فن مستظرف : للأبشيهي ، ٢/٢٥٥.
(٤) شرح ديوان عُلقمة الفحل ، ص٩-١٠ .

إلاّ أنّ هذا التمازح الروحي بين الزوجة وزوجها في مختلف الميادين لايعدم وجود التباين في الرأي والأختلاف أحياناً .

وهذا مالمسناه في بعض الصور التي عكست رأي الشاعر الجاهلي في الزوجة ، فهي تعذل زوجها وتلومه ، وتميل حيث الشباب والمال وتنفر حيث العجز والفقر ، ومن هنا أنتشر الحديث عن الشباب في الشعر الجاهلي فالشباب مرتبط بالحياة واللذة والمقدرة ، أمّا الشيخوخة فهي ترتبط بالموت والهوان والعجز لذا يتشبث الجاهلي بالشباب ويتمسك بالقوة ، فهي نغمة عزفوا عليها قولهم ، وتغنوا بها ، قال أبو عمرو بن العلاء : أعلم الناس بالنساء علقمة بن عبد حيث يقول :

فإنْ تَسألُونِي بالنّساءِ فإنَّني   خَبيرٌ بأدْوَاءِ النّساءِ طَبِيبُ
إذا شَابَ رأسُ المرءِ أوْ قَلّ مَالُهُ   فلَيسَ لَهُ مِنْ وُدّهِنَّ نَصَيبُ
يُرِدْنَ ثَرَاءَ المالِ حَيثُ عَلمْنَهُ   وشَرْخُ الشَّبَابِ عِندَهُنّ عجَيبُ[١]

وعلى الرغم من هذا فإننا نجد الكثير من النماذج الشعرية التي عالجت حالة الأضطراب هذه لصالح الزوجة ، وتدلُّ على أنّ العلاقة بين الزوجين كانت قوية محكمة الربط وكانت الزوجة تتمتع بمنزلةٍ عاليةٍ ، فهي تلوم وتعاتب لتعمل على إداء واجبها الأجتماعي في تنظيم حياة الأسرة وتقويم ماعوّج منها ، وحرصاً على سلامة زوجها وحفظ مالِهِ لأن ((العربيات كُنَّ يسعين لتنظيم الناحية المادية من تصرفات أزواجهن كما كُنَّ يلاحظن الناحية المعنوية في نفوسهم فينهينم عن المغالاةِ في المخاطر))[٢] .

فالزوجة شريكة لزوجها في حربه وسلمه ، إليها يلجأ عند الشدائد وبها يستعين على قهر المصاعب ، والدفاع عن الزوجة واجبٌ مقدس وسنّةٌ يتسابق لتطبيقها الأزواج غيرة منهم على نسائهم وحباً لهن ، ويُقال نحو ذلك في غيرة الأزواج على العرض ، فالغيرة هي من مستلزمات العِفّة والأنفة عند العربي ، يعظم عليه أنْ يحتمل مايمس عرض زوجته أو يشين ذكرها من قولٍ أو فعلٍ ، وتزداد غيرته عليها إذا كانت وحيدة لم يُحِبّ سواها[٣] .

وترتبط منزلة الزوجة في بيت زوجها الى حدٍ كبير بمنزلة أهلها وقوتهم بين القبائل كما إنها تتوقف على شخصية الزوجة نفسها ومقدار ماتتمتع به من محاسن وجاذبية ، ولأنها كانت متزوجة بين أهلها وتحت حمايتهم ، فإننا نجد أنّ بعض النساء في الجاهلية كُنَّ يطلقن الرجال دون حاجة الى مصارحة الرجل بذلك ، بل

---

(١) المصدر نفسه ، ص١١ .
(٢) المرأة في الشعر الجاهلي : علي الهاشمي ، ص١٥١ .
(٣) ينظر تاريخ التمدن الإسلامي : جرجي زيدان ، ٥/ ٥٧٨.

بتحويل أبواب أخبيتهن فقط ، فاذا رأى ذلك الرجل عَلم أنّها قد طلّقتْه فلم يأتها[١] .

ورغم مالاحظناه من رُقِي منزلة المرأة في الأسرة وفي البيئة الأِجتماعية ، إلاّ أنّ حريّة الرجل المطلقة في تعدد الزوجات وسيادته التي تضيق أمامها حريّة المرأة نظراً لأختلاف أنواع الزواج آنذاك وتنوع أحكام كلاً منها تؤدي الى حالة من الأِضطراب وعدم التوازن في تقويم منزلة المرأة في الجاهلية .

وهذا هو السر في حديثه (ﷺ) ((واستوصوا بالنساء خيراً ، فإنُهنَّ عندكم عَوَان لايَمْلِكْنَ لأنُفسِهنّ شيئاً))[٢] .

((وظاهرة فقدانهن السيادة هي التي حملت كثيراً من المؤلفين الأوربيين والشرفيين على أن يحسبوا أنّ النساء اصبحن بعد ذلك كالخادمات في بلاد العرب))[٣] .

يضاف الى هذا مانعرفهُ عن بُغض بعضٍ من قبائل العرب وكرههم لولادة البنات حتى لقد كانوا يستترون عند ولادتها حياءً من القوم وكأنهم أقترفوا ذنباً وارتكبوا عاراً ، قال تعالى { وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِالأُنثَى ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ يَتَوَارَى مِنْ الْقَوْمِ مِنْ سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ أَيُمْسِكُهُ عَلَى هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ أَلاَ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ }[٤] .

أي أنّ مَنْ يُبَشَّر مِنهُم بالأنثى يسودّ وجَههُ ويبتعد عن الناس فيُسائِل نفسه أيحتمل مذلّتها ومؤنتها ويُبقي عليها أم يدسّها في التراب ويدفنها لئلا ترتكب مايجر عليه بالعار .

وهذا ماحمل القرآن على أن ينبذ سخفهم وسوء حكمهم فسجّل ذلك في مواضع شتى من آياته .

وهناك الكثير من الأسباب والعوامل منها الدينية ومنها الأجتماعية والأقتصادية أدّت الى نشوء ظاهرة وأد البنات في بعض القبائل .

((وقد ذكر المؤرخون والمفسرون أنّ من أسباب الوأد الغيرة على البنات أنْ يُسبينَ أو يزوجن بغير أكفّاء))[٥] .

وهذا مرتبط بغيرة العربي في الجاهلية على العِرض والشرف اللذين هما أهم مايتمسك به العربي الى يومنا هذا ، ولو استعرضنا الأسباب التي يعود إليها الوأد في الجاهلية لوجدنا أنّ السبب الرئيس هو الفقر والحاجة في أكثر الأحوال ، وهو السبب الذي ذكره القرآن في أكثر من موطن[٦] .

فقد كان الآباء يعدون رعاية الأناث في بيئة فقيرة محتاجة عبأ على عاتقهم ،

---

(١) ينظر الأغاني ، ٣٨٥/١٧ . والمستطرف في كل فن مستظرف : للابشيهي ، ١٦٩/١ .
(٢) سيرة ابن هشام ، ٦٠٤/٤ ، عوان : جمع عانية ، وهي الأسيرة .
(٣) المرأة في الشعر الجاهلي : علي الهاشمي ، ص١٦٧-١٦٨ .
(٤) سورة النحل ، الآية : ٥٨-٥٩ .
(٥) المرأة في الشعر الجاهلي : للحوفي ، ص٢٩٤ .
(٦) القرآن الكريم ١٥١/٦ ، ٣١/١٧ ، ٣٣ .

لأنهن يأخذن ولايعطين وينفقن ولايكسبن ، وعلى الرغم من ذلك فلم تكن هذه الظاهرة مقصورة على الطبقات الفقيرة إذ أنّها توجد بين الأُسَر الممتازة ، فقد روى صاحب الأغاني أنّ ليلى بنت مهلهل التغلبي ، وهي أُمُّ عمرو بن كلثوم ، كان أبوها قد أمر بها أن تُدفَن ولكن أُمها أخفتها عنه فخلصتها من الوأد[1] .

ولأن الوأد كان في بعض القبائل وإنّهُ لم يحصل إلاّ لأسباب وعوامل خاصة ، فلم تكن البنت لتُحَرم من محبة أبيها وعطفه عليها ، وهذا مانلمسه بصورة واضحة في الشعر الجاهلي ، فالأعشى مثلاً يعرض لموقفِ ابنته منه حين همَّ بالرحيل وكيف بيّنت لَهُ الأسباب التي تدفعها الى طلب بقائه بينهم ، مبينة لَهُ أن خيرهم مرتبط به ، وضرّهم مرتهن برحيله وشعورها بآلآم اليُتْم في بعادِهِ حتى لكأنها تشعر بجفاء الناس من حولها وإنّ صلات الرحم تكاد تنقطع .

تَقُولُ ابْنَتي حِينَ جَدَّ الرّحيلُ أرَانَا سَواءً وَمَنْ قَدْيَتِمْ
أبَانَا فَلاَ رِمْتَ مِنْ عِنْدَنَا فَأنّا بِخَيْر إذا لَمْ تَرِمْ
ويَا أبتَا لاتَزلْ عنْدَنا فأنّا نَخافُ بأنْ تُخْتَرَمْ
أرَانَا إذَا أضْمَرَتكَ البلاَ دُ ، نُجْفَى ، وتُقْطَعُ مِنّا الرّحِمْ[2]

وتحدث ذو الأصبع العدواني عن جزع ابنته أُمامة وحزنها إذ رأته في كبرته قد نهض وسقط وتوكأ على العصا في مشيه فبكت فقال :

جزعَتْ أُمَامَة أنْ مَشيتُ على وتذكّرتْ إذ نحنُ مُلتقيانِ
فَلْقبلَ مارام الإلهُ بكيدِهِ إرَماً وهذا الحيُّ من عَدوانِ

واستمر يذكر لها بأمثال من تغير الأحوال الى أن يقول :

لا تعجَبنّ أُمَامَ من حَدَثٍ عَرَا فالدهرُ غيّرنَا مع الأزمانِ[3]

وهذا يؤكد أنّ العطف والحب كانا متبادلين ـ عموماً ـ بين البنت وذويها ، يدفعها حبّها لأبيها الى الخوف عليه ورغبتها في بقائه قوياً شديداً ، وتجزع إذا ماهرم أو ضعف ، فهي ترى في فقدانها لأبيها فقداناً للأمن والطمأنينة والأستقرار ، لأنهُ حاميها وراعيها والمدافع عنها .

إلاّ أنّ الفتاة لم تكن ذات شأن حتى تصير أُمّاً فيعلو مقامها لأن المرأة التي كانوا يميّزونها في الجاهلية ويختصونها بالإكرام ويعدُّونها مجالاً مهماً للفخر ، وملاذاً ومفزعاً إن ضاق بهم الدهر هي الأم . لذلك لم يكونوا يُعزُّون بالمرأة بعد

---

(١) ينظر الأغاني ، ٥٤/١١-٥٦ .
(٢) ديوان الأعشى ، ص٤١ . ترم : ترحل ، تخترم : تموت ، أضمرتك : أخفتك .
(٣) مراثي شواعر العرب : لويس شيخو ، ص٧٧ وينظر شرح ديوان الخنساء ، ص١١٩ .

موتها إلاّ أن تكون أمّاً[1] .

فان للأمومة شأناً كبيراً عندهم ، حتى أنها كانت مناطاً للنسب ، فهناك من القبائل من آثرت الأنتساب الى أمهاتها ، مثل قبيلة (خِنْدف) والتي يقول عنها ابن عبد ربّه : ((وأمُّهم خِنْدف ، وهي ليلى بنت حُلْوان بن عِمْران بن الحاف بن قُضاعة ، فَجَميع ولد إلياس بن مُضَر بن نِزار مِن خِنْدف ، ولذلك يُقال لهم خِنْدف ، لأنها أمهم وإليها يُنْسبون)) . وقبيلة (مُزَينة) ، التي قال عنها : ((وهم بنو عمرو بن أدّبن طابخة ، نُسِبُوا الى أمهم مُزَينة بنت كلب بن وبْرة))[2] . وهناك قبائل أخرى كثيرة من مضر وربيعة وكهلان وحمير أي من العرب كافّة . وكان كذلك الكثير من رجالات العرب وشعرائهم يتكنون بأسماء أمهاتهم ، فالمناذرة نُسِبُوا الى أمهم (ماء السماء) وعمرو بن المنذر ملك الحيرة كان يقال له عمرو بن هند .

والى هذا يرجع افتخار (لبيد) بجدته أمُّ البنين حيث يقول بين يدي النعمان :

نَحْنُ بَنُو أمّ البنَينَ الأربعهْ   سُيُوفُ حقّ وَجِفانٌ مُتْرَعَهْ[3]

فَنَسبَ نفسهُ الى أمِّه ، ولاشك في أنّ لكلٍ من أمهاتهم مواقفها الحميدة ومكانتها الشريفة التي أدت الى الأفتخار بها والأنتساب إليها .

فالأم هي منبت فتيان العرب وموضع الأِحترام والطاعة لكونها أمّاً ، ولم يكن ذلك شأن المرأة عند العرب خاصّة ((فقد كان هذا شأنها أيضاً عند اليونان ، لأنهم كانوا يعدّون المرأة أمة يحجبونها قبل الزواج وبعده ، وتشتغل بأشغال البيت من الحياكة والغزل وتمريض المرضى .

وكذلك كان يفعل الفرس بنسائهم ، فاذا صارت المرأة أمّاً علت منزلتها وصار إليها الأمر والنهي في بيتها ولايزال هذا دأب أهل البادية الى اليوم))[4] .

ونلمُس المكانة العظيمة للأم العربية فيما تتركه من آثارٍ بعيدة تطبعها في نفوس بنيهامن روحها وأخلاقها ، ومواقفها في الشعر والتاريخ والأساطير ، حتى أن العرب أخذوا يُلقّبون الأمهات بألقاب ((فمن تنجب ثلاثة أولاد فأكثر من النابهين الممتازين تسمى (بالمُنْجِبَة) إعلاناً لتفوقها في أداء رسالتها الأِجتماعية . فالمُنْجِبَة إذن هي من يدرج في حجرها الأطفال النجباء))[5] .

أمّا عندما تنجب المرأة الذكور تلقوها بالغبطة وتقبولها بقبول حَسِنْ وسموها (ناتِقاً) وهذا اللقب يذكرهُ النابغة في القصيدة التي يهجو فيها (زرعة ابن عمرو) ويعرج على ذكر مناقب قومهِ فيقول :

---

(١) ينظر العقد الفريد ، ٣/٣١٠ .
(٢) العقد الفريد : لابن عبد ربه ، ٣/ ٣٣٨ .
(٣) ديوان لبيد بن ربيعة العامري ، ص٩٣ .
(٤) تاريخ التمدن الإسلامي : جرجي زيدان ، ٤/ ٢٩٥ .
(٥) المرأة في الشعر الجاهلي : علي الهاشمي ، ص٢٠٩ .

لم يُحرَمُوا حُسنَ الغِذاءِ ، وأُمُّهُمْ   طَفَحَتْ عليكَ بِنَاتِقٍ مِذكار[١]

ويرسم الشعر الجاهلي صورةً واضحةً في تفضيل الرجل منهم أُمَّهُ على اِمرأته ، لأن الأم في اعتقاده أبقى له من امرأته ، ولعل النموذج الواضح لهذا ماعرضهُ صخر أخو الخنساء من صورةٍ قارن فيها بين حب الأم وعطفها على ابنها وحب الزوجة لهُ .

ففي بعض حروبه أصابهُ سهم فمرض ، وطال به السقم ، وأُمُّهُ وزوجته سليمى تمرضانه فكان القوم إذا سألوا زوجته عنه قالت : ((لاحياً فيرُجَى ولاميتاً فيُنسَى)) وحين تُسألُ أُمُّهُ تقول : أصبح بحمد الله سالماً فقال صخر هذه الأبيات مسجلاً موقف المرأتين ومقارناً :

أرى أُمَّ صخرٍ لاتَملّ عيادِتي   ومَلَّتْ سُلَيمَى مَضجِعِي ومَكَانِي

وماكُنتُ أخشى أن أكونَ جنازةً   عليكِ وَمَن يفترّ بالحدثانِ

وأيُّ امرىءٍ ساوى بأمٍّ حَليلةً   فَلا عَاشَ إلاّ في شَقَاً وهَوان[٢]

كما عُدَّتْ الأم في الجاهلية محوراً تدور عليه الكثير من الأحداث المهمة والخطيرة ولمعرفة تلك الأحداث لابد من معرفة العلاقة بين القبائل والأفراد الذين يتصلون بها ، وصلة القرابة التي تربطهم من جهة ألام ، وذلك لتأثير هذه القرابة في ظهور عصبية الخؤولة عند العرب ، ((وهي نصرة عشيرة ألام لأولادها ، وبعبارةٍ أُخرى لعشيرة زوجها ، ولو كان الأبُ من قبيلةٍ يمنيةٍ وألامُّ من قبيلةٍ عدنانيةٍ أو بالعكس))[٣] .

حيث كان للخؤولة شأنٌ عظيم عند العرب في الجاهلية حتى أنّها كان لها التأثير الكبير في العصبية وسياسة الدولة .

فقد كان رجال السياسة والتدبير من الملوك والقُوّاد يقوون أحزابهم بالتزوج من القبائل المختلفة ، فيكتسبون عصبية قبائل نسائهم ((وكثيراً ماكانت المزاوجة أو المصاهرة سبباً كبيراً للعصبية ، ليس ذلك لعلو منزلة المرأة على الأجمال ، وإنّما الفضلُ فيه للأمومة))[٤] .

فأن المرأة كانت لاتزال أقلّ شأناً حتى تصير أُمّاً فتعلو منزلتها وتشتد عُرَى الأتحاد بها .

ولابد لنا إذا ماتكلمنا عن المرأة ومكانتها في المجتمع في الجاهلية أنْ نفصل بين المرأة الحُرَّة والمرأة الأمة ، لأن لكلٍ منهما مكانة تُميّزُها .

---

(١) ديوان النابغة ، ص٩١ ، وينظر الهجاء الجاهلي صورهُ وأساليبه الفنية : عباس بيومي عجلان ، ص٥٧-٥٨ .
(٢) خزانة الأدب : للبغدادي ، ص٤٣٦ .
(٣) تاريخ التمدن الإسلامي : جرجي زيدان ، ٢٩٥/٤ .
(٤) المصدر نفسه ، ٢٩٥/٤ .

فالأمة في عرفِ ذلك المجتمع هي المملوكة خلاف الحُرَّة فتقول : ياأمَةَ الله ، كما تقول : ياعبَد الله[١] .

وهي طبقة مُهانَة مُحتَقَرة ، أحطّ قدراً من المرأة الحُرَّة .

وقد كانت الإِماء تؤلف طبقة كبيرة في المجتمع الجاهلي نتيجة الحروب والغزوات وكثرة النهب والأسر والشراء فكانت النساء يجتلبن بإحدى هذه الطرق من المدن المجاورة ، فيؤخذن سبايا[٢] .

((وكانوا يستولدون السبايا ، ولكن لايلحق نسب الولد بأبيه إلاّ إذا ادّعاهُ ، ولذا كان من مفاخر الرجل أنّ أُمُّهُ حُرَّة نسيبة لاسَبّية . فاذا كانت أُمُّهُ أمَةً أفتخر بما يُعوِّض نقصه))[٣] .

فالمرأة الحُرَّة في الجاهلية محترمة مُحصّنةٍ يعترف الرجلُ بأولادها أمّا السبيّة فهي أحطُّ منزلةً وأقلُّ قدراً وولدها هجين على كل حال ، حتى أنها كان يطلق عليها اسم أمُّ الولد ، بينما يُطلَقُ على الحُرَّة لقب أمُّ البنين[٤] .

والهجين تستبعدهُ العرب من أنسابها ولا تعترف به إلاّ أن يتفوق بموقفٍ مشهود يتمثل بالشجاعة أو الفروسية يدفع أباه الى الأِعتراف بِهِ ، ولكنه يبقى رغم ذلك دون أبناء الحرائر في المنزلة[٥] .

فقد بقي عنترة عبداً يُعرف بابن زبيبة الى أن أغاربعض أحياء العرب على قومه من بني عبس فأصابوا منهم ، فتبعهم العبسيون ، فلحقوهم فقتلوهم وفيهم عنترة ، فقال له أبوه : كُرَّ ياعنترة فقال : العبد لا يُحسِنُ الكرّ إنما يُحسِنُ الحِلابَ والصرّ . قال : كرّ وأنت حُر . فقاتلهم عنترة وأبلى في قتالهم واستنقذ ما في أيديهم من الغنيمة المنهوبة فأدعاهُ أبوه بعد ذلك وحرّرهُ وألحق به نَسَبَهُ فصار عنترة بن شدّاد العبسي أمّا أُخوته من أُمِّه فقد بقوا عبيداً[٦] .

وما زالت المرأة الأمَة في الجاهلية تُلقَى على عاتقها الأعمال المرهقة التي تحتاج الى مجهودٍ كبير ، وما زالت تلك النظرة المحتقرة لها حتى جاء الإسلام فساوى بين المسلمين جميعاً ، وخلاصة ما يمكن قوله أن المصادر تدل بصراحة على أن المرأة في ذلك العهد الكريم ، قد استطاعت أن تنجب جيلاً قوياً في خلقهِ وتكوينهِ ، هو جيل الفتح الذي انبلج عنه فجر الإسلام ، فحمل رايته بصبر وحزم ، وجمع شمل العرب ، ولم يضعف ولم يُهَنْ لما بعثتهُ المرأةُ في نفسهِ منذ الصغر من روح الرجولة ، وحب التضحية ،

---

(١) المعجم الوسيط : إبراهيم مصطفى ، احمد حسن الزيّات ، حامد عبد القادر ، محمد علي النجار ، ٢٨/١ .
(٢) ينظر المرأة في الشعر الجاهلي : علي الهاشمي ، ص٢٤٦ .
(٣) الحياة العربية من الشعر الجاهلي : للحوفي ، ص٢٢٠ .
(٤) ينظر دائرة المعارف الإسلامية ، ٦٣٥/٢ .
(٥) ينظر المصدر السابق ، ص٢٣ . وينظرالعصر الجاهلي : شوقي ضيف ، ص٧٢ .
(٦) ينظر الشعر والشعراء : لابن قتيبة ، ١٧١/١-١٧٢ .

والإخلاص والثبات .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

المقدمة

سألني أحد الأساتذة في المرحلة التحضيرية عن رغبتي في اختيار العصر الذي أصبُّ فيه دراستي فأجبتهُ بلا تردُّد : الإسلامي ، ولمّا سألني لماذا ؟ قلت بثقة : فكأني بِهِ أشُمُّ رائحة الرسول ، وهكذا كان جلّ اهتمامي في كتابة البحث هو أن أُحددهُ في زمن الرسالة وظهور الإسلام ، ولأن دراسة المجتمع كما يعكسهُ الشعر والرغبة في إعطاء علاقة الأدب بالمجتمع تفسيراً علمياً بعيداً عن التخمينات والأفتراضات الشخصية هي جلّ ماتتوق إليه نفسي من الدراسة أخترت الحياة الإجتماعية في الإدب الإسلامي عنواناً لرسالتي إلاّ أنني فوجئت بدراستهِ من قبل باحثٍ آخر ، لكن الرغبة لم تلبث أن عادت لي بعد أن أقنعني أُستاذي المشرف بموضوعٍ آخر يتناول تلك الفترة من حياة الرسول ويسلّط الضوء على الجوانب الأجتماعية التي جعلتني أعيشُ معها زمن الرسالة .

لم يقرّ أحد ممّن عرضتُ عليه موضوع رسالتي الموسومة ((أدب المرأة منذ ظهور الإسلام حتى نهاية القرن الأول الهجري)) بوجود مادةٍ كافيةٍ تنهضُ رسالة في الأدب النسوي في ذلك القرن ، فكان ذلك دافعاً آخر يحدو بي لأتجشّمَ عناء المحاولة في دراسة أدبها في تلك الفترة ، وبعد أن آستنطقتُ التاريخ والأخبار والأدب وآعتمدتُ آستقراء النصوص وتحليلها وتوصلتُ الى وضع الحُجج والبراهين ، كشفتُ عن وجود مادةٍ غنيّةٍ من التراث الأدبي النسوي بما فيها الأغراض الشعرية والفنون النثرية والتي تعدُّ تراثاً تاريخياً وأدبياً ولغوياً وفنياً وثقافياً وآجتماعياً يُضافُ الى التراث العربي .

وهكذا أجدني أمامَ حقائق كشفت عنها كتب الأدب وأخبار العرب والتراجم والتاريخ أبرزت دور المرأة في الأدب ومساهمتها فيه ، وقدرتها على مسايرة الرجل في الإبداع فيما لو توفرت لها الظروف الإجتماعية والثقافية وأُتيحت لها الفرص لكشف مواهبها وقدراتها .

وأمامَ أمانة تفرض عليّ كشف النقاب عن المعالم المجهولة والمهملة التي تناولت أدبها وجمع أشتاتَهُ المتناثرة والتي أهملها المؤرخون والعلماء وأضاعت الأزمان الكثير منه مع أسماء كثيرات من الأديبات .

ولابد لي هنا من الوقوف قليلاً عند المصادر والمراجع الأدبية منها والتاريخية التي تناولت أدب النساء واستعراض أحوالهن الإجتماعية والثقافية وتراجم حياتهن

التي أغنتني في هذه الدراسة وأسهمت إسهاماً فعّالاً في كشفِ جوانبٍ مهمةٍ منها ، ومن هذهِ الكتب ، الأغاني للأصفهاني ، والعقِد الفريد لابن عبد ربه ، والطبقات الكبير لابن سعد ، والأصابة للعسقلاني ، ومروج الذهب للمسعودي ، والدُّر المنثور لزينب العاملي ، وأشعار النساء للمرزباني ، وبلاغات النساء لابن طيفور ...، وقد آستفدتُ بصورةٍ مباشرة وغير مباشرة من دواوين الشعراء الى جانب مصادر ومراجع أُخرى سأكتفي بذكرها في قائمة المصادر والمراجع ولقد عولت في أخذ النصوص الشعرية والنثرية من المصادر القديمة ولكني حين أجدُ نصّاً يُفيدني ذُكرَ في مصدرٍ متأخر أو مرجع حديث أُثبتهُ وأُحاول أن أجد لهُ مصدراً أقدم فإن لم أجدهُ أشرت الى الكتاب الذي أخذتُه منه .

وهكذا آقتضت منّا الدراسة تقسيمها ـ بعد التمهيد في حياة المرأة في المجتمع الجاهلي ومنزلتها وأثرها فيه كأمرأة في مختلف أشكالها البنت والأُم والزوجة والحبيبة والحُرّة والأمة-

أربع فصول :

قد أكونُ فيها متوسعة بعض الشيء في تخصيص الفصل الأول لحياة المرأة في الأسلام ومكانتها فيه فيما وردَ عنها في القرآن الكريم والسُنّة النبوية الشريفة ، ولاأنكر دخولي في نقاشٍ مع أستاذي المشرف الذي أهتم كثيراً في أن يحمل الفصل الأول ذلك العنوان ، ولكنّي بعد أن عرضتُ لصورة المرأة وفق الحدود الإجتماعية التي رسمتها لها الحياة الإسلامية وأثرها البيّن على مكانتها ومركزها الإجتماعي فيما لو قورنت بالحياة الجاهلية ، أدركتُ أهمية ذلك في استخلاص نتائج ودلالات اجتماعية وأدبية وثقافية ونفسية من خلال عملية النفاذ الى حياة النساء آنذاك وماوراء ذلك من حدود ومُثُل عُليا ألتزمنها أكثرهن وتجاوزنها قليلات منهن أنعكست بالتالي على نصوص المرأة الشعرية وقطعها النثرية وقابلياتها على مسايرة الرجل في التفوق والأبداع ، ولايفوتني أن أذكر أنّ طبيعة الدراسة في هذا الفصل تطلبت أن تكون عدد صفحاته قليلةً نسبةً الى الفصول الثلاثة الأُخرى ، أمّا الفصل الثاني فقد عرضتُ فيه لأغراض المرأة الشعرية بما فيها الأغراض التقليدية كالرثاء والهجاء والغزل والمديح وأغراضاً أُخرى كانت قريبة من الشاعرة أمّا بدافع الأثر الشخصي ـ طبيعة المرأة ـ كأشعار الترقيص والأستعطاف والحنين الى الأوطان أو بدافع ما فرضهُ ظهور الإسلام من المعارك والغزوات كأشعار الفخر والحماسة ، ولأن الرثاء هو جلّ ما عُرِفَت بهِ المرأة وأكثر ما تناولَهُ النُقّاد والباحثون بشكلٍ عام فقد تكلمنا عنهُ بإيجاز واقتضت دراسته تقسيمه على قسمين ، الأول أسميناهُ الرثاء العائلي وجاء فيه رثاء الأبناء والأخوة والآباء والإزواج والإقارب ، والثاني أسميناهُ رثاء رجال الدين والسياسة ، وقد تحدثنا فيه عن مراثي الرسول (ﷺ) ومراثي الخلفاء من بعده .

وجعلت الفصل الثالث لدراسة فنون المرأة النثرية ، وقد حاولت جهدي أن أستخلص نماذج نثرية تبيّن مدى بلاغة المرأة العربية في صدر الإسلام وبني أُميّة

في فنون القول ونقدِهِ ، وعقدتَهُ في أربعة مباحث الأول ، (الخطابة) وبالنظر لسعة هذا المبحث وتشَعُّب أطرافَهُ إذ أن المرأة قد تناولت فيه الخطابة بأصنافها وفنونها المتنوعة فقد جعلته ينقسم على ثلاثة أنواع ، النوع الأول درست فيه (الخطابة السياسية الإجتماعية) مُبيّنة خطب المرأة المتضمِّنة الأحداث السياسية الإجتماعية التي لم تكن بمعزلٍ عنها والتي قد تعرض فيها أمراً قد أعترضها أو قد تدافع فيها عن حقّها أمام الخليفة .

أمّا النوع الثاني فقد درستُ فيه (خطيبات صفين) وعرضتُ فيه للخطيبات الوافدات على معاوية من أنصار الإمام علي (□) .

وكان النوع الثالث عن (خطب التأبين) التي غالباً ما كانت الخطيبة فيها من ذوي الفقيد أو من المقربين إليه . حيث تُلقي بخطبتها على قبر الراحل بعد أن تصوِّر ما تركهُ فيها من الحزن والأسى وتعدد مناقبه وفضائِلَهُ .

أمّا المبحث الثاني فقد عرضتُ فيه للكتب والرسائل التي تناولتها المرأة بأشكالها ومضامينها المختلفة فمنها القصيرة والطويلة ومنها ماعالجت موضوعات سياسية واجتماعية ودينية ..

ولم أكُن لأغفل دور المرأة في التحليل والتفصيل ودقّة الوصف ، فخصصتُ لها مبحثاً ثالثاً يتناول (الوصف) الذي تمثلتهُ أمُّ معبد في وصف الرسول (f) .

وجعلت المبحث الرابع لدراسة (النقد) عند المرأة ، تناولت فيه ماشهدهُ عصر بني أُميّة من الظاهرة الفريدة في التجمع النسائي في النقد الأدبي والذي بلغ فيه أن يحتكم أبرز الشعراء إليهن في المفاضلة بين أشعارهم ، حتى أثبتت المرأة براعةً وتفوقاً في هذا المجال شهد بهما الشعراء أنفسهم .

أمّا الفصل الرابع فقد جعلتهُ ينصبُّ في محورين أساسين ، الأول كان لدراسة الملامح الفنية لأدب المرأة إذ استعرضت فيه بإيجاز أهم الملامح التي يمكن تمييزها في أدبها من حيث دراسة المتغيرات اللغوية والأُسلوبية في ظاهرة أدب المرأة تحت الإتجاهات الفكرية والثقافية والماديّة الحضاريّة ، وكذلك دراسة موسيقى أدب المرأة التي من خلالها يستطيع الباحث أن يقف على أبعاد العملية الأدبية نفسية ذاتية ولفظية وفكرية ، ودراسة الخيال على اعتبار أن مصدرهُ يُكمِن بالبيئة الـمُحيطة بالأديبة وملامحها .

ولقد حاولت جهدي أن أبحث في هذا المحور عن نصوصٍ شعريةٍ جديدةٍ لم أستهلكها في الفصل المتقدم (أغراض المرأة الشعرية) على أن هذا لاينفي أعتمادي مثل هذهِ النصوص المستهلكة شافعي في ذلك أنني لم أجد مناصاً من استعمالها إذ حويتها جميعها تقريباً في ذلك الفصل فضلاً عن أن استعمالها في هذهِ الدراسة كان لأغراضٍ تختلف عن سابقاتها .

ولعل من أهم ثمرات هذهِ الدراسة هو ماجاء (بين أدب المرأة وأدب الرجل) في المحور الثاني من الفصل الرابع ، أمّا منهجي فيه فاستنطاق كتب التاريخ والأخبار والأدب والكشف عن آراء الباحثين والنُقّاد وآستقراء النصوص ذات الدلائل الأدبية والتاريخية والنفسية والأجتماعية وتحليلها

تحليلاً علمياً موضوعياً ، ومن ثم وضع الحُجج والبراهين التي قد تُغني بعض الآراء أو تُفنّد غيرها ، متوخية فيها الأمانة العلمية ومبتعدة عن المُغالاة والتحيُّز وهي محاولة أعُدّها جديدة وجريئة لأعادة النظر في تقييم دور المرأة الأدبي وتقويمه ومسايرتها الرجل في التقدُّم والأبداع الأدبي فإذا كانت قد حملت تلك المحاولة من الدراسة هنّات ومآخذ شكلية ومضمونية أو أخرى نتجت عن الحماسة أو الأندفاع ، فمن الواجب غفران ذلك لباحثٍ سليم النوايا صادق الدوافع يصبو الوصول الى الحقيقة ويدافع عنها .

ولاأريد الخوض في الصعوبات التي واجهتني أثناء العمل في جمع هذهِ المادة وكتابتها وطباعتها فيما بذلته فيها من الوقت والصبر والجهد تفصيلاً ، لكن أودُّ الأشارة الى بعض الأمور المهمة وهي تفُرّق شعر المرأة في مصادر كثيرة وآضطراب بعض كتب الأدب والتراث حول أسماء الشواعر ونسبت الأبيات الشعرية إليهن فضلاً عن أغلبهن شواعر مجهولات لم يُشَر الى أسمائهن أو عصرهن مما حدا بي أمّا أن أبحث عن مايرشدني الى ذلك من خلال مناسبة إنشاء الأبيات أو الرواية التي ترافقها أو الشخصية التي تتضمنها أو أنني أستغني عن الأبيات في حال صعوبة معرفة ذلك .

أمّا ماكان من متمّمات حرصي على إفادة الباحثين الذين ينشدون إكمال مابدأت بهِ أو أن يُضيفوا لهُ هو جهودي المُضنية في التحقيق والتراجم التي بلغتُ فيها أقصى درجات الجُهد والصبر والمشقّة ، إذ حققتُ النصوص الشعرية والنثرية وبّينتُ لكلٍ منها مصادرها الدراسية محددة ذلك بالجزء والصفحة فضلاً عن تقصّي حياة الأديبات وترجمتها .

ولايفوتني أن أذكر أن زمن الدراسة كان يتراوح مابين وجود النظام السابق وسقوطه ومن ثم تدهور الوضع الأمني وماتبع ذلك من تخلخل وتفاوت وتقطُّع في سير الدراسة ، مما أدّى الى حالة من الأضطراب النفسي لدى الباحث كان عليه أن يصارعها كي لاتنعكس على الدراسة بصورة مباشرة أو غير مباشرة هذا من جانب ، ومن جانب آخر أن وجود النظام كان لايسمح بالحصول على بعض الكتب التي قد تُغني البحث وتنهض بهِ وأعني بها كتب الشيعة التي تحمل بين ثناياها حُججاً وأدّلة قد تعينني وغيري من الباحثين في الرد على بعض الأقلام ، ولاسيما في قضية السيدة سكينة ونقدها الشعراء ، أمّا بعد مرور زمن على سقوطه كان لنا الحصول على تلك الكتب إلاّ أن ذلك لم يتم إلاّ بعد انتهائي من البحث واستعدادي لطباعته حتى آقتضى الأمر إعادة النظر في الكتابة بسببٍ من الحذف والإضافة والتقديم والتأخير وتطلّب مزيداً من الجهد والأستغراق للوقت .

وبعد فلابُدّ من الكشف عن المتابعة الجادّة التي منحها إياي أُستاذي المشرف الأُستاذ الدكتور داود سلّوم ومأسداهُ لي من الأيادي البيض وحباني بهِ من العطف والرعاية الأبوية ، فلقد كبح جُماح لغتي وشطحاتي اللفظية والفكرية وكان شديد الحرص على متابعتي وتوجيهي فلهُ خالص إجلالي وتقديري ودُعائي لهُ بموفور الصحة والعافية ودوام التوفيق .

ومن واجب الوفاء أن أتوجه بالشكر الجزيل الى الأستاذ الدكتور سعيد عدنان المحنّة الذي حظيت دراستي برعايةٍ من لدنه بأرشاداتهِ القيّمة وروحهِ العلمية العالية التي أفاضها عليّ فأدعو الله أن يجزيه عنّي خير الجزاء .

وفي زحمة البحث والدراسة كانت عائلتي كنفاً ألتجأُ إليه من عناء رحلتي الشاقّة فلها مني آيات الشكر والعرفان والتقدير لما منحتني من الثقة بالنفس ووفرت لي كل أسباب التفوق والنجاح .

وبعد هذا كله لابد من القول أننا بذلنا كل مانستطيع من جهد للوصول بالدراسة الى صورتها التي هي عليها فإن كان فيها من محاسن فذاك غاية مانتمناه وإلاّ فأفضل مايُقال ماقالهُ أبن خلكان : ((فمن وقف على هذا الكتاب من أهل العلم ورأى فيه شيئاً من الخلل فلا يعمل بالمؤاخذة فيه ، فإني توخيت فيه الصحة حسبما ظهر لي ، مع أنه كما يُقال : أبى الله أن يَصُحَ إلاّ كتابه . لكن هذا جهد المقل ، وبذل الأستطاعة ، ومايكلف الأنسان إلاّ ماتصل قدرته إليه ، وفوق كل ذي علمٍ عليم ... والله يستر عيوبنا بكرمهِ الضافي ، ولايكدر علينا مامنحنا من مشرع عظاتهِ النمير الصافي إن شاء الله تعالى بمنّهِ وكرمِهِ)) .

الباحثة

الفصل الاول

المرأة في الإسلام / في القُرآنِ الكريم والسُنَّة النَبوية

أستبان نور الإسلام الحنيف ، فاعترف للإنسان بحريته واستقلاله ، ورفع من كرامته وجعلهُ خليفةً لمن في الأرض يعمرها ويمحو الجهل والظلم والفوضى والجمود .

فخلق الإسلام العرب خلقاً جديداً ، وجعلهم خير أمةً أُخرجت للناس ، أقامت حضارة أضاءت بها الدنيا في وقت كان فيه العالم في ظلامٍ دامس بعد أن نفذ الى قلوبها واستأثر بضمائرها ، وفتح آفاقاً كانت مغلقة أمامها وحرّرها بعد الرقْ وطهرّها بعد رجس الخطايا والآثام ، ووحَّدها بعد الفُرقَة ، وملأ قلوبها نوراً ، فانبثَّ ابناؤها في الارض ينشرون نور الله ، ماوجدوا الى نشرهِ سبيلا وجاءت صرخة الإسلام مدويّة ضد الحياة العربية الجاهلية بعامة ، وكان ثورةً إجتماعيةً كبرى ضد التقاليد والطقوس والاجواء المختنقة باستعباد المرأة المطلق[١] ، ليكفل لها حياةً حُرَّةً كريمةً قلّما نجدها في أي دين من الديانات أو نظام من المجتمعات التي سبقت ظهوره ، وعلى الرغم من أنّ المرأة العربية في الجاهلية كانت مهضومة في الكثير من حقوقها ، إلاّ أنّها قد تقدمت على سواها من النساء عند الأُمم والشعوب المعاصرة لها في المكانة الأجتماعية التي كانت تتسم عندهم بالدونية بدرجاتٍ متفاوتة تشتد حيناً وتخف حيناً آخر ((ففي الهند القديمة كان ينظر الى المرأة على أنّها دورة للروح في حياة شريرة وكان الهنود يؤمنون بتناسخ الأرواح))[٢] ، وكان من عاداتهم إحراق الزوجة بعد وفاة زوجها أو دفنها في حفرة وهي حيَّة[٣] .

أمّا عند الإغريق والرومان فقد كانت المرأة تابعة للرجل ومجرد ظلاً له فهو يسيطر عليها فلا تملك من أمرها شيئاً وتعطيه هذه السيطرة كافة الحقوق عليها حتى حق الحياة والموت وحق بيعها بيع الرقيق[٤] .

وعند الفرس كانت المرأة محتقرة الجانب في البيت وخارجه ((وكان من حق

---

(١) ينظر المرأة وحقوق الإنسان : محمد جمال الهاشمي ، ص٢٩-٣٠ .
(٢) المرجع في الحضارة العربية الأسلامية : إبراهيم سلمان الكروي ، عبد التواب شرف الدين ، ص٤١٠ .
(٣) ينظر المرأة في الفكر الأسلامي : جمال محمد فقي رسول الباجوري ، ٢٣/١ .
(٤) ينظر عصر النبوّة : إبراهيم نمير سيف الدين ، لبيد إبراهيم أحمد ، ص٢٠١ .

الرجل أن يحكم على النساء بالموت إذا غضب ، وكانت المرأة الفارسية في أدوارها الطبيعية تبعد عن المنازل الى خيمة صغيرة في خارج البلد تسمى - داخمي - لايخالطها أحد من النساء))[١] . وفي اليهودية جاء في التوراة مايُحمِّل المرأة اللعنة والذنب في إغواء آدم وخروجه من الجنة[٢] وان كل مايفعله الرجل من أعمال لاأخلاقية يكون الأثمُ فيها على المرأة[٣] . حتى أنّ الشريعة اليهودية أباحت للرجل المعسر بيع إبنته بيع الرقيق لقاء ثمنٍ يحل به أزمته[٤] .

وفي المسيحية ((كان ينظر للمرأة على انهُ فخ نصبه الشيطان للرجل وأنها سلاح إبليس للفتنة والأغراء ورغم أنّ تقديس العذراء مريم قد رفع من النظرة الى المرأة فان ذلك لم يغير شيئاً كثيراً من الوضع الأجتماعي للمرأة))[٥] .

أمّا العرب في الجاهلية فقد كانت المرأة عندهم مهضومة في كثير من حقوقها ، حتى أن ميلادها كان نذير شؤم للقبيلة يُستدلُ بهِ على الشر ، وربما أحتجب أبو البنت عن مجالس القبيلة خجلاً وحياءً[٦] .

وكانت بعض قبائل العرب في الجاهلية تقرُّ طريقة استيلاء الرجل على المرأة بالقوة وتتيح له إذا نجح في مغامرته هذهِ ان يعاشرها معاشرة الازواج سواء ان حدث هذا السبي في حرب نظامية ام عن طريق المباغتة والخطف والى هذا يشير حاتم الطائي في قصيدةٍ له إذ يقول[٧] :

فما أنكحونا طائعين بناتهم ... ولكن خطبناها بأسيافنا

حتى جاء الأسلام ليشرع للمرأة أول قانون كامل يضمن لها كيانها وكرامتها ويحقق لها حياةً طيبة كريمة ، فأخذت المرأة العربية تنعم بمطالع فجر الإسلام بعد أن أحاطها بسياجٍ من الحماية وسما بها الى منزلةٍ رفيعةٍ تتفق مع طبيعتها ورسالتها فعلى الرغم مما لقيت المرأة العربية في جاهليتها من المكانة ، ومانالت من الحقوق التي حظيت ببعضها وسلب الجهل وسوء نظام المجتمع بقيّتها إلاّ أنّ

---

(١) المرأة وحقوق الأنسان : محمد جمال الهاشمي ، ص٢١ .

(٢) فأين هذا من القرآن الكريم إذ رفع عن المرأة هذه اللعنة التي ألصقتها بها المعتقدات السابقة ، وجعل آدم وحواء مشتركين في الغواية والذنب { فَأَكَلاَ مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ .. } طه ، الآية : ١٢١ ، وحصلت المرأة لأول مرة من القرآن الكريم على أعظم حق لها من جميع الحقوق الشرعية التي كسبتها / ينظر المرأة في القرآن : عباس محمود العقاد ، ص٥٧ .

(٣) ينظر المرأة في التصور الأسلامي : عبد المتعال الجبري ، ص١٤٦- ١٤٧ .

(٤) ينظر المرأة في الأسلام : علي عبد الواحد وافي ، ص١٥ ، والمرأة في الفكر الأسلامي : جمال محمد فقي الباجوري ، ٢٧/١ .

(٥) المرجع في الحضارة العربية الأسلامية : إبراهيم سلمان الكروي ، عبد التواب شرف الدين ، ص٤١٠ .

(٦) ينظر المرأة وحقوق الأنسان : محمد جمال الهاشمي ، ص٢٣ ، والمرأة في الفكر الأسلامي : جمال محمد فقي الباجوري ، ٣٢/١ .

(٧) المرأة في الأسلام : علي عبد الواقد وافي ، ص١٩ .

قيود الأفكار القديمة لم تنفك تقيدها في عالم العبودية وأشباح الرعب والقلق التي كانت تتخاطف في جوّها من بعيد ((فأمّا وقد رسخت أُصول الإسلام ، ووَرفت ظلاله ، وخفقت على الخافقين أعلامه ، ونَعِمَتْ هي تحت ظِلّه بوثوق الإيمان ، وتقلّبت بين أعطاف الملك ، ونهلت من معين العلم ، وضَربت بسهم في التشريع ، وشُرِّع لها من الحقوق مالّم يُشرَّع لأُمّة من الأمم في عصر من العصور ـ فقد أمعنت في سبيل الكمال طَلقة العنان ، حتى أخملت من بين يديها ، وأعجزت من خلفها ، فلم تشبهها أمرأة من نساء العالمين في جلال حياتها ، وسناء منزلتها))[١] .

وها أنا أبسط القول فيما كُشِفَ عنها من غواشي الظلم ومرارة الإِضطهاد في ظل دوحة الإِسلام الباسقة :

١ ـ البنت في الإسلام :

رَغَبَ كثيرٌ من العرب عن ولادةِ البنات وفضَّلَ الذكور ، وكان يرى في البنت مجلبةً للعار وحملاً فادحاً يصعُبُ احتماله حتى أنّهم كانوا ((إذا هنأوا بها قالوا : آمنكم الله عارها ، وكفاكم مئونتها ، وصاهرتم القبر))[٢] .فهي عندهم عورة وعبء ثقيل وكأنهم بها أرتكبوا إثماً لايُعْفَى وجريمةً لاتُغْفَر ، فاذا ماماتت فان الله قد كفاهم شرَّها ، وإذا مابقيت تحسَّروا حُزناً لبقائِها ، قال العتبي :

ألا يَدرأُ الدَهرُ عنَّا المنُونَا   فيُبقِي البناتِ ويُفنِي البنينا[٣]

ولاعجب في أنَّهُم جزعوا لبقاء البنات وموت البنين ، فهم يَرونَ بهنَّ وجوههم مُسَوَّدة خلافاً للبنين ، قال أبو الغمر وقد مات لَهُ خمس بنين وحصلت لَهُ خمس بنات :

مَضَى خمسةٌ وجهي بهم كانَ أبيضاً   بخمسٍ بهنّ الوجهُ أسودُ سافعُ[٤]

وقد أكثر الشعراء في ذلك العهد من وصف الفتاة بالضعف والهوان وعجزها في الذود عن الحِمَى والمقاومة ، بخلاف البنين الذين كانوا الأقوى والأكثر مقاومة ويتاح لهم مالايتاح لهُنْ ، قال أبوالعباس محمد بن يزيد المبرد : دخل علينا أبن خلف البهراني فأنشدنا في بنت أُخته أُميمة وكان قد تبنّاها :

لَولاَ أُميمَةُ لم أجزَعْ من العَدَمِ   ولم أَجُبْ في الليالي حِنْدسَ الظُلَمِ

وزادني رغبةً في العيشِ مَعرِفَتي   أنَّ اليتيمة يَجفُوُها ذوُو الرَّحِمِ

(١) المرأة العربية في جاهليتها وإِسلامها : عبد الله عفيفي ، ١٤/٢ .
(٢) محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء : للأصبهاني ، ١/ ٢٠٤ .
(٣) المصدر نفسه ، ٥٣٠/٤ .
(٤) محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء : للأصبهاني، ٥٣٠/٤ .

أُحاذِرُ الفقرَ يوماً أنْ يُلِمَّ بها   فيهتِكَ السِّتر عن لحمٍ على وَضَمِ
تَهوَى حياتي وأهَوى مَوتَها شَفَقاً   والموتُ أكرَمُ نَزَّالٍ على الحُرَمِ[1]

وقد ذاع بغضهم لهن وعرفوا بهِ وربما آثروا موتهن على ان يُبقُوا بِهِنَّ أحياء حتى أنّ بعض القبائل العربية في عصر ماقبل الإسلام وأدت بناتها[2] .

فما أشد ماسخط الله عليهم من أمر ذلك وبيّنَ سُفْهَ صنيعهم وشناع جرمهم في مواضعٍ كثيرةٍ من كتابهِ الكريم ، قال تعالى { **قَدْ خَسِرَ الذينَ قتلوا أوْلادَهُمْ سُفهاً بغَيرْ عِلْمٍ وَحَرّمُوا مَارَزَقَهمُ اللهُ افتراءً عَلَى اللهِ قدْ ضَلُّوا وَمَاكانُوا مُهْتَدِينَ** }[3] .

وقال تعالى { **أفأصْفَاكُم ربَّكُم بالبنين واتّخَذَ من الملائكةِ إناثاً إنكم لتقولونَ قوْلاً عَظِيماً** }[4] .

وعمل الدين الإسلامي على النهي عن الحزن والتشاؤم لولادتها فخفض لها جناح الرحمة وشملها بعطفٍ كريم ورعايةٍ رحيمة وحرّم وأدها ، قال تعالى { **وإذَا الموؤدةِ سُئِلَتْ بأيِ ذنبٍ قُتِلَتْ**}[5] . حيث صَرَفَ سُؤالَهُ عز وجل الى المؤودةِ لا الى الوائد إظهاراً لفرط السخط عليه وتجاهله واحتقاره كأنَّهُ لهوان شأنه وبشاعة جُرمهِ لايستحق أنْ يُسأل .

ونهى سبحانه وتعالى عن وأدهن خشية الفقر والعار ، قال تعالى { **ولاتقتلوا أولادكم خشيةَ إملاقٍ نحنُ نرزقهم وإيّاكمْ إنّ قتلَهُم كانَ خطئاً كبيرا** }[6] ويقول تعالى { **ولاتَقتُلُوا النفسَ التي حَرَّمَ الله إلاّ بالحق ومن قُتِلَ مظلوماً فقد جعلنا لوليِّه سُلْطاناً فلا يُسرِفَ في القتلِ إنّهُ كانَ مَنْصُورًا** }[7] .

وهكذا جاءت رسالة الإسلام ، وتَبيَّنَتْ في القرآن الكريم ملامحها الإنسانية في الرحمةِ والعدلِ والمساواةِ لتخُصَّ المرأة بالحمايةِ الكفيلةِ برفعها عن كل ذلّةِ ومهانة ومحو رواسب الجاهلية[8] . ((فلا يكتفي القرآن من المسلم باجتناب وأد البنات خشية الإملاق أو خشية العار ، لأنها درجة لاتعدو أن تكون نجاة من ضراوة الوحشية ، لاترتقي به الى درجة الإنسان الأمين على حق الحياة ، المؤمن بنصيب كل موجود من نعمة العيش والرعاية ، بل يأبى القرآن للمسلم أن يتبرَّم بذرية البنات وأن يَتَلقَّى ولادتهن بالعبوس والإنقباض))[9] .

---

(١) زهر الآداب : للحصري ،٥٢٩/٢ . وينظر عيون الأخبار : لابن قتيبة ،١٠٧/٣ .
(٢) ينظر ص١٧ ،١٨ من التمهيد .
(٣) سورة الأنعام ، الآية : ١٤٠ .
(٤) سورة الأسراء ، الآية : ٣٩ .
(٥) سورة التكوير ، الآية :٩ .
(٦) سورة الإسراء ، الآية :٣١ .
(٧) سورة الإسراء ، الآية :٣٣ .
(٨) ينظر الفتاة في ظل الإسلام : غادة أحمد جابر ، ص٢٧-٣٠ .
(٩) المرأة في القرآن : للعقاد ، ص٥٨ .

قال تعالى : { **وإذا بُشِّرَ أحدهم بالأنثىظلّ وَجْهَهُ مُسوّداً وَهوَ كَظِيم** }(١) .

فأمّا الرسول الكريم صلوات الله عليه وسلامه فقد أكمل مابدأهُ القرآن وحثَّ المسلمين على العناية بالبنات ، ونهى عن كرههن حيث قال (ﷺ) : ((لاتكرهوا البنات ، فأنَهُنَّ المؤنسات الغاليات))(٢) . وجعل الرسول (ﷺ) البنات نِعْمَ الولد بقولهِ ((نعم الولد البنات ، ملطّفات مجّهزات مؤنسات مباركات))(٣) . ومما روي عن أبتهاجه (ﷺ) بولادتهن ، أنّهُ عندما بُشِّرَ بالبنت أخذ يوصفها بالريحانة التي يفوح شذاها فيرسب في أعماقهِ فرحاً وسروراً ((عن محمد بن علي بن الحسين قال : بشر النبي (ﷺ) بإبنة فنظر الى وجوه أصحابِهِ فرأى الكراهية منهم فقال : مالكم ريحانة أشُمُّهَا ورزقها على الله عزوجل ، وكان (ﷺ) أبا بنات))(٤) . ولمحبة الرسول لهن وعطفه عليهن كان يسعد لمداعبة الولائد من بناته أو بنات صحابته ، روي عن عمرو بن سليم الزرقي سماعه أبا قتادة يقول :((بينما نحن على باب رسول الله إذ خرج علينا رسول الله يحمل أُمامة بنت أبي العاص بن الربيع وأُمُّها زينب بنت رسول الله وهي صبيّة قال فصلّى رسول الله وهي عاتقهِ يضعها إذا ركع ويعيدها على عاتِقِهِ إذا قام حتّى قضى صلاته يفعل ذلك بها))(٥) . ومن حديث له (ﷺ) إنّ في بذل الرحمة وإسداء المعونة لهن رضا الله وثوابه فيحجب عنه النار يوم القيامة ، وذلك ماحّدثت بهِ السيدة عائشة أم المؤمنين ((قالت أمرأة معها أبنتان لها فسألت فلم تجد عندي غير تمرة فأعطيتها اياها فقسمتها بين ابنتيها ولم تأكل منها ثم قامت فخرجت فدخل النبي (ﷺ) فأخبرتهُ فقال (ﷺ) : ((من أُبْتلِيَ بشيءٍ من هذه البَنَات كُنَّ لهُ ستراً من النَّار))(٦) . وقال (ﷺ) : ((من كان لهُ ثَلاَثُ بناتٍ أو ثلاث أخوات أو إبنتان أو اختَان فأحسَنَ صُحْبَتُهنَّ واتَّقى الله فيهنّ فَلَهُ الجَنّة))(٧) .

وقد بلغت محبة الرسول الكريم للبنات مبلغاً كبيراً حتى إنهُ كان أبّر وأرحمَ بالفتاةِ من أبيها ، ((أُتيَ رجل وهو عند النبي(ﷺ) فأخبر بمولودٍ أصابه ، فتغيّر وجه الرجل فقال النبي (ﷺ) : ((مالك ؟)) . فقال : خير فقال : ((قل)) قال : خرجتُ والمرأة تمخض . فأُخبرتُ أنها ولدت جارية فقال النبي (ﷺ) : ((الأرضُ

---

(١) سورة النحل ، الآية :٥٨ .

(٢) المتخير من حديث رسول الله ، تخيره وشرحه وضبطه : جمال الدين الآلوسي ، ص١٩٨ .

(٣) وسائل الشيعة الىتحصيل مسائل الشريعة : محمد بن الحسن الحرّ العاملي ، ١٠٠/١٥ ، الحديث ٢ .

(٤) وسائل الشيعة ، ١٠٣/١٥ ، الحديث ٥، وينظر الفتاة في ظل الإسلام : غادة أحمد جابر ، ص٣٠ ، وينظر أعلام النساء المؤمنات : محمد الحسون ، أم علي مشكور ، ص٤٤ .

(٥) الطبقات الكبير : لابن سعد ، ١٦٨/٨-١٦٩ . وأُمامة هي حفيدة الرسول من بنته زينب زوجة أبي العاص وقد زوجت أمامة من علي بن أبي طالب (□) بعد وفاة خالتها فاطمة عليها السلام ثم تزوجها المغيرة بن نوفل ، وخطبها معاوية فأبته / ينظرأعلام النساء في عالمي العرب والإسلام : عمر رضا كحالة ٦٢/١ .

(٦) صحيح الترمذي ، ١٠٥/٨ .

(٧) المصدر نفسه .

تقلّها والسماءُ تظلّها ، والله يرزقها ، وهي ريحانة تشمّها))[1] .

ذلك موقف ا لرسول من الفتاة وهو صدىً لصدق الإسلام وعظمة الخالق الذي صاغ تلك النفوس من روحه ، ورواها من رحمته ، ورفع عنها كلّ ذُلٍّ ومهانةٍ .

ومن صورِ إكرام الرسول لها أنّهُ جعل في فرحة الأبنة عتق رقبة من ولد إسماعيل وذلك ممّا رُوِيَ عن قوله ((من دخل السوق فاشترى تحفة فحملها الى عياله كان كحامل صدقة الى قومٍ محاويج ، وليبدأ بالإناث قبل الذكور فإن من فَرَّحَ ابنَتَهُ فكأنما أعتقَ رقبة من ولدِ إسماعيل ، ومن أقر بعين فكأنما بكى من خشية الله ومن بكى من خشية الله أدخَلَهُ جناتَ نعيم))[2] .

ومازال الإسلام يُعنَى بالفتاة ويوصي بها حتى رفض مجرد الأمنية بموتها ، وعدَّها مَعصيَةً عند الله سبحانه وتعالى ، ونلمس ذلك فيما تحدَّث به أبو عبد الله () لرجلٍ شاكياً كثرة بناته فقال له () : ((لعلك تتمنى موتهن أمّا إنْ تمنيت موتهن مِثْنَ ، لم تؤجَرْ يوم القيامة ولقيت ربك ، حتى تَلقاهُ وأنتَ عاصٍ))[3] .

أمّا محبة الرسول (f) لابنته فاطمة عليها السلام ، وشغَفَهُ بها ، فقد بلغ مبلغاً عظيماً لايُحيطهُ وصف ولاينالهُ بيان وهو القائل فيها :((إنّ فاطمة بضعة مني يريني مارابها ويؤذيني ما آذاها)) [4] . ((أبصر المسلمون كل ذلك ، ورأوا أنّ الله لم يختص فاطمة بنت محمد بذرية رسولهِ الاّ ليُشيد بالمرأة ، وينهض بأمرها ، ويرفع من شأنها ، ويأخذ العرب بحبها ، والإبتهاج بها . فغدوا من بعده يحبون بناتهم ويُكرِمونهن ، ويرون الخير كله معقوداً بنواصيهن .وقد استخلص وهب بن مُنّبه من تقديمه سبحانه الأناث في قوله ((يَهبُ لِمَنْ يَشَاءُ إناثاً ويَهبُ لِمَنْ يَشَاءُ الذُّكُورَ)) أنّ من يُمنِ المرأة أن تَلِدَ الأنثى قبل الذكر))[5] .

٢ ـ المساواة بين المرأة والرجل :

أ ـ في الجزاء والثواب :

عندما بسط الدين الاسلامي سلطانهُ كرّم مقام المرأة ورفع من شأنها ، وأسبغ عليها مكاناً اجتماعياً كريماً في مختلف مراحل حياتها ، وكانت نظرتهُ اليها انسانية ، فقد ساوى بينها وبين الرجل في معظم شؤون الحياة ولم يفرق بينهما الاّ حيث تدعو الى هذه التفرقة طبيعة كل من الجنسين ، ومراعاة صالح الأسرة ، وصالح المرأة نفسها ، فلا فضل الاّ ان يقوم الرجل بما فُرضَ عليه من واجب الإنفاق ، وبما لَهُ من قوة الجَلَدْ فهو بذلك وليّها يحوطها برعايته ويدافع عنها ،

(١) وسائل الشيعة : للعاملي ، ١٠١/١٥ ، الحديث ٢. وينظر أعلام النساء المؤمنات ، ص٤٣ .

(٢) وسائل الشيعة : للعاملي ، الباب السابع من أحكام الأولاد ، الحديث ١ . وينظر الفتاة في ظل الإسلام ، ص٣٢-٣٣ .

(٣) المصدر نفسه ، ١٠٣/١٥ الحديث ١، وينظر الفتاة في ظل الإسلام ، ص٣١ ، وينظر أعلام النساء المؤمنات ، ص٤٥ .

(٤) السنن الكبرى : للبهيقي ، ٢٠١/١٠ . وينظر محنة فاطمة : عبد الله الناصر ، ص٣٤.

(٥) المرأة العربية في جاهليتها وأسلامها : عبد الله عفيفي ، ١٨/٢ .

فأمّا فيما سوى ذلك فالمرأة بين يدي الإسلام قسيمة الرجل لها في الحق مالَهُ وعليها ماعليه[1] .

يقول تعالى في كتابه الكريم { **.. وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ ..** }[2] . وكما جاءت صرخة الإسلام بمساواة الرجل والمرأة في مادة الحياة ، فقد ساوى بينهما في العقيدة والإيمان وفي الإستعداد للقيام بالأعمال الصالحة ومايترتب على ذلك من الأجر والثواب قال تعالى : { **مَنْ عَمِلَ صالحاً من ذكرٍ أو أنثى وهو مُؤمِنْ فلنُحييَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً ولنجزينَّهُمْ أجَرهُمّ بأحسنِ ماكانوا يعملون** }[3] ويقول تعالى { **ومَنْ يعمل من الصالحاتِ من ذكرٍ أو أنثى وهو مؤمِنْ فأولئك يدخلون الجنّة ولايظلمون نقيرا** }[4] . ومن هذا المنطلق الإنساني لطبيعة الإسلام ، رأينا رسول الله (ﷺ) يبايع النساء وببيعتهن بايع الرجال ، إذ ينبئنا التاريخ الإسلامي ((ببيعة النساء)) في السيرة ، ونبصّها بايع النبي (ﷺ) الإنصار في ((العقبة))[5] .

وفي ذلك دلالة واضحة على إعلان الإسلام للمساواة بين الرجل والمرأة في تحمل المسئولية وفي المثوبة والجزاء . فيقول تعالى { **للرجال نصيبٌ مما اكتسبوا وللنساء نصيبٌ مما اكتسبن** }[6] . ويقول { **فاستجاب لهم ربهم إنّي لاأضيع عَمَلَ عاملٍ مِنكُم من ذكرٍ أو أنثى بعضَكُم مِنْ بَعْض** }[7] . فالإسلام ينظر الى جنس الرجال وجنس النساء وكلاهما في نظرهِ من جوهرٍ واحد فالذكور من الأناث والأناث من الذكور وليس بينهما فرق في حسن المثوبة وادّخار الأجر وارتقاء الدرجات العُلى في الآخرة ، فنتاج المرأة في الحياة كنتاج الرجل في نظر الله من دون أن يمتاز أحدهما على الآخر ، قال رسول الله (ﷺ) : ((إنما النساء شقائق الرجال))[8] فهما متساويان في نظر الحق عملاً وجزاءً .

ولعل دعوة أسماء بنت يزيد بن السكن الأنصارية هي أول دعوة للمساواة وعدم إغفال شأن المرأة وأعطائها حقوقها من الأجر في المشاركة في الجهاد ، فقد بلغ من شأنها أنَّها أتت النبي (ﷺ) وهو بين أصحابه ، فقالت : بأبي أنتَ وأمي يارسول الله . أنا وافدة النساء إليك إنّ الله عز وجل بعثك الى الرجال والنساء كافة فآمنّا بك وبإلآهك ، وإنا معشر النساء محصورات مقصورات قواعد بيوتكم ومقضى شهواتكم وحاملات أولادكم وإنكم معشر الرجال فُضِّلْتُم علينا في الجمع والجماعات وعيادة المرضى وشهود الجنائز

---

(١) ينظر الى الحياة : حمدي عبيد ، ص٥٠-٥١ ، والمرأة في القرآن : للعقاد ، ص٧ .
(٢) سورة البقرة ، الآية : ٢٢٨ .
(٣) سورة النحل ، الآية :٩٧ .
(٤) سورة النساء ، الآية : ١٢٤ .
(٥) المرأة في التصور الإسلامي : عبد المتعال الجبري ، ص٥٦ .
(٦) سورة النساء ، الآية : ٣٢ .
(٧) سورة آل عمران ، الآية : ١٩٥ .
(٨) المتخير من حديث رسول الله : شرحه الآلوسي ، ص١٩٩ .

والحج بعد الحج وأفضل من ذلك الجهاد في سبيل الله عزوجل وان الرجل منكم إذا خرج حاجاً أو مجاهداً حفظنا لكم أموالكم وغزلنا أثوابكم وربينا لكم أولادكم أفلاً نُشاركَكُم في هذا الأجر ؟ فالتفت النبي (ﷺ) الى أصحابه بوجهه كلّه ثم قال : هل سمعتم بمقالة امرأة قط أحسن من مسائلها في أمر دينها من هذه ؟ فقالوا : يارسول الله ماظننا ان امرأة تهتدي الى مثل هذا . فأعلمها الرسول أن في وفاء الزوجة لبيتها وأخلاصها لزوجها مايعدل عمل الرجل كُلّه(١) . ((وكان من عواقب ذلك أنّ النساء صدر الاسلام وجدن في هذا التَبدُّل ، من حالٍ الى حال ، نعمة عظيمة غمرتهن ، فشعرن بمنزلتهن ، وطالبن بحقوقهن ، وقمن بواجباتهن منتعشات الإرواح نشيطات الإجسام . وألفين في امتثال الرجال لأوامر الدين حافزاً لتوكيدهن الواجب نحو الإسلام والإنطلاق به من مجال القول الى مجال العمل))(٢) .

وهكذا لم يغفل الدين الإسلامي حقوق المرأة في الجزاء والثواب وكفل لها الأجر في ميزانِ العدالة الإسلاميةِ . التي تصبُو الى كمال المجتمع .

ويرى الزيّات أنَّ المساواة هي غايةِ ذلك الكمال بقوله : ((إنَّ غاية الكمال الإجتماعي ان يكون الرجل في كفَّة والمرأة في كفّة من ميزان المجتمع . وتلك هي السُنَّة التي فطرنا عليها الله ، والنظام الذي فرضتْهُ علينا الطبيعة ، والواجب الذي يتطلبهُ مِنّا العدل))(٣) .

ب - في حق التَعلُّم

أكَّد الإسلام المساواة بين الرجل والمرأة في حقَّ التَعلُّم فيما نصَّ عليه القرآن الكريم ودعت إليه السُنّة النبوية الشريفة ، بل إنّها جعلته فرضاً في الحدود اللازمة لأمور الدين وشئون الحياة ، قال (ﷺ) : ((طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة))(٤) .

فقد أعطى الإسلام المرأة الحقَّ نفسَه في التَعلُّم كما أعطى الرجل ، وربما حَثَّها على منافستهِ ولاسيما أنّ العلم فضيلة تُعَدُّ من قبيل الحسنات التي يتفاضل بها الناس ، وهو ماتنادي بهِ الشريعة الإسلامية(٥) . ((فأباح لها أن تحصل على ماتشاء الحصول عليه من علم وأدب وثقافة وتهذيب ، بل إنه ليوجب عليها ذلك

---

(١) الإستيعاب ، ١٧٨٧/٤ ، وأسد الغابة ، ٣٩٨/٥ -٣٩٩. وهي أسماء بنت يزيد بن السكن بن رافع بن امرىء القيس الإنصارية كانت تُكنّى أم سلمة ، ويقال لها خطيبة النساء ، شهدت أسماء معركة اليرموك ، وقتلت يومئذٍ تسعة من الروم بعمود فُسطاطها ، وعاشت بعد ذلك دهراً / ينظر الإصابة ،٧/ ٤٩٨ .

(٢) المرأة في حضارة العرب والعرب في تاريخ المرأة : محمد جميل بيهم ، ص٩٢ .

(٣) وحي الرسالة فصول في الأدب والنقد والسياسة والإجتماع : أحمد حسن الزيّات ، ٢١/١ .

(٤) المرأة في الإسلام : علي عبد الواحد وافي ، ص٢٥ ، والمرأة في التصور الإسلامي : عبد المتعال الجبري ، ص٥٥ .

(٥) ينظر النساء المسلمات والتعليم العالي : أنيس أحمد ، ص٦٧ .

في الحدود اللازمة لوقوفها على أمور دينها وحُسن قيامها بوظائفها في الحياة))[(١)] .

ولـمّا كان الإسلام حركة للحياة في شتى مجالاتها ، فمن المسلم به أن يكون هناك اِدراك لكل ذلك ، لأن المعرفة من شأنها أن تُقرِّب الإنسان من الحق والحقيقة ، يقول الله تعالى في كتابه الكريم { **... وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلاَّ أُوْلُوا الأَلْبَابِ** }[(٢)] ويقول تعالى { **... إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ...** }[(٣)] .

وفي ذلك ما يحث كل مسلم ومسلمة على الإلتزام بتلك المباديء قولاً وعملاً[(٤)] . ويشيد الله بالعلم والعلماء ويرفع لهم الدرجات في كتابه الكريم فيقول { **... يَرْفَعْ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ** }[(٥)] . وهذا يعني أنّ الإسلام قد حرص على تعليم المسلمة ((في إطارٍ من الثقة الكاملة بأن تعليمها هو خير ضمان لعصمتها وحمايتها من الإنحراف والزَّلل))[(٦)] . وفي مجال تحقيق مساواة المرأة بالرجل في حق التعلُّم ضرب الرسول (ﷺ) أروع مثل في حِرصِهِ على تعليم المرأة وتثقيفها ، بما أرادهُ من تَعَلُّم زوجَهُ حفصة أُم المؤمنين ، حيث روي أنهُ عند مجيء الإسلام كان هناك خمسةً من نساء العرب يقرأن ويكتبن منهن الشفاء بنت عبد الله العدوية التي كانت تُعلِّم حفصة واستمرت في تعليمها بناءً على طلب الرسول (ﷺ) حتى بعد زواجه منها ، إذ أنّها لـمّا هاجرت الى النبي (ﷺ) وكانت قد بايعته بمكه قبل أن يخرج قدمت عليه ، فقالت : يارسول الله ، إني قد كنتُ أرقى برقي في الجاهلية ، فقد أردت أن أعرضها عليك . قال : فاعرضيها . قالت : فعرضتها عليه ، وكانت ترقى من النملة ، فقال : إرْقِي بها وعلّميها حفصة[(٧)] . ويُقْصَدُ بها تحسين الخط وتزيينه ومن الأمور الدالّةعلى حرص الإسلام وحَثّهِ على تعليم النساء ماروي في بعض الأخبار من أنّ النبي (ﷺ) قد ((زَوَّجَ رجلاً من امرأة على أن يعلمها سورةً من القرآن))[(٨)] .

وقد كان لأُمهات المؤمنين دورٌ بارزٌ في العلم والتعلُّم فأوجب الله تعالى عليهن

---

(١) المصدر السابق ، ص٢٤-٢٥ .
(٢) سورة آل عمران ، الآية : ٧ .
(٣) سورة فاطر ، الآية : ٢٨ .
(٤) النساء المسلمات والتعليم العالي : أنيس أحمد ، ص٦٧ .
(٥) سورة المجادلة ، الآية : ١١ .
(٦) المرجع في الحضارة العربية الاسلامية : إبراهيم سلمان الكوري ، عبد التواب شرف الدين ، ص٤١٧ .
(٧) ينظر الإصابة : للعسقلاني ، ٧٢٧/٧ . وهي الشفاء بنت عبد الله بن عبد شمس وأُمها فاطمة بنت وهب ، أسلمت قبل الهجرة قديماً وبايعت النبي (ﷺ) ، تزوجها أبو حثمة بن حذيفة فولدت لَهُ سليمان بن أبي حثمة وولدت أيضاً لمرزوق بن حذيفة أبا حكيم بن مرزوق وكان شريفاً ، وهاجرت الشفاء الى المدينة / ينظر الطبقات : لابن سعد ، ١٩٦/٨ .
(٨) المرأة بين البيت والمجتمع : البهي الخولي ، ص٢٩ . وينظر المرأة في الفكر الإسلامي : للباجوري ، ٧٢/١ .

تعلم العلم وتلاوة القرآن[١] { وَاذْكُرْنَ مَا يُتْلَى فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ .. }[٢] . ناهيك بما كان لأمهات المؤمنين من المكانة العلمية المتميزة في حياة الرسول (f) وحتى بعد وفاته .

وينبئنا التاريخ الإسلامي أنّ فرص التعلُّم والثقافة ،كانت مُتاحة في أوسع نطاق حتى ((بلغ التعلُّم في المجال النسائي حداً كبيراً جعل النساء يشاركن الرجال تبعة الزحف بالإسلام نحو الخافقين . فعائشة تروي لنا ألفي حديث ، وأختها أسماء تروي ٥٦ حديثاً ... وغيرهن كثير نأخذ عنهن سُنّة النبي (□)))[٣] حتى لقد روي عن عائشة قولهم : ((ما أشكل علينا أمْرٌ فسألنا عنه عائشة إلاّ وجدنا عندها فيه علماً))[٤] . وهناك شواهد كثيرة تدلُّ على وصول النساء العربيات الى مكانةٍ عاليةٍ في شتى أنواع المعارف والفنون ، وقد برز منهن عالمات فاضلات تَعلَّم على أيديهن كثير من رجالات الإسلام .رُوِيَ عن السيدة نفيسة بنت الحسن ، إنّه كان لها بمصر مجلس علم حضرهُ الإمام الشافعي وسمع عليها الحديث ، وكانت تحفظ القرآن وتفسيره[٥] أما الفقيهة الزاهدة هُجَيمة أم الدرداء فقد حضّت على العلم وفَضّلتهُ على كل ماسواه إذ تقول : لقد طلبت العبادة في كل شيء فما أصبت لنفسي شيئاً أشفى من مجالسة العلماء ومذاكرتهم ، وكانت تقول : أفضل العلم المعرفة . وتقول : تعلموا الحكمة صغاراً تعلموا بها كباراً[٦] .

ومن هنا يظهر أنَّ الإسلام قد هيأ للنساء فرصاً في التعلّم حتى شملت موضوعات الفكر وفنون القول ، ووهبها دوراً واضحاً ومتميزاً في تربية أبنائها على وفق مباديء الثقافة العربية الإسلامية وفي موقف أسماء بنت أبي بكر في العزيمة وعِزّة النفس - حين استشهد إبنها عبد الله بن الزبير - أمام الحجاج ، وتحضيض ولدها على الثبات ، وتكبرها عن الإستشفاع له إذ ماكان

---

(١) تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والإجتماعي : حسن أبراهيم حسن ، ١/ ١٧٩ .
(٢) سورة الأحزاب ، الآية : ٣٤ .
(٣) المرأة في التصور الإسلامي : للجبري ، ص٥٧ .
(٤) الإصابة : للعسقلاني ،١٨/٨ .
(٥) ينظر الدر المنثور : زينب العاملي ، ص٥٢١ ، وهي نفيسة بنت الحسن بن زيد بن الحسن بن علي بن أبي طالب وأُمُها أم ولد تزوجها أسحق بن جعفر الصادق بن محمد الباقر فولدت لهُ ولدين القاسم وأم كلثوم ولم يعقبا وبعده تزوجت بالحسن بن زيد فولدت له نفيسة وكانت نفيسة من الصلاح والزهد على الحد الذي لامزيد عليه فيقال أنها حجت ثلاثين حجة ، ولدت بمكة سنة خمس وأربعين ومائة ونشأت بالمدينة في العبادة والزهد ، ولـمّا ماتت عزم زوجها على حملها الى المدينة فسألهُ المصريون بقاءها عندهم فأبقاها ودُفِنَت في الموضع المعروف بها الآن .
(٦) المصدر نفسه ، ص٥٢٩ ـ٥٣٠ . وهي أم بلال بن أبي الدرداء قيل خطبها معاوية بعد أن توفّى زوجها فلم تجب وروى عنها جماعة من التابعين الكبار ، وكانت تقيم ببيت المقدس ستة أشهر وبدمشق ستة أشهر ، فقيهة عاقلة جليلة كانت لاتفترعن الصلاة ملازمة للعبادة وكانت معظمة عند بني أُميّة ، توفيت بعد أبي الدرداء بدمشق ودفنت بباب الصغير .

منها إلاّ أن قالت له يابُني مُتْ كريماً[1] ، مايدل دلالةً واضحةً على مابلغته المرأة العربية المسلمة من السلوك الخُلُقي الراقي ومدى عمق الوعي الذي يمسك بزمام العاطفة .

ج - في حقّ الإرث

لقد أخطأ بعضهم إذ ظنّوا أن الإسلام يتفاوت في الإرث بين الجنسين ، لأننا لو رجعنا الى ماكانت عليه سُنَنْ العرب في عصر ماقبل الإسلام من فوضى التقاليد والأحكام في حق المرأة قدرنا حق التقدير ماحققهُ الإسلام من العدل والمساواة والإصلاح في كل ناحية من نواحي حياتها ، إذ كان من سُنّة العرب أن لايؤول الى النساء من ميراث الرجال شيء وقولهم في ذلك ((لايرثنا إلاّ من يحمل السيف ويحمي البيضة . فاذا مات الرجل ورثُه إبنه ، فإن لم يكن فأقرب من وجد من أوليائهِ ، سواءَ كان أباً ام أخاً أم عمّاً . على حين يضم بناتَهُ ونساءَهُ الى بنات الوارث ونسائِهِ . فيكون لهن مالهن وعليهن ماعليهن))[2] ، حتى بزغ نور الإسلام فأثبت تقديره للمرأة ورعايتهِ حقوقها ، ورفع عنها ذلك الظلم ، واختصَّها بنصيبٍ مما ترك الرجال قال تعالى { **للرّجالِ نصيبٌ ممَّا تركَ الوالدانِ والأقرَبُونَ وللنِّساءِ نَصيبٌ ممّا تركَ الوالدانِ والأقربُون ممّا قلّ منهُ أو كثُر نَصيباً مَفْرُوضاً** }[3] .

روي عن جابر بن عبد الله قوله : ((جاءني رسول الله (ﷺ) يعودني وأنا مريضٌ في بني سَلَمة فقُلتُ يانبي الله كيفَ أقسمُ مالي بين وَلَدي فَلَمْ يَرُدَّ عليَّ شيئاً فنزَلتْ يوصيكم الله في أولادكم للذكرِ مِثلُ حظ الأنثيين[4] الآية))[5] .

وقد يُؤاخَذْ الإسلام في جعلهِ نصيب الذكر مثل حظ الأنثيين ، إلاّ انَّ النظام الإسلامي المتكامل يحرص على أن يوازن بين أعباء كل منهما في الحياة ، وليست صفة الذكورة أو الأنوثة هي المحك فيما يُعْتَدّ بهِ من توزيع الإرث وفق الشريعة الإسلامية[6] .

((فمسئولية الرجل في الحياة من الناحية المادية أوسع كثيراً في الإوضاع الإسلامية من مسئولية المرأة . فالرجل هو رَبُّ الأسرة وهو القوّام عليها والمكلف

---

(١) ينظر العقد الفريد ، ٤/ ٤١٥-٤١٦ ، هي أسماء بنت أبي بكر الصديق بن أبي قحافة عثمان بن عامر من بني تيم ، أُمها قيلة أو قتيلة بنت عبد العزي ، ولدت قبل الهجرة بسبعة وعشرين عاماً . أسلمت بعد سبعة عشر نفساً ، عاشت الى أن وَلَيَ أبنها الخلافة ثم الى أن قُتِلَ ، وماتت بعده بقليل ، كانت تُلَقَّب ذات النطاقين / ينظر الطبقات لابن سعد ، ١٨٢/٨ ، والإصابة للعسقلاني ، ٤٨٦/٧ .

(٢) المرأة العربية في جاهليتها وإسلامها : عبد الله عفيفي ، ٣٣/٢ .

(٣) سورة النساء ، الآية :٧ .

(٤) سورة النساء ، الآية : ١١ .

(٥) صحيح الترمذي ، ٢٤٨/٨ .

(٦) ينظر الفتاة في ظل الإسلام : غادة أحمد جابر ، ص٤٩،٤٧ .

بالإنفاق على جميع أفرادها ... على حين أنّ المرأة لايكلفها الإسلام حتى الإنفاق على نفسها ، ... فكان من العدالة إذن أن يكون حظ الرجل من الميراث أكبر من حظ المرأة حتى يكون في ذلك مايعينهُ على القيام بهذهِ التكاليف الثقيلة التي وضعها الإسلام على كاهله وأعفى منها المرأة رحمةً بها وحدباً عليها وضماناً لسعادة الأسرة))[1] .

وقد بلغت رحمة الرسول (ﷺ) بالمرأة وحُرصَهُ على حقوقها من أن تُهضَمْ أن أوصى الآباء ببناتِهِمْ ورغّبُهمْ في رعايتهن ، وهو القائل : ((ساووا بين أولادكم في العطيّة ، فلو كنتُ مُفضِلاً لفضّلتُ النساء))[2] ، عن سعد بن أبي وقاص قال : ((مرضت بمكة مرضاً أشفيت منه على الموت ، فأتاني النبي (ﷺ) يعودني . فقلت : يارسول الله ، إنّ لي مالاً كثيراً ، وليس يرثني الا إبنتي أفأتصدَّق بثلثي مالي ؟ قال : لا . قلت : فالشطر ؟ قال : لا . قلت : الثلث ؟ قال : الثلث كبير . إنك ان تركت ولدك أغنياء ، خير من أن تتركهم عالة يتكففون الناس . وإنّك لن تنفق نفقة الا أُجِرتَ عليها ، حتى اللقمة ترفعها إلي في إمرأتك))[3] . وكانت أول من استفاد من نظام المواريث في الإسلام أُمُّ كُجّة وابنتاها[4] ، حينما استشهد زوجها أوس بن ثابت الأنصاري وترك ميراثاً يغني بحاجتهن إلاّ أنَّ رجلان من بني عمّه يقال لهما : سويد وعرفجة لم يَدعا مالاً إلاّ أخذاه ، ولمّا لم تجد أُمُّ كُجّة بُدّاً إلاّ أن تمضي الى رسول الله (ﷺ) ذهبت مستصحبة أبنتيها،فقضى إليها العلّي الحكيم من فوق سبع سماواتٍ بحكمٍ جعلهُ أساساً للمواريث بين المسلمين[5] .

((وبحسابٍ صغير نستطيع أن نتبين عدالة توزيع الإرث في الإسلام حيث المرأة تأخذ نصف حصَّة الرجل من الميراث ، ولكنها في المقابل تستهلك منهُ نصف حصّتِهِ ... وهكذا تتحقق العدالة بين الإثنين دون أن يُجحَف بأحدهما ... حسب شريعة الإسلام التي تقوم على العدالة))[6] .

٣ - حقوق الزوجة

كشفت لنا مفاهيم الإسلام عن الرباط الوثيق المقدس الذي كان يحيط بالحياة الزوجية وأظهرت مايجلو عن تلك العروة الوثقى التي كانت تتمسك بها المرأة العربية في ظل رعاية الإسلام للزوجة وحمايتها .

---

(١) المرأة في الإسلام : علي عبد الواحد وافي ، ص٥٠-٥١ . وينظر المرأة بين الفقه والقانون : مصطفى السباعي ، ص٣٤ .
(٢) المتخيّر من حديث رسول الله ، ص١٩٧ .
(٣) المرأة العربية في جاهليتها وإسلامها : عبد الله عفيفي ، ٣٤/٢ .
(٤) ينظر المحبّر : لمحمد بن حبيب ، ص٣٢٤-٣٢٥ . ويروى فيه أنّ الرجلان هما قتادة وعرفطة. والإصابة : للعسقلاني ، ٢٨٤/٨ . ونساء نزل فيهن قرآن : عبد العزيز الشناوي ، ص٩٥-٩٩ .
(٥) ينظر سورة النساء ، الآية :٧،١١ .
(٦) الفتاة في ظل الإسلام : غادة أحمد جابر ، ص٥٠-٥١ .

حيث حمل الإسلام بين طيّاتهِ التوجيه الدقيق للمعايشة مع الزوجة وتقديرها بما يناسب وضعها شريكةً في هذه الحياة ، فجعلها الله عز وجل سكناً وأُنساً ، وأوصى بالمحافظة عليها بالإكرام والرحمة والرفق والمودة قال تعالى { **ومنْ آياتِهِ أنْ خَلقَ لَكُمْ مِنْ أنْفُسِكُمْ أزواجاً لِتَسْكنُوا إليها وجَعَلَ بَيَنكُم مَوّدةً ورَحْمَةَ** }[1] . ولعل مجيء النساء الى الرسول (ﷺ) ليُبايعنه على أن يأتمرنَ بأوامر الله ويجتنبنَ نواهيه من أوضح المظاهر في رفق الله ورسوله بالنساء حيث قال عليه الصلاة والسلام : فيما اسْتَطَعْتَنَ وأطِقْتَنَ . فَقُلْنَ : اللهُ ورَسُولهُ أرحَمْ بنا منْ أنْفُسنَا[2] .

فالإسلام حرص على تأسيس مجتمع واضح الأعراف والمفاهيم فيما يتعلق بالحقوق والواجبات والروابط الإنسانية حاملاً معه كل تقدير وأحترام للمرأة يتناسب واستعدادها الخُلُقي والعقلي فكرّمَ مقامها ، وحفظ كرامتها وافرة ، ونظّمَ حقوقها ، وحرّمَ أن تُعضَل ، وكَرِهَ أنْ تُهانْ[3] . وأوجب على الرجل أن يرعاها ويعفو عنها إذا جهلت وبدا منها شيءٌ من التقصير فهي إن قَصَّرت في شيء أحسنت في آخر ، بما وهبها الله من قُوّة العاطفة ورقّة الوجدان ليكون لها من طبيعتها مايُتيح لها القيام بدورها في الأمومة وحمل أمانة الذرية وتربيتها وتهيأة البيت الهاديء لأشعار الصغار بالطمأنينة والراحة التي تستطيع الأم فقط توفيرها[4] . فضلاً عمّا تقوم بهِ من الأعمال لزوجها وأُسرتها داخل بيتها ، وفي ذلك تقول أسماء بنت ابي بكر (رض) - وهي أخت عائشة أم المؤمنين وزوجة الزبير - ((تزوّجني الزبير ومالهُ في الأرض مال ولامملوك ولاشيء غير فرسه قالت . فكنت أعلف فرسه وأكفيه مؤونته وأسوسه وأدقّ النوى الناضجة وأعلفه وأسقيه الماء وأخرز غربه وأعجن ... وكنت أنقل النوى من أرض الزبير التي أقطعه رسول الله على رأسي وهي على ثلثي فرسخ ...))[5] . والى هذا يشير الرسول (ﷺ) بقوله :

((لايفرك مؤمن مؤمنة إن كره منها خلقاً رضي منها آخر))[6] وهذا الحديث يشهد لَهُ ظاهر قوله تعالى في حُسن المعاشرة ومعاملة الزوجات بالمعروف { **وعاشروهن بالمعروف فإنْ كرهتموهن فعسى أن تكرهوا شيئاً ويجعل الله فيه خيراً كثيراً** }[7] .

وتأتي كلمات الله هذهِ لتبين مدى عناية الدين الجديد بالمرأة ورحمته بها فتقيها يد الله العثرة ، ويوصي بمعاملتها بالمعروف ، بأن يجعل في الصبر على أغلاظِ

---

(١) سورة الروم ، الآية : ٩ .

(٢) الطبقات الكبير : لابن سعد ، ١/٨ .

(٣) ينظر العصر الإسلامي : شوقي ضيف ، ص٢١-٢٢ .

(٤) ينظر المرأة في الفكر الإسلامي : الباجوري ، ص٤٠ .

(٥) الطبقات الكبير : لابن سعد ،١٨٢/٨ . والإصابة للعسقلاني ،٧/ ٤٨٧ .

(٦) المتخير من حديث رسول الله ، ص٦٤ . يفرك : يبغض ويكره .

(٧) سورة النساء ، الآية :١٩ .

الزوجة والرفق بها موضع رضا الله الذي يجعل في تعويضه عن الصبر كثيراً .

قال (ﷺ) : ((مَنْ صبر على سوء خلق أمرأتهِ أعطاه الله مَنَ الأجْرِ ماأعطى أيوب (□) على بلائهِ، ومَنْ صبرت على سُوءِ خَلَقِ زوجها أعطاها الله مثل ثواب آسية بنت مزاحم))[1] .

فأوجب الأسلام على الرجل الرفق واللين في علاج مشاكل الحياة الزوجية وان يُقوّم المِعْوَجَّ بُيسرٍ وهوادة ، ومعاملة الزوجات بالحُسنَى ، لذا كان النبي (ﷺ) يرى خير الناس خيرهم لأهِلهِ ، فيقول عليه الصلاة والسلام : ((خيركم خيركم لأهله ، وأنا خيركم لأهلي))[2] . وكان (ﷺ) شديد اللطف بالنساء ، ((قال أنسُ بن مالك : كنتُ مع رسول الله (ﷺ) في سَفرهِ في حُجّةِ الوَداع ، ومَعَهُ نِساؤهُ ، وكان لهُ حادٍ يَحدوُ بِهنَّ يُقال لهُ ((أنْجَشة)) ، فقال لهُ رسولُ الله (ﷺ) : ((يا أنجشة ! رفقاً رويداً بالقوارير)) . يعني أنّهن ضعاف يسرعُ إليهن الكسر ، ولايقبلن الجبر))[3] .

ومن صور إكرامه ولطفه بالنساء انهُ قال ((أطعم زوجك إذا أطعمت ، واكسها إذا اكتسيت ولاتقبّح الوجه ولاتضربه))[4] .

فمن سمات الزوج المسلم الرحمة والإحسان الى أهله واحتمال إذا هن وكفايتهن ، ويتجلّى ذلك بوضوح من خلال الحديث المروي عن الإمام علي بن الحسين (□) في قوله : ((واما حق زوجتك فان تعلم أن الله عز وجل جعلها سكناً وأنساً ، فتعلم أن ذلك نعمة من الله عز وجل عليك فتكرمها ، وترفق بها ، وإن كان حقك عليها أوجب ، فان لها عليك ان ترحمها لأنّها أسيرتك وتطعمها ، وتكسوها ، وإذا جهلت عفوت عنها))[5] . وهي صفات لازمة لأنها قاعدة البيت المسلم ، فالرجال هم العائلون للنساء لما يحتجنه من مأكلٍ وملبسٍ ، وحسن المعاشرة في لين القول والإبتعاد عن إهانتهن أو ضربهن لأنهن عندهم عوان ، فالزوجة أسيرة لابمعنى الأسر ولكن بما جُبلِت عليه من الضعف الجسماني ورقة العاطفة ، فهي ضعيفة لاتملك لنفسها شيئاً ، ولتأكيد الرسول (ﷺ) في النهي عن إيذاء الزوجة أو ضربها أنّهُ قال في حجة الوداع : ((فلهنّ رزقُهنّ وكُسوتهنّ بالمعروف واستوصوا بالنساء خيراً ، فانهنّ عندكم عَوَانٍ لايمْلكن لأنفسهنّ شيئاً ، وإنكم إنما أخذتموهنّ بأمانة الله))[6] .

فانقطعت إثرَ ذلك تلك السُنَّة الموبقة في أهانة المرأة ، وكأن أنصار الرسول قد خُلقُوا من طبعِهِ في المودة والرحمة فقد تأثرت طباع المسلمين جميعاً بطباع أنصار رسول الله ، لمنزلتهم من الدين ، ومكانهم من عاصمة الإسلام . كما ريضت نفوسهم

---

(١) مكارم الأخلاق : للطبرسي ، ٢٤٥/١ .

(٢) الطبقات الكبير : لابن سعد ،١٤٨/٨ .

(٣) بهجة المجالس وأنس المجُالِس وشحذ الذاهن والهاجس : للقرطبي ، ٥/٢ .

(٤) المتخير من حديث رسول الله ، ص١٩٦ .

(٥) وسائل الشيعة : للعاملي ، ١٣٤/١١ .

(٦) سيرة أبن هشام ، ٦٠٤/٤ .

بقول نبيهم الكريم (f) .
فتجملوا بمواتاة زوجاتهم ، وموادعتهن ، وكف الأذى عنهن . وفي ذلك يقول شُريح بن الحارث الكندي صاحب قضاء المسلمين في عهد عمربن الخطاب ومن أعقبه من الخلفاء :

رأيتُ رجالاً يضربون نساءهم   فُشلَّت يميني يوم أضرب زينبا
أأضربها في غير جُرمٍ أتت بهِ   إليّ فما عُذري إذا كنت مُذنبا[١]

فللمسلمين أسوةً برسول الله (□) الذي كان المثل ألاعلى في معاملة زوجاته ويرى أن الزوجة الصالحة هي خير متاع الدنيا ، أليس هو القائل : ((الدُّنيا متاعٌ ، وَخَيرُ مَتاعِ الدُّنيا الزوجة الصالحة))[٢] ويقول ((من رزقه الله أمرأة صالحة فقد أعانه على شطر دينِهِ فليتقِ الله في الشطر الآخر))[٣] .
ان في تلك الأحاديث النبوية اشارةً واضحةً الى أن المرأة الصالحة ، من أسباب السعادة الزوجية في الدنيا والآخرة ، وهي خير ما استفاد المؤمن بعد تقوى الله ، فيقول (□) : ((مااستفاد المؤمن بعد تقوى الله خيراً من زوجةٍ صالحة ، اِن أمرها أطاعته واِن نظر إليها سَرَّتهُ ، وإن أقسم عليها أبرته ، وإن غاب عنها حفظته في ماله وعرضه))[٤] .
وفي حُسْنِ معاملته ومعاشرتهِ أنهُ كان ينظر الى وجوه زوجاته فيعرف مايُغضبهن ومايسرهن قال (f) لعائشة (رض) : أني لأعرف غضبك ورضاك ، قالت : وكيف تعرفه ؟ قال : إذا رضيت قلت : لا . وربِّ محمد ، وإذا غضبت قلت : لا . وربِّ إبراهيم . قالت : صدقت . إنما أهجر آسمك[٥] ، أي دون غيره من الحب والإخلاص لذاتك الشريفة . وكان يقول لها :
كنت لك كأبي زرْعٍ لأُم زرع غير أني لا أُطلقك . فذلك هو الأمساك بالمعروف
الذي أرادهُ الله سبحانه وتعالى عندما خلق البشر ، وهو أن يكون كل من الرجل والمرأة أحدهما سكناً الى الآخر قال تعالى { **هو الذي خلقكم من نفسٍ واحدةٍ وجعل منها زوجها ليسكن إليها** }[٦] . وذلك للمحافظة على الهدوء والإستقرار ((ولتسير الخلية الأسرية على نظامٍ دقيق فلا تحل الفوضى في

---

(١) الأخبار الموفقيّات : للزبير بن بكار ، ص٤٨ .
(٢) الأحاديث النبوية في الأخلاق والإجتماع والمدنيّة :حمدي عبيد ، ص ٦٨.
(٣) المتخير من حديث رسول الله ، ص ١٩٧ .
(٤) المرجع في الحضارة العربية الإسلامية : إبراهيم سلمان الكروي ، عبد التواب شرف الدين ، ص٤١١ .
(٥) ينظر الطبقات : لابن سعد ، ٥٥/٨ ، وينظر سمير المؤمنات وأنيس الصالحات : عبد الله بدران ، محي الدين بوابيجي ، ص١٤٥-١٤٦ ، وينظر نساء أحبهم الرسول : محمد الصايم ، ص٢٤ .
(٦) سورة الأعراف ، الآية : ١٨٩ .

جوانبها وبذلك يؤمن للمجموعة الحياة الفضلى والسعادة الدائمة))[1] .
أما إذا مُحيَتْ آية المعروف وساءت العِشرة فقد أباح الله التسريح بالإحسان ، وتلك هي قاعدة الحياة الزوجية في الإسلام تكمن في قوله تعالى { **فامساكٌ بمعروف أو تسريحٌ بإحسان** }[2] . فما فضل البقاء على حياة بائسةٍ تعيسة وقد جعل الله الزواج مبعث الودّ والرحمة ، ولكن الإسلام جعل ذلك الفراق ليحد من غرور الرجل واستهتاره بحقوق المرأة ، وليحفظ لها كرامتها ، فهو أداة لتحقيق صالح الأُسرة[3] . ولم يُبح الطلاق على الإطلاق ، بل أحاطه بأحكامٍ وقيود تكفل عدم إيقاعهِ إلاّ في حالات الضرورة ، قال أبن عابدين[4] وهو أحد الفقهاء :((والإباحة للحاجة الى الخلاص عند تباين الأخلاق ووجود البغضاء)) . أما عند استقامة الزوجين ، فقد نهى عنه عز وجل وكان محظوراً ، قيل أنه كان للحسن بن الحسين بن علي بن أبي طالب (d) أمرأة من قريش ضجرت منه يوماً فقال لها : أمرُكِ في يدك .(أي لها الخيار في البقاء في عصمته وفي أن تطلّق نفسها) . فقالت له : أما والله لقد كان في يدك عشرين سنة فحفظته وماضيعتهُ ، أفأضيعهُ إذا كان في يدي ساعةً من نهار . فأعَجَبَهُ قولها . وأحسن صحبتها[5] . وفي ذلك يقول تعالى { **فَإنْ أطَعْنَكُم فَلاَ تَبْغُوا عَلَيهنّ سَبِيلاَ** }[6] ، أي لاتطلبوا الفراق ، حتى إن الإسلام بغّض الناسَ فيه ، وصّورهُ في أبشع صورة ، وحث المسلمين على اتقائهِ ما استطاعوا سبيلاً الى ذلك ، يقول الرسول (f) : ((ومامن شيء أبغض الى الله عز وجل من بيتٍ يخرب في الإسلام بالفرقة ، يعني الطلاق))[7] . ويقول (f) : ((تزوجوا ولاتطلقوا فإن الطلاق يهتز منه العرش))[8] ويقول (f) : ((ماحلف بالطلاق مؤمن ، ولااستحلف به الاّ منافق))[9] . ويروى أن الرسول (f) كَرِهَ أن يطلق زيد زوجته زينب بنت جحش لكثرة إيذائها إيّاه والإستخفاف بهِ ، فلم يَستطعْ إليها سبيلاً وكان يأتي رسول الله (f) فيُخبرهُ ، وطالما يقول لَهُ الرسول (f) إمسك عليك زوجك واتقِ الله[10] . وكما وضعت الشريعة الإسلامية المرأة في أعلى منزلة من قبل الزواج وفي أثنائهِ فقد حفظت لها حقوقها من بعد ذلك أيضاً ،

---

(١) الطلاق أبغض الحلال الى الله : عز الدين السيد علي بحر العلوم ، ص٨٦ .
(٢) سورة البقرة ، الآية :٢٢٩ .
(٣) الطلاق أبغض الحلال الى الله ، ص٨٩ .
(٤) ذكرهُ حسن إبراهيم حسن في كتابهِ تاريخ الاسلام ،١٨٠/١ .
(٥) ينظر العقد الفريد ، ١١٩/٦-١٢٠ ، محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء : للأصبهاني ، ٢٢٥/٣ .
(٦) سورة النساء ، الآية : ٣٤ .
(٧) الطلاق أبغض الحلال الى الله ، ص١١٦ .
(٨) المتخير من حديث رسول الله ، ص١٩٧ .
(٩) المصدر نفسه ، ص١٩٧ .
(١٠) ينظر تاريخ الطبري ، ٦٠٧/١١ . وتاريخ الإسلام : حسن إبراهيم حسن ، ١٨٠/١ ، ونساء نزل فيهن قرآن : عبد العزيز الشناوي ، ص٨٨-٨٩ .

ونظمت قضية الطلاق بما يمنع من تعسف الرجل واستبدادهُ في أمرها فحَرّم عليه أن يأخذ شيئاً من مالها أو أن يسترد شيئاً مما اجتلب لها وعُدّ ذلك اثماً كبيراً . قال تعالى { **وإنْ أردْتُم استبدالَ زوجٍ مكانَ زَوْجٍ وآتيْتُم إحداهُنَّ قِنْطَاراً فَلاَ تأخُذُوا منهُ شيئاً ، أتأخذونَهُ بُهتاناً وإثماً مُبيناً** }[١] . ((فكلفهُ أن يدفع للمرأة صداقها ، ومنعهُ أن يأخذ من ذلك الصداق شيئاً عند الفراق ، حتى يكون في هذه الخسارة المالية وماسوف يحتاج الى بذلهِ للزوجة الجديدة مايحول بينَهُ وبين الطلاق إن كانت لَهُ مندوحة))[٢] . وبهذا عرقل الإسلام عقد الطلاق ووصف الزواج بمالم يصف به أي عقدٍ آخر ، فسمّاهُ القرآن بالميثاق الغليظ ، قال تعالى { **وكيفَ تأخُذُونها وقدْ أفضَىَ بَعْضُكُمْ إلى بعْضٍ وأخَذْنَ منْكُمْ مِيثاقاً غَلِيْظاً** }[٣] . وصداق المرأة من حقها فلا يجوز أخذه وان استحقهُ بيت مال المسلمين ، صعد عمر (رض) المنبر فقال ((أيُّها الناس لاتزيدوا في مهور النساء على أربعمائة درهم فمن زاد ألقيت زيادته في بيت مال المسلمين فهاب الناس أن يكلموه ، فقامت إمرأة في يدها طول فقالت لهُ كيف يحل لك هذا والله تعالى يقول وآتيتم إحداهُنّ قنطاراً فلا تأخذوا منه شيئاً فقال عمر رضي الله عنه إمرأةٌ أصابت ورجلٌ أخطأ))[٤] .

ولحرص الإسلام على ديمومة الحياة الزوجية وعدم العبث برباطها ، ينصح القرآن أن يعرض مابين الزوجين من خلاف على حكمين من أهله وأهلها ليبحثا أسباب الشقاق ويوفقا بين الزوجين قال تعالى { **وإنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَينِهِمَا فابْعثُوا حَكَماً منْ أهْلهِ وحَكَماً مِنْ أهْلَهَا إنْ يُرِيدَا إصْلاحاً يُوفقُ اللهُ بَيْنَهُمَا ، إنَّ اللهَ كانَ عَليماً خَبيَرا** }[٥] .

وفي عصر ماقبل الإسلام كان الرجل إذا ظاهر زوجته حُرِّمَتْ عليه ((والظهار عملية إنتقامية كان الرجل يقوم بها لأنزال الإذى بزوجتهِ لو ظهر منها مايزعجهُ أو صَدَر منها مايثير عواطفهُ فيقول لها : (أنت عليّ كظهر أمّي)))[٦] .

ويُعدُّ أوس بن الصامت أول من ظاهر في الإسلام وكانت إبنة عمّ لهُ يقال لها خولة فظاهر منها فانطلقت الى الرسول (ﷺ) فقصّت أمرها وأمر زوجها عليه فأنزل الله تعالى قوله { **قدْ سَمِعَ اللهُ قوْلَ التي تُجادلُكَ في زَوْجِها وتَشْتَكِي الى اللهِ واللهُ يَسْمَعُ تَحاورَكُمَا إنّ الله سميعٌ بصير** }[٧] . فأمره رسول الله (ﷺ) بما

---

(١) سورة النساء ، الآية : ٢٠ .
(٢) تاريخ الإسلام : حسن إبراهيم حسن ، ١٨١/١ .
(٣) سورة النساء ، الآية : ٢١ .
(٤) المستطرف في كل فن مستظرف : شهاب الدين الأبشيهي المحلي ، ٥٦/١ . وينظر بلاغات النساء : لابن طيفور ، ص١٣٢ .
(٥) سورة النساء ، الآية : ٣٥ .
(٦) الطلاق أبغض الحلال الى الله ، ص٢٢ .
(٧) سورة المجادلة ، الآية : ١ .

أمرَهُ منْ كُفّارَة الظهار[1] ، ووضع الله كُفّارة الظهار ليحد من كبرياء الزوج وأنانيتهِ ، وليحفظ قيمة الزوجة واعتبارها ، فتلك المرأة التي سمع الله قولها من فوق سبع سماواتٍ حفظ لها الإسلام كيانها وحافظ على الأسرة من التصدع والإنهيار .

وبهذا ((يحيط الإسلام عقد الزواج بسياجٍ من القدسية ، ويضفي عليه من الجلال مايميزهُ عن سائر العقود ، ويسمو بهِ فوق مايرتبط به الناس في شئون حياتهم من التزامات ، وينزلهُ في النفوس منزلة المهابة والإكبار))[2] .

٤ ـ كرامة المُسلمِة وحُرْمَة رأيَها :

رفع الإسلام عن كاهل المرأة الكثير من الظلم واختصّها بنصيبٍ من الحُرمةِ والكرامة لم يظفر بمثلهِ نظراؤها من الرجال .((إنّ كرامة المرأة في الإسلام تتناول شخصها وسيرتها ، وتشمل مشهدها ومغيبها . فمن حقها ان تكون هي في موطن الرعاية والعناية ، وأن يكون آسمها بمنجاةٍ من لغو القول ، ومَنَال اللسان))[3] .

فقد حافظ الإسلام على كرامة سيرتها وصيانة اسمها وحرص على العرض والتزام العفاف لاخوفاً من القصاص فحسب وإنماً تديناً وتقوى وتَرفُّعاً بكرامة المرأة عن السقوط والإبتذال ، فالمرأة المسلمة بلغت مستوىً رفيعاً من الإدراك للفضيلة فهي عفيفة القلب تكره أن يتطلعَ إليها الرجال ولاتطمع في أن ينظر إليها أحد سواء أكان صالحاً أم طالحاً ، سأل الرسول محمد (ﷺ) أبنته فاطمة : أيُّ شيءٍ أحبُّ الى المرأة ؟ فقالت : ((أن لاترى الرجل المحرَم ، ولا الرجل المحَرَم يراها))[4] فضمّها الرسولُ الى صدرهِ مسروراً بذلك الحِس الديني الصادق والعِزّة التي حفظها الإسلامُ للمرأة .

((مرّت إعرابيةٌ بقومٍ من بني نُميَر ، فأداموا النظرَ إليها ، فقالت : يابني نُميَرَ ، والله ما أخذتم بواحدةٍ من اثنتين : لا بقول الله { **قُلْ للمُؤمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أبصَارِهمْ** }[5] ولا بقول جرير :

فَغُضَّ الطَّرفَ إنّكَ من   فَلاَ كَعْباً بلغتَ ولاكلابا

(١) ينظر الإصابة ، ٦١٨/٧ ، ونساء نزل فيهن قرآن : عبد العزيز الشناوي ، ص٧٦ . وثلاثون مؤمنة وصحابية كن مشاعلاً للنور : محمد موسى أبو شرار ، ص١٧٩-١٨٤ . وسمير المؤمنات وأنيس الصالحات : عبد الله بدران ، محي الدين بوابيجي ، ص٧٢-٧٦ . وهي خولة بنت مالك بن ثعلبة بن عمرو بن عوف ويقال خولة بنت حكيم ويقال خويلة ، بالتصغير بنت خويلد أمرأة أوس بن الصامت ، أخي عبادة أنزل الله فيهما صدر سورة المجادلة بعد أن ظاهرها زوجها وشكت ذلك الى رسول الله (ﷺ) .

(٢) المرأة في الإسلام : علي عبد الواحد وافي ، ص٧٨ .

(٣) المرأة في جاهليتها وإسلامها : عبد الله عفيفي ، ٤٣/٢ .

(٤) الزهراء فاطمة بنت محمد (ﷺ) : عبد الزهراء عثمان محمد ، ص١٠٩ .

(٥) سورة النور ، الآية : ٣٠ .

فاستحيا القوم من كلامها وأطرقوا))[١] .
وكانوا في الجاهلية مع حِرصِهم على العِرضِ والعِفّة إلاّ أن المرأة العربية لم تكن تألف الحجاب كثيراً فتخرج الحرة والأمة مكشوفات يغشين المحافل ويمشين في الأسواق ، تَتَّشِحُ المرأةُ القَلائدَ وتلبس الأساورَ وتُزَيّنُ بالخلاخل لتستثير عواطف الناظرين إليها[٢] .
وقد وصف كثيرٌ منهم حُلي النساء يقول الأعشى[٣] :

إذا لَبِسَتْ شَيْدَارةً ثُمَّ بمعصَمِها والشَّمْسُ لمّا
وأَلْوَتْ بِكَفٍّ في سِوَارٍ بَنَانٌ كَهُدابِ الدِّمَقسِ

فلما انبسط ظل الإسلام أعتبر عفاف المرأة من أشرف الخصال فحرّم على النساء التبرج وعرض الزينة ومفاتن الجسد ، لما أرادهُ لها من الحُرمةِ والتصوّن والإبتعاد عن منال العيون ، قال تعالى { **ولاتَبُرجنَّ تَبَرُج الجاهليةِ الأُولىَ** }[٤] .
وحثَّ الإسلام على عدم إبداء زينتهن إلاّ ماظهر منها ، وإذا خرجت المسلمة الى بعض شأنها أن تضرب بخمارها على صدرها كي لايظهر شيء من جسدها أو زينتها ، وأن تَغُضَّ البصر وتحترس بنفسها من نظرات الفتنة والغِواية . قال تعالى { **وقُل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن ويحفظن فروجهن ولايبدين زينتهن الاّ ماظهر منها وليضربن بخمرهن على جيوبهن** }[٥] . ومن صور المسلمة تحترس من رؤية الناس لها في طريقها - من والى المسجد - ما روي عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت : ((لقد كان رسول الله (ﷺ) يصلي الفجر فيشهد معه نساء من المؤمنات متلفعات في مروطهن . ثم يرجعن الى بيوتهن ما يعرفهن أحد))[٦] . وذلك صوناً لكرامة المرأة وسمّواً بها عن صغار النفوس الذين كانوا يتعرضون للمؤمنات بما يؤذيهن من نظرةٍ تمثل الخيانة أو كلمة تحكي الإنحطاط والضِعَة[٧] .
ولـمّا كانت تخرج الحُرَّةَ فتُحْسبُ أنّها إمَةً فَتُؤذَى أمر الله الحرائر بالتجلبب كي لايتبعهن الزناة ولايؤذيهن ضعاف الدين فتقع التُّهَم كما في الجاهلية[٨] ، اذ قال تعالى : { **ياايُّها النبيُّ قُلْ لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين**

---

(١) عيون الأخبار : لابن قتيبة ، ٨٥/٤ . وينظر من عيون الأخبار : حمدي عبيد ، ص١٨٢ .
(٢) ينظر حول التعاليم الإسلامية : عبد الأمير الجمري ، ص٢٧٢ . والمرأة في الشعر الجاهلي : علي الهاشمي ، ص٨٢ .
(٣) ديوان الأعشى ، ص٣٥٥ .
(٤) سورة الأحزاب ، الآية : ٣٣ .
(٥) سورة النور ، الآية : ٣١ .
(٦) المرأة في التصور الإسلامي : الجبري ، ص١٧١ ، والمرط : هو الملحفة أو الإزار أو الثوب الأخضر وهو ثوب كالشال الكبير يغطي الرأس والجسم .
(٧) ينظر حول التعاليم الإسلامية : عبد الامير الجمري ، ص٢٦٨ .
(٨) ينظر الطبقات الكبير : لابن سعد ، ٨/ ١٢٦-١٢٧ .

عليهن من جلابيبهن ذلك أدنى أن يعرفن فلا يؤذين }[1] .

وهذا لايعني أن المرأة المسلمة كانت بمعزل عن الحياة العامة لقومها ، بل إن الواقع التاريخي يشهد بأنها كانت في كل مجالٍ حيوي عام ، ولم يفهم المجتمع الإسلامي من حجاب المرأة إلاّ ماأرادهُ لها القرآن الكريم من عِزَّةٍ وتصوّنٍ وبُعدٍ عن الإبتذال[2] .

ويرى العقّاد أن المفهوم من الحجاب في الإسلام ليس إخفاء المرأة وحبسها في المنزل ، بقوله : ((فلا حجاب اِذن في الإسلام بمعنى الحبس والحجز والمهانة ، ولاعائق فيه لحرية المرأة حيث تجب الحرية وتقضي المصلحة . وإنما هو الحجاب مانع الغواية والتبرج والفضول ، وحافظ الحرمات وآداب العفة والحياء))[3] .

وتوضح الآية ٣٥ من سورة الأحزاب كيف أن الله قد أعَدَّ للمؤمنات منهن في ذلك المغفرة والأجر العظيم بقوله تعالى : { **إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا** } .

أما الحفاظ على سيرة المرأة وصيانة اسمها فذلك ماسعى إليه الإسلام ، ولانحسب شريعةً من الشرائع حاطتهما بمثل حياطة الإسلام لهما وإن في حديث الإفك ، ومأنزل الله في شأنه ، لموعظَة وذكرى لقومٍ يعقلون . فأنَّ ناساً لم يبرأوا بعد من وضر الجاهلية نالوا من اسم عائشة بألسنتهم ، وأعقبهم جماعة المنافقين فذهبوا بالقول كل مذهب ، واحتجز بقية المؤمنين أنفسهم عن الخوض حيث يخوض الناس ، فأنزل الله في سبيل ذلك الآيات الكريمة ، تبرئةً لأم المؤمنين وفيها أهال سَخطةُ وغضبةُ على المرجفين[4] . يقول الله تعالى في تبرئتها : { **إنَّ الذّينَ جاءُو وبالإفكِ عُصْبةٌ مِنكُمْ لاتحْسَبُوهُ شَرّاً لكُمْ بَلْ هُوَ خيرٌ لكُمْ لِكُلِّ امرىءٍ مِنْهم مّا اكتسَبَ مِنَ الإثمِ والذي تَولّى كِبَرهُ مِنهُم لهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ** }[5] . الى آخر الآية الكريمة ، وخلاصة حديث الإفك ((أنه في غزوة بني المصطلق تركت عائشة هودجها باحثة عن عقدها الذي فقدته ، ولـمّا عادت كانت القافلة قد رحلت دون أن يشعر الركب بتخلّفها . وظلّت عائشة وحيدة في ذلك الطريق القفر ، حتى وجدها صفوان بن المعطل وأوصلها الى منزلها . إلاّ أن حاسدات عائشة وأعداء النبي اختلقوا إشاعات غير بريئة حول الحادث

---

(١) سورة الأحزاب ، الآية : ٥٩ .
(٢) ينظر الشاعرة العربية المعاصرة : عائشة عبد الرحمن (بنت الشاطيء) ، ص١٠ .
(٣) المرأة في القرآن : عباس محمود العقاد ، ص٦٦ .
(٤) رواه البخاري ، ١٠٣/٢ .
(٥) سورة النور ، الآية : ١١-٢٦ .

العارض))[1] .

فاشتد الله سبحانه وتعالى في كتابه الكريم على قاذ في النساء في أعراضهن وجعل عقوبة القاذف ثمانين جلدة ، ثم تبعها بأخرى أشد وأخزى وهي اتهامَهُ أبد الدهر في ذِمَّتهِ وأن لاتُقْبَلْ لهُ شهادةً أبداً ، وَوَسَمَهُ بعد ذلك بسمة هي الأقبح وهي سمة الفسوق ، ووصمة الفجور قال تعالى { **والذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا بأربعة شهداء فاجلدوهم ثمانين جلدة ولاتقبلوا لهم شهادةً أبداً وأولئك هم الفاسقون** }[2] . ثم نزلت آية أُخرى تدافع عن المحصنات وتشتد على أُولئك الجناة باللعنة في الدنيا والآخرة ، قال تعالى : { **إن الذين يرمون المحصنات الغافلات المؤمنات لُعِنُوا في الدُّنيَا والآخرة ولهم عذابٌ عظيم** }[3] . وقد عدَّ الرسول (ﷺ) قذف المحصنات من السبع الموبقات التي يَحِثُّ على اجتنابها بقوله : ((إجتنبوا السبع الموبقات : الشُرك بالله ، والسحر ، وقتل النفس التي حرّم الله إلاّ بالحق ، وأكل الربا ، وأكل مال اليتيم ، والتولّي يوم الزحف ، وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات))[4] .

وأمّا في شأنهم قبل الإسلام فأنّهُ على الرغم من أنّ كثيرين منهم كانوا يحترمون رأي المرأة في أغلب المسائل ، ويحسبون لهُ حساباً في موافقتها على الزواج إلاّ أنّ الزواج والطلاق وتعدُّد الزوجات كان على كثيرٍ من الفوضى وعدم الإنتظام ، ولم تُعطى المرأة فيهِ حقّها في التصرف والأستقلال فهي وماتملك تابعة لأبيها أو لزوجها ، إذ كان من سُنَنِ فريقٍ منهم أنّهُ يحقّ للولد أن يمنع أرملة أبيه من الزواج بأن يلقي عليها ثوبه فتعامل في هذه الحالة معاملة التركة ، حيث يتزوج الرجل زوجة أبيه كجزءٍ من ميراثهِ[5] . وقد أشار الى ذلك أوس بن حجر في قوله :

والفارسيةُ فيكُم غَيرَ فَكُلّكُم لأبيهِ ضيزنٌ [6]

وقد تفتدي المرأة نفسها عند وفاة زوجها بأن تدفع الى إبنهِ الذي يتزوجها بعد وفاة أبيه مالاً مقابل فراقهُ لها وتطليقهُ إيّاها[7] ، وظلّ هذا شأنهم الى أن جاء الإسلام ونزل الوحي بتحريم ذلك ، إذ كان محصن بن أبي قيس بن الأسلت قد

---

(١) نساء لهن في التاريخ الإسلامي نصيب : علي إبراهيم حسن ، ص٣٢-٣٣ . وينظر ثلاثون مؤمنة وصحابية كن مشاعلاً للنور : محمد موسى أبو شرار ، ص٧٧-٨٠ . وينظر سمير المؤمنات وانيس الصالحات : عبد الله بدران ، محي الدين بوابيجي ، ص١٣٩-١٤٤ .

(٢) سورة النور ، الآية : ٤ .

(٣) سورة النور ، الآية : ٢٣ .

(٤) أخرجه أحمد في المسند ،٢٠٢/١ ، ٢٩١/٥ . وينظر المهلكات من كبائر النساء : أُم الخير سلمى بنت محمد ، ص٢١ .

(٥) ينظر تاريخ العرب في الجاهلية وعصر الدعوة الإسلامية : رشيد الجميلي ، ص٢٠٦ ويسمى هذا النوع من الزواج (زواج المقت) .

(٦) المحبّر : محمد بن حبيب ، ص٣٢٥ . والضيزن هو من يخلف على أمرأة أبيه عندهم .

(٧) ينظر تاريخ العرب : للجميلي ، ص٢٠٩ ويسمى هذا النوع من الطلاق (طلاق الخلع) .

ألقى ثوبه على امرأة أبيه كُبيشة بنت معن ، من بني خطمة ، فورث نكاحها ثم تركها لايدخل بها ولاينفق عليها . فأنطلقت الى رسول الله (ﷺ) ، فأخبرته ، فقالت : ((تركني لاينفق علي ولايخلي سبيلي فألحق بأهلي)) . فأرجعها الرسول حتى يحدث الله في شأنها شيئاً فنزلت الآية الكريمة (١) { **يأيُّها الذين آمنوا لايَحِلُّ لَكُم أن تَرِثُوا النساء كُرهاً ولاتعضلوهن لتُذهِبُوا ببعضَ ماأتيتموهن إلاّ أن يأتين بفاحشةٍ مُبَيّنَة** }[١] ثم أنزل الله تعالى قوله (٢) { **ولاتنكحوا مانكح آباؤكُم من النِّساء إلاّ ماقدْ سَلَفْ** }[٢] وهي أول امرأة حُرِّمَتْ على ابن زوجها[٣] .

فبمجيء الإسلام أعلن للملأ أن المرأة عزيزةٌ كريمةٌ ، وليست متاعاً يورث ، واعترف لها بشخصيتها وكرامتها وأجاز لها أن تختار الزوج الذي تريده أختياراً حُرَّاً ولايحقُّ لأبيها أو وليِّها اِجبارها على ما لاتريدهُ ، وهناك أحاديث كثيرة تتعلق بوجوب إستئذان المرأة عند زواجها فأوجبت على الثيّب التصريح بالإذن ، واكتفت من البكر بما يدل على رضائها وفي هذا يقول الرسول (ﷺ) : ((لا تُنْكَحُ الثَّيِّبُ حَتّى تُسْتَأْمَرَ ، ولا البِكْرُ حتّى تُسْتَأْذَنَ ، وإِذْنُها الصُّمُوتْ))[٤] .

وبهذا أعطى الإسلامُ للمرأة الحق في ذلك ، بما يقتضي الإنصاف والعدل في أختيار زوجها دون ممارسة الضغط لغاية العضل أو لغرض منفعة شخصية[٥] ، فاذا زوجت البكر دون أن تستأذن فهي بالخيار إن شاءت أمضت العقد وان شاءت أبطَلَتْهُ ، وإذا زوِّجَت الثيِّب دون أن تُستَأمر فالعقد باطل ، روي أن الرسول (ﷺ) رد نكاح خنساء بنت خُذام الأنصارية التي زوجها أبوها وهي كارهة ، بعد أن تأيمت من زوجها ، فأمر الرسول (ﷺ) أباها أن يلحقها بهواها ، فاختارت أبا لبابة[٦] . وفي ذلك يقول الله تعالى : { **فاذا بلغن أجلهن فلا جناح عليكم فيما فعلن**

---

(١) سورة النساء ، الآية : ١٩ .

(٢) سورة النساء ، الآية : ٢٢ .

(٣) ينظر المحبّر : لمحمد بن حبيب ، ص٣٢٦-٣٢٧ ، والإصابة : للعسقلاني ، ٩٢/٨ ، ونساء نزل فيهن قرآن : عبد العزيز الشناوي ، ص٦٦ ، وسمير المؤمنات وأنيس الصالحات : عبد الله بدران ، محيي الدين بوابيجي ، ص٨٧-٨٩ .

(٤) سنن ابن ماجه ، ٦٠١/١-٦٠٢ . وينظر المُهلكات من كبائر النساء : أُمُّ الخير سلمى بنت محمد ، ص١٩ . الصموت كالسكوت لفظاً ومعنى .

(٥) وهذا لا ينفي وجود بعض الحالات التي يُراعى فيها حساباً لرأي الفتاة في الموافقة على الزواج في عصر ما قبل الإسلام ، وفي كلام أبن عبد ربه عن هند بنت عتبة أم معاوية بن أبي سفيان ما ينهض دليلاً على صحة هذا الرأي ، وهي أنها طلبت من أبيها أن لا يزوجها من أحد حتى يعرض عليها أمره ويبين لها خصاله . وقيل أنها لمّا خطبها الخُطّاب وعُرِضَتْ عليها خصالهم وناقشتها وفاضلت بينهم فضّلت أبا سفيان / ينظرالعقد الفريد : لابن عبد ربه ، ٨٧/٦-٨٨ .

(٦) ينظر الطبقات الكبير ، ٣٣٤/٨ . وينظر أعلام النساء ، ٣٠٤/١ . والمهلكات من كبائر النساء ، ص١٩ . وهي خنساء بنت خُذام الأنصارية أسلمت وبايعت الرسول ، راوية من راويات الحديث روت عن النبي (ﷺ) ثمانية أحاديث ، كانت تحت أنيس بن قتادة الأنصاري فقُتل عنها يوم أُحد .

في أنفسهن بالمعروف }[1] .

ولايعني ذلك أن الإسلام لم يُبِحْ للآباء الإشتراك بالمشورة والرأي ، ولكن ليس لهم أن يُجبِرُوا بناتهم على زوجٍ معين ، وإنْ أختاروا لهن أزواجاً أنْ لايزوجوهنْ الاّ برضاهنْ .

ذهبت فتاة الى السيدة عائشة (رض) فقالت لها : إن أبي زوجني إبن أخيه ليرفع بي خسيسته فقالت لها : إنتظري حتى يحضر النبي ، فلما حضر رسول الله (ﷺ) شكت إليه أنّ أباها زوّجها وهي كارهة ، فخيَّرها النبي (ﷺ)[2] ، فقالت يارسول الله : ((قَدْ أجَزْتُ ماصنَعَ أبي ، ولكنْ أردْتُ أنْ تَعْلَمَ النِّساءُ أنْ ليْسَ الى الآباء من الأمر شَيءْ))[3] .

وهذا إن دل على شيء فهو يدل على استقلال كيان المرأة العربية ، وحُرمَة رأيّها اللذين حفظهما لها الإسلام . ولله دُرّ البلجاء التي سَجّل لها التاريخ مواقفَ خالدة في البطولة وحُرمَة الرأي ((وهي من زعماء طائفة الخوارج كانت تثير طائفتها ضد عبيد الله بن زياد فأراد هذا الأمير قتلها ، وعرض عليها بعض أصحابها الهرب ، فرفضت ذلك ، واستدعاها عبيد الله فذهبت إليه أشجع ماتكون نفساً ، فأمر بتعذيبها حتى ماتت))[4] .

وفي استجابة المرأة الى الدعوة الإسلامية مايُميّز استقلالها في الرأي ، حيث أشارت المصادر الى أن بعض النساء قد أسلمن على الرغم من إنهُنّ في أُسرٍ مُشركة ، مثل حواء بنت يزيد بن السكن الأنصارية زوجة قيس بن الخطيم المشرك التي كتمت إسلامها ، إذ كان يتعبّثُ بها ويُسيءُ صحبتها ، حتى كلَّمَهُ الرسول (ﷺ) في أمرها فتركها لدينها وأظهرت حواء ماكانت تُخفي من الإسلام[5] . ومنهن أُمُّ سُلَيم بنت ملحان التي كانت تُجادِلُ زوجها مالك بن النضر وهو مُصرٌّ على شُركهِ فظلّت تسخر منه الى أن مات مُشركاً ، وقد كان لها من حُرمة الرأي ماكان ، فقد خطبها أبو طلحة وهو مُشرِك فما لبثت أن جعلت غُرَّة الإسلام بين عينيه ، بعد أن شرطت عليه أن يكون هو مهرها ، ولم ترضَ بصداقٍ غيره فقال لها أبو طلحة : ماذا دهاك يارُميصاء أين أنتِ من الصفراء والبيضاء - يريد الذهب والفضّة - فردَّتْ عليه قولها : إن أنت أسلمت فذلك مهري لاأُريدُ من الصداقِ غيره . فأسلم أبو طلحة أمام الرسول (ﷺ) وزوّجهُ إياها

---

(١) سورة البقرة ، الآية : ٢٣٤ .

(٢) أخرجه أحمد في المسند ، ٢٤٦٩/٤ .

(٣) سُنن أبن ماجه ، ٦٠٢/١- ٦٠٣ وينظر المرأة بين البيت والمجتمع : البهي الخولي ، ص٢٨ .

(٤) نساء لهن في التاريخ الإسلامي نصيب : علي إبراهيم حسن ، ص٧٤ . وأعلام النساء : عمر رضا كحالة ، ١١٩/١ .

(٥) الطبقات الكبير : لابن سعد ، ٢٣٧/٨ . وينظر أعلام النساء : عمر رضا كحالة ، ٢٥٧/١- ٢٥٨ .

على ماشرطت ، وكان الصداق بينهما الإسلام(١) .

وفي احترام رسول الله (ص) لرأي المرأة ، وهو الذي رسم لها حياةً عفيفةً مصونةً من كل ذلّةً ومهانة واكبارهُ لها إكباراً شَرَّفَ بهِ نساء قريش بأسرها بقوله : ((خيرُ نساءٍ رَكِبْنَ الإبلَ نساءُ قُريشٍ ، أحناهُ على ولدٍ في صغرهِ ، وأرعاهُ على زوجٍ في ذاتِ يدهِ))(٢) ، ماكشفت به لنا أمُّ هانيء بنت أبي طالب عن موقفٍ من أدق المواقف حيث أبدت صفحة العذر عن بلوغ أقدس منزلة تبلغها المرأةُ المسلمة ألاَ وهي منزلةُ زوج الرسول وأمُّ المؤمنين ، حيث خطبها رسول الله (ص) فقالت : ((والله لهو أحبُّ اليَّ من سمعي وبصري ، ولكن حقه عظيم وأنا مُؤتِمَةٌ، فإن قمتُ بحقهِ خِفتُ أن أُضيّع أيتامي ، وإن قمتُ بأمرهم قصّرت عن حقّهِ))(٣) . فقال النبي في ذلك قوله في نساء قريش .

ويعدّ ذلك من أدلّ الأعمال التي يحق للنساء المسلمات الإفتخارُ بها إذ احترم الإسلامُ رأيها وأعلى مركزها وأعاد اليها مكانتها الرفيعة السامية التي تستحقها ، ومن بين المزايا التي انفردت الشريعة الإسلامية بمنحها للمرأة المسلمة ماجعلهُ الرسول الكريم (ص) من إقرار الأمان ، عن أم سَلَمَة زوج النبي (ص) : أن زينب بنت رسول الله (ص) أرسل إليها زوجها أبو العاص بن الربيع ، أن خُذِي لي أماناً من أبيكِ فخرجت فأطلقت رأسها من باب حجرتها ، والنبي (ص) في صلاة الصبح يصلي بالناس فقالت : أيُّها الناس أنا زينب بنت رسول الله (ص) واني قد أجرتُ أبا العاص . فلما فرغ النبي (ص) من الصلاة : قال أيُّها الناس إني لم أعلم بهذا حتى سمعتموه . ألاَ وأنّهُ يُجيُر على المسلمين أدناهم(٤) ، وكذلك استأمنت أمّ حكيم بنت الحارث المخزومية زوجها عكرمة بن أبي جهل من رسول الله (ص) فأمنه وأرجعته بعد أن هرب الى اليمن فأدركتهُ وهي تصيح :

يابن عم جئتك من أوصل الناس وأبر الناس وخير الناس لاتهلك نفسك وقد استأمنت لك منه فأمنك(٥) .

---

(١) المصدر نفسه ، ٣١٠/٨ ـ٣١٨ . وينظر المرأة بين البيت والمجتمع : البهي الخولي ، ص٢٩-٣٠ ، وثلاثون مؤمنة وصحابية : محمد موسى أبو شرار ، ص١٩٧ وسمير المؤمنات : عبد الله بدران . محي الدين بوابيجي ، ص٢١٦-٢٢٠ . وهي أمُّ سُلَيم بنت ملحان بن خالد ، مجاهدة جليلة ذات عقل ورأي أسلمت مع السابقين الى الإسلام وبايعت رسول الله (ص) ، أشتهرت بكنيتها واخْتُلِفَ في اسمها ، فقيل : سهلة ورميلة ورَمَسة ومليكة والعميصاء والرميصاء / ينظر أعلام النساء ، ٦٥٠/٢ .

(٢) صحيح البخاري ، ٣/ ٢٤٠ .

(٣) العقد الفريد : لابن عبد ربه ، ٨٩/٦ . والطبقات الكبير : لابن سعد ، ٨/ ١٠٨-١٠٩ . والمرأة في جاهليتها واسلامها : عبد الله عفيفي ، ٢/ ٥١ . وسمير المؤمنات : عبد الله بدران ، محي الدين بوابيجي ، ص٢٠٦ . أيتمت : صار أولادها يتامى .

(٤) السُنن الكبرى : للبهيقي ، ٩٥/٩ . وينظر المرأة في الفكر الإسلامي ، ١٩٤/١ـ١٩٥ . وأعلام النساء ، ٥١٥/١ـ٥١٨ . وثلاثون مؤمنة وصحابية ، ص٦٥ .

(٥) ينظر الإصابة ، ١٩٣/٨ . وينظر أعلام النساء ، ٢٣٧/١ . وثلاثون مؤمنة وصحابية ،

وهكذا باتت المرأة العربية محققة أسمى الصور في العِزّةِ والإستقلال ، فلم يصدق وعيّها ذلك الفجر الجديد ((فراحت ترسل العيون الى مهبط النبوة على صورة وفود تفِد على النبي لتسأله عن الدين الجديد ونظامهُ الإساسي ، وكانت الوفود ترجع وهي كتلة من الإيمان وشحنة من النشاط والقوة ، حيث لم تكتفِ بالسؤال من النبي بل كانت تزور البيوت المسلمة فتشاهد بعينها مكانة المرأة فيها))[١] .

٥ ـ الأمة في الأسلام :

حرص الإسلام على تقرير المساواة بين جميع الناس في أكمل صورها ، وجعلها عقيدةً أساسيةً يجب أن يؤمن بها كل مسلم ، فقد جعل الله المؤمنين إخوة لاتفاوت بينهم إلاّ بقدر تفاضلهم بالحق ومايُظهر ذلك جلياً في أبلغ العبارات دلالةً هو قول الرسول (ﷺ) في خطبة الوداع : ((أيُّها الناس إنما المؤمنون إخوة ... إنّ رَبُّكم واحد ، وإنّ أباكم واحد ، كلكم لآدم وآدم من تراب . إنّ أكرمكم عند الله أتقاكم ، ليس لعربي فضلٌ على عَجميّ إلاّ بالتقوى))[٢] .

فالناس جميعاً ينحدرون من أبٍ واحد وأمٍّ واحدة والتفاضل بينهم في نظر الله تعالى إنما يجري على أساس أعمالهم ومبلغ محافظتهم على حدود دينهم فأكرمهم عند الله أتقاهم ، وفي هذا يقول عز وجل : { **يأيُّها النّاسُ إنّا خلقناكم من ذكرٍ وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا ، إن أكَرمكُم عند الله أتقاكمْ ، اِنّ الله عليمٌ خبير** }[٣] .

ولم تكن المرأة الأمة لتُحرَم من هذهِ المساواة على الرغم من أن مكانة الحرائر في العهد الإسلامي والأموي ظلّتْ مكانةً تَطغى على مكانة الجواري[٤] .

على أنَّ الإسلام قد رفع من منزلة الأرقّاء وجاء رحمةً لهم ، فأوصى النبي (ﷺ) بهم خيراً بقوله : ((العبيد إخوانكم فأطعموهم مما تأكلون))[٥] . روي عن المعْرُورَ بن سويد أنّهُ قال : ((رأيت ابا ذر الغفاري رضي الله عنه وعليه حُلّة وعلى غلامه حُلّة فسألناه عن ذلك فقال إني ساببت رجلاً فشكاني الى النبي (ﷺ) فقال لي النبي (ﷺ) أعيّرتهُ بأمِّه ثم قال إنّ إخوانَكُمْ خَولكُمْ جَعَلَهُمُ اللهُ تحت أيديكم فمن كان أخوه تحت يدهِ فليُطعْمهُ مّما يأكلُ وليُلْبِسهُ مِمّا يَلبَسْ ولاتُكلّفوهمْ مايُغلِبُهُمْ

ص٢٠٤ ، وهي أمُّ حكيم بنت الحارث بن هشام بن المغيرة المخزومية زوج عكرمة بن أبي جهل ، حضرت يوم أُحُد وهي كافرة ثم أسلمت يوم الفتح ، أستأمنت لعكرمة فأمّنه النبي (ﷺ) .

(١) المرأة وحقوق الإنسان : محمد جمال الهاشمي ، ص٣٠ .

(٢) الإسلام دين الفطرة : عبد العزيز شاويش ، ص٧٧-٧٨ . وينظر تاريخ الاسلام : حسن إبراهيم حسن ، ١٨٦/١ .

(٣) سورة الحجرات ، الآية : ١٣ .

(٤) ينظر المرأة في أدب العصر العباسي : واجدة الأطرقجي ، ص٢٦ .

(٥) رواه البخاري ، ٨٣/٢ .

فإنْ كلفتموهُمْ مايغلبهم فأعينوهمْ))[1] .

وقد جعل الإسلام للأَمَة الأم مركزاً يجعلها بمنزلة الحُرّة أثناء حياتها مع الرجل فإذا ما مات تحرّرَت من الرقْ ، ولم يُجزْ التفريق بينها وبين أبنائها[2] .

وكانت للجواري مكانةٌ خاصّةٌ كبيرة عند الرسول (ﷺ) ، لم تنلها قبله إحداهُنْ ، فقد كان عليه الصلاة والسلام يكفل معيشتهن ويحترمهن ويعلمهن حتى إنّهُ كان يقول : ((أيّما رَجُلٍ كانَتْ عِندهُ وليدةٌ فَعَلّمها فأحسَنَ تَعليَمها وأدّبَها فأحْسَنَ تأديبها ثُمّ أعتقها وتَزَوّجها فَلَهُ أجرَان))[3] . فلم يُفرِّق الإسلام في حقّ التعَلُّم والثقافة بين الحُرَّة والأمة بل إنّهُ حثَّ على تعليم الأمة ورغّب في تثقيفها وتأديبها وجعلَ في ذلك الأجر .

ويتضح من معاملة الرسول (ﷺ) لَهُنّ ، أنّها معاملة إنسانية كريمة لما آمتاز به عليه الصلاة والسلام من عمق الإيمان وآداب الخُلقُ وكمالِهِ ، وقد بَلَغَ من رحمة الرسول أنّهُ كان لايُطيقُ أن يَسْمَعْ أحداً يقول : عبدي وأمتي ، وأمر المسلمين أن يكفُّوا عن ذلك بقوله (ﷺ) : ((لايَقُلْ أحَدُكُمْ عَبدِي أَمَتي وَليقُلْ فَتَايَ وفَتاتِي وغُلامِي))[4] .

ومن الجدير بالذكر أن القرآن الكريم عَمَل بالحث على تزويج المملوكة من المسلم على أن تبقى أسيرة العبودية ، وقد فَضَّل الزواج منها على الزواج بسليلة البيوت من المشركات ولَو حَسُنَ مرآها[5] . قال تعالى { **... ولأمَةٌ مُؤمنةٌ خيرٌ من مُشركة ولو أعجبتكم** }[6] . وكذلك حرص الإسلام على البرِّ بها في عواطفها وإحساسها ومراعاتِهِ الى كل مايتداخل النفوس من الجوانب الوجدانية والحالات العقلية ، كما شرَّع عدة وسائل للنهوض بالأرقاء والأخذ بأيديهم في طريق الحرية والأستقلال وحرص على البّر بهم في أرزاقهم ومعيشتهم قال تعالى : { **والذين يبتغون الكتاب مما ملكت أيمانكم فكاتبوهم إن علمتم فيهم خيراًوآتوهم من مال الله الذي آتاكم** }[7] .

ولقد سعى الإسلام الى انتهازهِ فُرص العتق والتحرير ماوجد إليها سبيلا ، فقد جعل الرسول في عتق المسلم منجاةً من النار قال (ﷺ) : ((أيّما رجُلٍ أعتقَ أمْرأً مُسْلِماً أستنْقَذَ اللهُ بكُلِّ عُضْوٍ منْهُ عُضواً منهُ منَ النار . قال سعيد بن مُرجانة فانطلقت الى علي بن حسين فعمد عليٌّ بن حسين رضي الله عنهما الى عبدٍ لهُ قد أعطاه به عبدُ الله بن جعفر عشرة آلاف درهم أو الف دينار فأعتقَهُ))[8] . ((ولقد

---

(١) المصدر نفسه .
(٢) دائرة المعارف الإسلامية أم الولد ، ٦٣٦/٢ .
(٣) صحيح البخاري ، ٢٤٠/٣ .
(٤) المصدر نفسه ، ٨٤/٢ .
(٥) ينظر المرأة في القرآن ، ص١٠٩ .
(٦) سورة البقرة ، الآية : ٢٢١ .
(٧) سورة النور ، الآية : ٣٣ .
8(٨) صحيح البخاري ، ٧٩/٢ .

كان عليه الصلاة والسلام يجعل عتق الجارية فداءً لها من لطمةٍ تصيبها))[١] .

وهذا إن دل على شيء فهو يدل على رحمة الإسلام بهم ومراعاته لكرامتهم ، وليس هناك ماهو أدلُّ على ذلك مّما أوصى بهِ الله تعالى بهم في قوله { **واعبدُوا اللهَ ولاتُشركُوا بهِ شيئاً وبالوالديَن إحسُاناً وبذي القُربَى واليَتَامَى والمسَاكِينِ والجارِ ذي القُربى والجارِ الجُنُبِ والصّاحِبِ بالجَنبِ وابنِ السّبيلِ ومَاملكتْ أيمانكُمْ إنَّ اللهَ لايُحِبُّ منْ كانَ مُختالاً فَخُوراً** }[٢] ، أما الرسول (ﷺ) فقد راعى ماجاء به القرآن الكريم وعمل به ، آمراً بالرفق بهم ، ومستوصياً بهم خيراً ((فلّما جيء بالأسرى بعد غزوة بدر الكبرى ، فرَّقهمْ الرسول على أصحابهِ وقال : أستوصوا بهم خيراً .وقال أبو عزيز بن عمير صاحب لواء المسلمين في بدر : كنتُ في رهطٍ من الأنصار حتى أقبلوا بي من بدر ، فكانوا إذا قَدّمُوا غذاءهم أو عشاءهم خصّوني بالخبز وأكلوا التمر لوصيَّة رسول الله إياهُم بنَا))[٣] . وعلى الرغم من ذلك فان النظرة الى المولى لم تزل متدنية ولم يزل مقامُهُ أحطّ مقاماً من العربي[٤] . حتى أنهم في أغلب الأحيان يرفضون تزويجُه من بناتهم ، فقد روي ((أن أحد الموالي خَطَبَ الى جماعة من بني بياضة وأشار عليهم الرسول بتزويجهِ فقالوا : يارسول الله ! أنُزَوّج بناتنا موالينا ؟))[٥] فانزل الله عز وجل : { **إنّا خلقناكم من ذكرٍ وأنثى ... الآية** }[٦] .

ولعلهم في هذا يرجعون الى قُربِ عهدهم من البداوة وتأثرهم بأعراف الجاهلية ، وعليه أستمرت النظرةُ نفسها في كثيرٍ من الأحيان الى العصر الاسلامي ، فأخذوا يعيرون بمُصاهرة الموالي ، إذ يقول ابو بُجَيْر[٧] وهو يؤنب آل عبد القيس لتزويجهم الموالي ومنهم الزارع والتاجر :

أمِن قلة صرتم الى ان قبلتم   دعاوة زراع وآخر تاجرِ ؟
وأصهبَ رومي وأسودَ فاحم   وأبيض جعد من سُراة الأحامرِ
شكولهم شتى وكل نسيبكم   لقد جئتم في الناس إحدى المناكرِ

إلاّ أنّ الإسلام قد كرِهَ ذلك ، لِما كرّم الله بهِ بني آدم عامةً ، وفضلّهم على كثيرٍ من خَلَقهِ ، ولم يخُصُّ بهِ بشر دون آخر قال تعالى : { **ولقد كَرَّمنا بني آدم وحَملنَاهُمْ في البرّ والبَحرْ ورزقناهُمْ من الطيّباتِ وفضّلنَاهُمْ على كثيرٍ ممّنْ خلقنا تَفضيلاً** }[٨] .

---

(١) المرأة في جاهليتها وإسلامها : عبد الله عفيفي ، ٣٢/٢ .
(٢) سورة النساء ، الآية : ٣٦ .
(٣) تاريخ الإسلام : حسن إبراهيم حسن ، ١٩١/١-١٩٢ .
(٤) تاريخ التمدن الإسلامي : جرجي زيدان ، ٣٣١/٤ .
(٥) المصدر السابق ، ١٨٦/١ . وينظر المرأة في الفكر الإسلامي : الباجوري ، ١٠٠/١ .
(٦) سورة الحجرات ، الآية : ١٣ .
(٧) تاريخ التمدن الإسلامي ، ٣٧٤/٤ .
(٨) سورة الاسراء ، الآية : ٧٠ .

وقد أولى الإسلام الجواري والموالي مكانةً كريمةً ، ولعلَ في زواج الرسول (ﷺ) من بعضِ الجواري ماينهضُ دليلاً على صحّةِ ذلك ، فقد تزوّجَ الرسول من أمهاتِ المؤمنين صفيّة[1] بنت حُييّ بن أخطب ، وجويرية[2] بنت الحارث بعد أن اعْتَقَهُمَا .

وفي ذلك دليلٌ على أن الإسلام قد رفع من شأن الجواري وحفظ مكانتهن ، إلاّ أنَّ بني أُميّة ظلّوا يحتقرون الأمة ويُعيّرونَ بالتزويج منها ، ((فبلغ عبد الملك يوماً أنّ علي بن الحسين تزّوج جارية لهُ وأعتقها ، فكتب إليه يُؤنِّبهُ فأجابهُ علي : ((إنّ الله رفع بالإسلام الخسيسة وأتمّ النقيصة وأكرم به من اللؤم ، فلا عارٌ على مسلم ، وهذا رسولِ الله (ﷺ) قد تزوّج أمتَهُ وامرأة عبده))[3] . وظلّوا على أحتقارِهِمْ أبناء الإماء حتى أنهّمُ كانوا لايستخلفونهم لذا فإنّهُ لـّما قام زيد بن علي بن الحسين لطلب الخلافة أيام هشام بن عبد الملك أخَذَ هشام يُعيّرهُ بقوله : ((أنتَ الذي تنازعكَ نَفسُكَ في الخلافَة وأنتَ ابنُ أمة)) قال ((ياأمير المؤمنين ، إن الأمهات لايقعدن بالرجالِ عن الغايات .وقد كانت أُمُّ اسماعيل أمه لأمّ اسحق ، فلم يمنَعَهُ ذلك أن بَعَثَهُ الله نبياً . وجَعَلَهُ للعرب أباً ، فأخرج من صُلْبهِ خيرَ البشرِ محمداً))[4] .

بَيْدَ أنّ الشريعة الإسلامية أخذت بنشر تعاليمها السمحاء ، وعَدَّت من خرج عنها امرأٍ فيه جاهلية . ((سمع مرة رسول الله (ﷺ) إبا ذر الغِفاري يَحْتَدُّ على بلال وهو يُحاوِرَهُ ويقول له : يا ابن السوداء ، فظهرت آثار الغضبِ الشديد على وجه الرسول ، واتجهَ بالخِطاب الى أبي ذر وانتهرهُ قائِلاً : ((إنّك أمروٌ فيك جاهلية ، كلكم بنو آدم طف الصاع[5] ، ليس لابن البيضاء على ابن السوداء فضلٌ إلاّ بالتقوى أو عملٌ صالح))[6] .

وخلاصة القول ، فاننا لانجد لنا من بُدّ إذ نخلص الى مكانة المرأة في الإسلام وماجاء عنها في القرآن الكريم والسيرة النبوية الشريفة ، أفضل من أن نتفق مع رأي الدكتور مصطفى السباعي[7] الذي مفاده : ((قام في الدنيا لأولِ مَرَّة مجتمع تُحتَرم فيه المرأة ، كإنسان كامل الإهلية ، وتلاقي من المجتمع الإحترام اللائق بها ، كزوجة وأم صانعة للأبطال والعظماء ، وتصان سمعتها عن اللغط وأقاويل

---

(١) الطبقات الكبير : لابن سعد ، ٨/٨٥-٩٣ . وينظر اعلام النساء ، ٢/ ٧١٩-٧٢٢ .

(٢) المصدر نفسه ، ٨/٨٣ -٨٥ . وينظر المصدر نفسه ، ١/١٩٠ .

(٣) تاريخ التمدن الإسلامي : جرجي زيدان ، ٤/٤٤٢ . ويريد بها زينب بنت جحش التي تزوجها الرسول بعد طلاقها من زيد بن حارثة مولى الرسول . ينظر طبقات ابن سعد ، ٨/٧١-٨٣ وأعلام النساء ، ١/٤٦٩-٤٧٣ .

(٤) المصدر نفسه ، ٤/٤٤٣ .

(٥) طف المكوك والإناء ماملأ أصباره ، أو مابقى فيه بعد مسح رأسه . وفي الحديث : ((كلكم بنو آدم طف يصاع لم تملئوه)) ، وهو أن يقرب أن يمتلىء فلا يفعل . أي إنكم متساوون كما تتساوى الصيعان ممسوحة رؤوسها .

(٦) المرأة في الإسلام : علي عبد الواحد وافي ، ص٤٠-٤١ .

(٧) المرأة بين الفقه والقانون : مصطفى السباعي ، ص٤٦ .

السوء ، بعدم اختلاطها المشبوه مع الرجال ، إلاّ في أماكن العبادة ، ومجالس العلم ، ومعارك التحرير ، وفي هذه الأماكن كانت لها مجالسها الخاصة بها ، ولباسها المحتشم ، ووقارها المتدين ، فما كانت تتعلق بها الأعيُن ، ولاتتطلع إليها النفوس بل إذا كانت مَرّت تُغضُّ الأبصار حياءً ، وإذا جلست تنصرف الوجوهُ عنها إحتراماً ، وإذا حاربت تخفقُ لها القلوبُ إكباراً وتقديراً)) .

الفصل الثاني

أغراض المرأة الشعرية

يرى بعض الباحثين القدامى ، ومنهم (أبو الفرج الأصفهاني) عدم وجود شعر نسوي فقال في مقدمة كتابه (الإماء الشواعر) : ((ولم أجد في الدولة الأموية منهن شاعرة مذكورة ولا خاملة ، لأن القوم لم يكونوا يختارون مَنْ في شعره لين ، ولا يرضون الاّ بما يجري مجرى الشعر الجزل ،المختار ، الصحيح))(١).

وهذا يعني أنَّهم كانوا يصفون شعر النساء بالضعف ، ويرون ان الشاعرية تفوّق ومن الأجدر به أن يكون من نصيب الرجال ، ولا يحق للنساء ان تسايرهم فيه ، قيل أنّ الفرزدق سمع أمرأة تقول شعراً فقال : ((اذا صاحَتِ الدجاجَةُ صياحَ الدِّيكِ فَلْتُذْبَحْ))(٢) .

وفي ذلك دلالةً واضحة على أنهم أفردَوا للشاعرية صفة الرجولة التي يجب ان تحظر على النساء . ويرى بعض المحدثين ومنهم العقاد : ((أن الإستعداد للشعر نادر !! وإنه بين النساء أندر !! . فالمرأة قد تحسن كتابة القصص ، وقد تحسن التمثيل ، وقد تحسن الرقص الفني من ضروب الفنون الجميلة . ولكنها لا تحسن الشعر ، ولَـمَّا يشتمل تاريخ الدنيا كله بعد على شاعرة عظيمة))(٣) .

وقد ذهب مع بعضهم الى اِنّ هناك تشابهاً كبيراً بين أشعار كثير من النساء لدرجة أنَّهُ يرى أنَّ مِنَ الجائز جمع شعر النساء كله في ديوان واحد ، وخلط بعضه ببعض ، فلا يرى فيه القارئ ما يمنعه ان يقول : أنّهُ ديوان شاعرة واحدة . لأنها ((أنوثة)) واحدة تكاد أن تلتبس بشخصيةٍ واحدة وتعبر عن سليقةٍ واحدة(٤) .

وربما كانت هذه الآراء هي السبب في قلة شعر النساء ، أو في قلة ما وصلنا من شعرهن - على أقل تقدير - ولا تمنعنا هذهِ الأقوال من إبداء تحفظٍ عليها ، ذلك أنها اذا لم تبعد عن الافتراض فانها لا ترقى الى اليقين ، والحق أن الشعر العربي النسائي مغبون مهضوم الحق. فقد أسهمت المرأة العربية المسلمة في الأغراض الشعرية ، في فترة إسلامها ، واشتهر منهن أديبات وشاعرات كثيرات ، وليس

---

(١) ينظر مقدمة الإماء الشواعر : لأبي الفرج الأصفهاني ، ص ٢٣.

(٢) مجمع الأمثال : للميداني ، ١ / ٦٤.

(٣) ينظر مقدمة نزهة الجلساء في أشعار النساء : للسيوطي ، بقلم عبد اللطيف عاشور ، ص ١٧.

(٤) ينظر بين الكتب والناس : للعقاد ، ص ١٢٣.

ذلك بالأمر الغريب ، فقد عرفت بالفصاحة وقول الشعر منذ عصر ما قبل الأسلام . يتضح ذلك خلال رهافة حِسِّها ورِقة ألفاظها وكثرة رواياتها لأشعار الشعراء العرب وشواعرهم(١) .

((وقد نقلت لنا كتب العرب أسماء كثيرات منهن ، وهي وإن لم ترو لأكثرهن إلاّ قصيدة واحدة ، أو بضعة أبيات ، فلا أقل من أنها تثبت أن المرأة العربيّة سايرت الرجل في الشعر والأدب ، وجارته في الفصاحة والبيان))(٢) .

ولعل أبا نواس يشاركنا الرأي بقوله : ((ما قلت الشعر حتى رويت لستين امرأة من العرب ، منهن الخَنساء ولَيْلى فما ظنك بالرجال ؟!))(٣) .

ومن هنا يجدر بنا القول ان الشاعرة العربية قد حققت وجودها الفني في تراثنا الأدبي إلاّ أنّ مؤرخي الأدب ألقوا بآثارها في منطقة الظل ((تأثراً بأوضاع أجتماعية وفنية ، لعصور وأدت المرأة العربية وأداً معنوياً فأنكرت عليها أن تعبر عن أسرار ذاتها ومطوى شاعرها))(٤) .

ويعلل البستاني ذلك بقوله : ((والذي أعتقدهُ أن رواة الأخبار أقتصروا على رواية أخبار غنائهنّ وتهتكهنّ ، وضروب إغرائهنّ وسيطرتهنّ على قلوب العرب ، وأضربوا عن ذكر كثير من شعرهنّ لأن ما فيه من لطف ورقة جعله ركيكاً في نظرهم ، فأنفوا من نقله ، أو لأنهم ، وهم رجال ، غيظوا أن تسابق النساء الرجال في ميدان الشعر ، فيسبقنهم في الرِّقة ، وصدق العاطفة ، وجمال التعبير ، فعقّوا على أشعارهنّ))(٥) . اذ انّه ((ليس من المعقول أن تقتصر هؤلاء الشواعر على تلك المطارحات ، وبضعة الأبيات التي نقلت عنهن ، ولا سيما ان كل واحدة منهنّ قد نعتها رواة أخبارها بأنها شاعرة محسنة ، أو أنها أشعر نساء زمانها))(٦) .

وما سنذكرهُ من أشعار النساء في القرن الأول الهجري للأغراض الشعرية التقليدية وما تبعها من أغراضٍ متنوعة أُخرى يُعَدُّ دليلاً قاطعاً وردّاً حاسماً على من أنكر مقدرة المرأة في نظم الشعر وبراعتها فيه.

١ - الرثاء :

هو السبيل الذي يُعدُّ مُتنفساً لكل مشاعر الأسى والحزن واللوعة التي يحيى بها الأنسان عند فراق أحبته وذوي قرباه ، وقد سلك الشعراء في رثائهم سبلاً منها ،

---

(١) ينظر النساء العربيات : كرم البستاني ، ص١٠-١١.
(٢) المصدر نفسه ، ص٨.
(٣) أخبار أبي نواس : لابن منظور المصري ، ٥٤/١. وينظر أمراء الشعر العربي في العصر العباسي : أنيس المقدسي ، ص١١١.
(٤) الشاعرة العربية المعاصرة : بنت الشاطئ ، ص٥.
(٥) النساء العربيات ، ص٥١.
(٦) المصدر نفسه ، ص٥١.

الندب[1] ، والتأبين[2] ، والعزاء[3] ، ويعد الرثاء من فنون الشعر التي شاركت فيها المرأة العربية والتي تُغَلِّبُ فيه القيم الخلقية وهي توضح صورة المرثي ، متمثلة في مدح شجاعته ، وذكر مناقبه ، والأشادة بفضائله ، أو الفخر بانتصاراته الحربية ، فالشعراء جميعاً ((لا يكتفون بتصوير شعورهم الحزين ، بل يضيفون إليه إشادة بالميت ومناقبه))[4] . ولعل الكثير من القدامى لم يجدوا فرقاً بين الرثاء ومديح الميت أو الثناء عليه اِلاّ ما يدل على ذلك بالصيغة اللفظية وفي هذا يقول قدامة آبن جعفر : ((ليس بين المرثية والمدحة فصل اِلاّ أن يذكر في اللفظ ما يدل على انه لهالك ، مثل كان وتولّى وقضى نحبه وما أشبه ذلك ، وهذا ليس يزيد في المعنى ولا ينقص منه ، لأن تأبين الميت إنما هو بمثابة ما كان يمدح في حياته))[5] . وقد يبدو ذلك أمراً مُستحسناً في المراثي على حد قول المبرد : ((فأحسنُ الشعر ما خلط مدحاً بتفجع))[6] .

وقد اتخذ حزن المرأة على فقيدها أشكالاً مختلفة تنطوي تحت مظهرين أساسين هما :

الأول : البكاء النسائي الخاص الذي يصاحَبهُ إيذاءٌ للنفس مع صياحٍ وعويلٍ حاد ، وهذا ما كانوا يوصون به في أشعارهم ، كقول طرفة بن العبد :

فَإنْ مُتُّ فآنعيني بما أنا أهْلُهُ   وشُقّي عَليَّ الجَيْبَ يا آبنة [7]

والثاني : البكاء العام الذي يشترك فيه النساء والرجال ويسوده الهدوء والتحلي بالصبر والثبات وقوة الايمان ، وأبرز علاماته قول الشعر[8] .

وعندما جاء الاسلام ، أثَّر بمقاييسِهِ وأخلاقياتِهِ ومعاييرِهِ على المجتمع وهذَّب النفوس بحيث تركت التفاخر بالأحساب والأنساب ، ورفضت العصبية القبلية ، والحديث عن القيم العشائرية في تعابير منغمسة بالشرك والخرافات ، وجعلتها ترتدي ثوب الإسلام وطابعه ، وهذا لا يعني إنّ الدين الاسلامي هدم كل ما كان يسود المجتمع الجاهلي من أخلاقيات وقيم ، فقد أبقى على كثير منها ، بل إنَّهُ أعلى من شأن بعضها ، وهذَّبَ بعضاً منها وشذَّبَهُ ، فأخذت المراثي في صدر الاسلام تؤكد حقيقةً مهمةً وهي ((ان هذه الدعوة الجديدة رغم ما تركته من صدىً كبير في كل ناحية أدبية وأجتماعية إلاّ أنَّها لم تستطعْ أنْ تنتزع الآثار الجاهلية من أفكار أبنائِهِ تلك الآثار التي نشأوا عليها ونضجت شخصيتهم الأدبية والخلقية

(١) الندب : بكاء الميت وتعداد حسناته . ينظر اللسان مادة (ندب).
(٢) التأبين : مدح الرجل بعد موته . ينظر نفسه مادة (أبَّنَ).
(٣) العزاء : الصبر عن كل مافقدت . نفسه مادة (عزا).
(٤) الرثاء : شوقي ضيف ، ص ٥٤.
(٥) نقد الشعر : قدامة بن جعفر ، ص ٩٨.
(٦) التعازي والمراثي : للمبرد ، ص ٢٧.
(٧) ديوان طرفة بن العبد ، ص ٤١.
(٨) ينظر الرثاء في الشعر الجاهلي وصدر الاسلام : بشرى الخطيب ، ص١٣٢.

فيها))[1]. وعليه فإنَّ ((الصور الجاهلية للرثاء أستمرت في أدبنا العربي مع عصورِهِ المختلفة ، تارةً تنمو وتارةً تتطور ، تحت تأثير نمو العقل العربي من جهة ، وتطور حياة العرب واختلاف الأحداث عليها من جهة ثانية ، ولكنها في جملتها ترتد الى هذه الصُّورَ الجاهلية ، وتُشْتَقّ منها كما يشتق الفرع من أصوله))[2] .

وإننا اذ نقف أمام أشعار المرأة في المراثي ، نجد ان المرأة ولرِقَّة شعورها ورهافة حِسِّها تَتَنَبَّهُ فيها قوة الشعر عند فقد إبنٍ أو أخٍ أو أبٍ أو زوجٍ أو عزيز ، وهو ما يسمى بالرثاء العائلي ورثاء آخر أوجده التغيير الذي صقل به الاسلام نفوس معتنقيه ليخرج من ذلك التحديد والذي لا يتعدى الرثاء فيه الأهل والأقارب ليتسع ويشمل ما أسميناه بالرثاء الديني المتمثل بشخص الرسول والسياسي المتمثل بالخلفاء من بعدِهِ.

أولا : الرثاء العائلي :

أ ـ رثاء الأبناء : لا شك أنَّ المعاناة الحقيقية ، تزيد من التعمق والتأثر في الحدث ، وتوثق من الصلَّة بين الشاعر والموضوع ، كونه صادراً عن نوازعٍ إنسانيةٍ ، فيصبح الشاعر أصدقُ الناسِ عاطفةً وأقدرهم على التعبير ، لا سيما اذا كان لا يرثي حاكماً أو قائداً ، وإنما يرثي إبناً أو أخاً أو أباً . فيذوب قلبه وتهتز مشاعره وتنطلق أحاسيسه وفي ذلك قال آرسطو قديماً : ((والحق أن أقدر الناس تعبيراً عن الشقاء من كان الشقاءُ في نفسه))[3] . أي أنَّ للتجربةِ الشعريةِ الصادقة شأنٌ في إغناء النص الشعري لانه ((لابد ان يتوافر في التجربة صدق الوجدان ، فيعبر الشاعر فيها عمّا يجده في نفسِهِ ، ويؤمن بهِ))[4] . ومن هنا نكاد أن نجزم أن الشاعرة التي تعيش تجربة شعرية صادقة ، تقول من المراثي أجودها ، وقد ذكر البهيقي قوله : ((وسألتُ أعرابياً ، ما أجود الشعر عندكم ؟ قال : ما رثينا بهِ آباءنا وأولادنا ، وذلك انا نقولها وأكبادنا تحترق))[5] . ولعل النساء أقرب من الرجال في التعبير عن ذلك الحزن لأنهن ((أشجى الناس قلوباً عند المصيبة ، وأشدهم جزعاً على هالك ، لما رَكَّبَ الله عز وجل في طبعهن من الخَوَرِ وضعف العزيمة . وعلى شدة الجزع يُبنى الرثاء))[6] .

وما دمنا بصدد رثاء الأم ولدها فإننا أمام عاطفة لا تهدأ وبركان لا ينطفئ ، فإن مرارة الحزن وعظمة اللوعة ما تلبث ان تظهر على المرأة عند فقدها ولدها وان حاولت كتمانها صبراً لله وأيماناً بقضائِهِ ، يُقال ((أنّ امرأةً ماتَ ولَدُها فأمْسَكَتْ

---

(١) الرثاء في الشعر الجاهلي وصدر الإسلام : بشرى الخطيب ، ص٢٧٣.
(٢) الرثاء : شوقي ضيف ، ص٩.
(٣) فن الشعر : آرسطو ، ص ٤٨.
(٤) النقد الادبي الحديث : محمد غنيمي هلال ، ص ٣٨٧.
(٥) المحاسن والمساوئ : أبراهيم بن محمد البهيقي ، ٢/ ٣٤ـ٣٥.
(٦) العمدة ، ١٥٣/٢.

نفسَها عن البكاء صَبْراً وآحتساباً ، فخرجَ الدم من ثَدْيَيهَا ، وذلك لما ورد عليها من شِدَّة الحُزْنِ مع الإمِتناع من البُكَاء))[1] .

وهذه أُم فطن بن سريح وقد أقبلت على ولدها وهو مقتول فتمنت لو أنَّها لم تلد ولم تولد إذ قالت :

يا جامعاً جامع الاحشاءِ والكبدِ يا ليت أُمّكَ لم تولد ولم تلِد

ثم كبّت عليه فشهَقَتْ شهقةً وماتت بعد أن تغنَّت بما يثير الحسرات والعبرات ، من ذلك قولها :

اَلاَ تِلكَ المسرَّة لا تدوم ولا يبقى على الدهرِ النعيمِ
ولا يَبقَى على الحدثانِ عقرٌ لشاهقةٍ لهُ أُمٌّ رؤمِ[2]

وقد تطلب الشاعرة من عينيها وتُلّحُ عليها في ذرف الدموع ، لتنفس عن قلبٍ ملتهب وتزيل شدة الوجد والعبرات ، ومن ذلك مرثية زينب بنت العوام التي رثت إبنها عبد الله بن حكيم حينما قُتِلَ يوم الجمل رثاءً لا يخلو من الإشادة بفضائلِهِ ، إذ تقول :

أعينيَّ جُودَا بالدموعِ وأفرِغَا على رَجُلٍ طَلقِ اليدينِ كريمُ
وقد كان عبد الله يُدْعى وذي خِلّةٍ منا وحملٍ يتيمُ[3]

وقد ((ألف الشعراء حالهم هذا ، واعتادوه ، وعدوُّه من علامات الوفاء لفلذات أكبادهم ، وفي المقابل عدُّوا السلوان ، أو الكفَّ عن البكاء تقصيراً في حق أبنائهم عليهم ، فكلما شعروا بتوانٍ في عطاء عيونهم ، حثُّوها وألحُّوا عليها))[4]. وربما لم يصدق وعيهم خبر وفاة أبنائهم ، لأنهم مفجوعين بفقدهم ، فيعجزوا عن إستيعاب ذلك ، ومن بينهم الجويرية بنت خالد الكنانية ، والتي عكست حالتها التي تعيشها بين مُصدِّقة للحدث ومكذبة ، بعد أن قُتِلَ ولديها في زمن معاوية على يد

---

(١) كتاب الصناعتين : أبو هلال العسكري ، ص ١٢٥. وينظر رثاء الأبناء في الشعر العربي : مخيمر صالح موسى ، ص٢٤.

(٢) بلاغات النساء : لابن طيفور ، ص١٩٣. وهي أعرابية من بني عبدود من بني عذرة ، قتل خالد بن الوليد وأصحابه ولدها ، حينما بعثهم رسول الله (ﷺ) في كسر (وداً) وهو صنم لهم.

(٣) الإصابة ، ٧ / ٦٧٨. وينظر الدر المنثور في طبقات ربّات الخدور : زينب العاملي ، ص ٢٣٢، وفيه (فاشرعا) بدلاً عن (وأفرغا). ينظر شاعرات العرب : عبد البديع صقر ، ص ١٤٥، وفيه (فأسرعا) بدلاً عن (وأفرغا). ينظر شاعرات العرب في الجاهلية والإسلام : بشير يموت ، ص ١٧١. وفيه (فاشرعا) بدلاً عن (وأفرغا). ينظر أعلام النساء : عمر رضا كحالة ، ١ / ٥١٠. وفيه (فأسرعا) بدلاً عن (وأفرغا). وهي زينب بنت العوام بن خويلد القرشية أخت الزبير بن العوام وأم عبد الله بن حكيم بن حزام أسلمت وبقيت إلى أن قُتِلَ أبنها يوم الجمل.

(٤) رثاء الأبناء في الشعر العربي : مخيمر صالح موسى ، ص ٢٧.

بسر بن أرطأة إذ تقول :

يا من أحسّ بُنيّ الذين هما كالدرتين تشظى عنهما الصدفُ
يا من أحسّ بُنييّ الذين هما قَلْبِي وَطَرفي فَقَلْبِي اليومَ
يا من أحسّ بُنييّ الذين هما مُخُّ العُظام ، فمخَي اليوم
نُبِّئتُ بُسْراً وَمَا صَدَّقتُ ما ذكَرُوا مِنْ قَولِهم ومن الأفك الذي
أنحى على وَدَجَيْ شِبْليَّ مُرهفَةً بَغْياً ، كذا وعظيم البغي [1]

ولا شك في أننا نقف أمام أبياتٍ تنمُّ عن عاطفةٍ صادقةٍ وقلبٍ مفجوعٍ منكسر ، ولاعجب فالشاعرة بفقد ولديها فقدت بصرها وقلبها ، فهي ذاهلة اللب ، توهم نفسها بهذه التساؤلات لهولِ ما أصابها ، فإذا ما استيأست من عودتهما رجعت إلى حزنها والهةٍ مفجوعةٍ فتقول :

ألا يا من سبي الأخويـ ـن أمهما هي الثكلى
تسائلُ من رأى آبنيها وتستسقي فما تُسقى
فلمَّا استيأست رجعت بعبرةِ والهٍ حرَّى
تتابع بين ولولةٍ وبين مدامعٍ تترى[2]

وإذا كانت الجويرية قد أصابها ما أصابها بفقد بنيها فإننا لا نعدم شواعر قد احتسبن موت أبنائهن ذخراً لهن وأجراً عند الله يوم القيامة ، وذلك لما أظهرهُ الدين الإسلامي من قيم جديدة تتصل بالصبر والأحتساب والإيمان بقدر الله وقضاءه لطلب الأجر والثواب ومن ذلك ما جاء على لسان أعرابية مسلمة فقدت ابنها عامر فقالت:

فإن أحَتسِبْ أُوَجَرْ وإنْ أبكِهِ أكُنْ كباكيةٍ لم يحي مَيْتاً بُكاؤُها[3]

حيث استطاعت تلك الأفكار الإسلامية أن ترقى بأحاسيس الشاعر الإسلامي ولا سيما في نظرته إلى الموت نظرةً لم يتوقف صداها عند الإحتساب والثواب ، بل

---

(١) التعازي والمراثي : للمبرد ، ص ٧٠، وفي بلاغات النساء ، ص ٢٠٢ يروى البيت الأخير كالآتي :

أنحى على ودجي أبني مرهفة مشحوذة وكذاك الإثم يُقترفُ

(٢) شاعرات العرب في الجاهلية والإسلام : بشير يموت ، ص ١٧٨. وهي أم حكيم بنت قارظ وقيل أسمُها جويرية شاعرة من شواعر العرب ، قتل بسر بن أرطأة زوجها عبيد الله بن عباس وأبنيها عبد الرحمن وقثم سنة ٣٩هـ بأمر من معاوية . ينظر أعلام النساء ، ١ / ٢٣٩.
(٣) العقد الفريد ، ٣/ ٢٦٠. والبيت في كتاب التعازي للمدائني ، ص ٦٠ ينسب ليزيد بن الحكم الثقفي وهو أحد شعراء الدولة الأموية .

تعداهُ إلى أفتخار الأم بصمود وآستبسال ولدها في بلوغ الشهادة ووصفها لَهُ بمعانٍ إسلامية كالإيمان والعبادة وخوف الله وطلب رضوانه ، ويتَّضِح ذلك في مرثية أم عمران بن حطان حينما قُتِلَ ولدها يوم دولاب حيث قالت :

الله أَيَّدَ عمراناً وطَهَّرَهُ　　وكان عمرانُ يدعو اللهَ في
يدعوهُ سِرّاً وإعلاناً ليرزَقَهُ　　شَهَّادةً بيدي مِلِحادةٍ غَدِرِ
ولّى صَحَابَتُهُ عَنْ حُرِّ ملحمةٍ　　وشدَّ عمرانُ كالضرغامةِ (١)

ب - رثاء الاخوة : ان ما يقارب حب المرأة لابنها هو حبُّها لأخيها وتفجعها لفقده فهو حاميها وعائلها وملاذها عند الشدائد ، فلا غرو ان يفوق حُبَّهُ حب الزوج والأقارب ولعل أقوى مثال على ذلك وأدلَّهُ ، موقف شاعرة المراثي الخنساء، التي بكت أخويها صخر ومعاوية حتى آبيضَّت عيناها ورثتهما بأحد الأشعار وأكثرها وأجودها ، وظّلت تبكي عليهما شعراً حتى بعد إسلامها ((قال الأصمعي ، نظر عمر بن الخطاب إلى الخنساء وبها ندوب على وجهها فقال : ما هذه الندوب يا خنساء ؟ قالت : من طول البكاء على أخوي . قال لها : أخواك في النار قالت : ذلك أطول لحزني عليهما ، إني كنت أشفق عليهما من النار ، وأنا اليوم أبكي لهما من النار))(٢) . فجاءت قصائدها تفيض بالشعور الصادق والعواطف المتأججة ، إلا ان أرَقَّ شعرها وأكثَرهُ كان في رثاء أخيها صخر ، ومّما رثته به قولها :

ألاَ يا صَخْرُ ! إن أبكيت عيني ،　　لقد أضحكتني دهراً طويلاً
بكيتك في نساءٍ مُعْولاتٍ ،　　وكنتُ أحقَّ من أبدى العويلا
دفعتُ بك الجليلَ وأنت حيٌّ ،　　فمن ذا يَدفعُ الخطب الجليلا ؟
إذا قَبُحَ البُكاءُ على قتيلٍ ،　　رأيْتُ بُكاءَك الحَسَن الجميلا(٣)

فهي تستعذبُ البكاء على أخيها وتَطيلُ فيه الرثاء وتقول في أبياتٍ أُخرى :

فَلاَ واللهِ لا أنساكَ حَتّى　　أفارقُ مُهْجَتِي ويُشقُّ رَمْسِي
فَقَدْ وَدَّعْتُ يَوْمَ فِراقِ صَخْرٍ　　أبي حَسّانَ لذّاتي وأُنْسِي

---

(١) شعر الخوارج : إحسان عباس ، ص ٤٠. وفي شرح ديوان الخنساء بالإضافة إلى مراثي ستين شاعرة ، ص١٢٥ (الذكر) بدلاً عن (الهصر) ، ملحادة : صيغة مبالغة أي شديد الإلحاد ، غدر : شديد الغدر ، الهصر : الأسد الشديد الذي يفترس ويكسر. وهي أم عمران بن الحرث الراسي كان ابنها من الشراة وكان قاتل الحجاج بن باب الحميري فاختلفا ضربتين كل واحد منهما قتل صاحبه / ينظر شرح ديوان الخنساء ص١٢٥.

(٢) العقد الفريد ، ٢٦٦/٣، وينظر شرح ديوان الخنساء ، ص١٠ ، الدر المنثور ، ص١١١، شاعرات عربيات : روحية القليني ، ص ٨٠-٨١ .

(٣) شعر الخنساء : تحقيق وشرح كرم البستاني ، ص١٦٩.

فَيَالَهْفِي عَلَيهِ ولهف أُمّي أيُصبْحُ في الضّريح وفيهِ [1]

وهكذا نطقت الخنساء بشعرٍ هو فيض لوعة ، ونفثات صدرٍ متألمٍ حزناً ، فجاء شعرها مُحبَّبٌ قريبٌ من النفس بما فيهِ من عاطفةٍ صادقةٍ ، وآستطاعت بأسلوبها الصريح ومشاعرها الصادقة أن تجعلنا نَتَحسَّسُ كلماتها وننفعل لها ، فهي شاعرةٌ قادرةٌ على الإبداع[2] ، وإنَّه لو ((أجتمعت المعايشة والقدرة على الإبداع فاننا سنشهد ولادة عملٍ جيد ، نقرؤهُ فنشعُر بهِ ، وننفعلُ بهِ ، وكأنه يُهمُّنَا ، ونشعر به في ذوات أنفُسِنا))[3] .

ولعلنا لا نعدو الحقيقة إذا ما قلنا ان جميع من تأخرن عن الخنساء من شواعر الرثاء قد أخذن عنها واغترفن من بحرها ، فهذه امرأة من الخوارج تلعن الموت إذ فرّق بينها وبين أخيها بعد أن قُتِلَ مع الضحّاك ، وتخاطب عينها ان ترسل الدموع غزيرة علها تنفس عنها شيئاً من محنتها فيه فتقول :

يا عينُ جودي بالدموعِ وابكي بجهدِ المستطيعِ
يا موت ويحكَ ما تزالُ مفرقاً بين الجميعِ
أبكي وما يُغني التلهفُ والبكاءُ عن الجزوعِ[4]

أما أخت حازوق الخارجي فتحدثت عن عينها التي ما تنفك ينسكب منها الدمع كلما نظرت فلم ترَ أخاها :

أقلّبُ عيني في الفوارس لا أرى حزاقاً وعيني كالحجاةِ من [5]

ولا بد ان للحياة الإسلامية انعكاسٌ واضح في شعر أغلب الشعراء الاسلاميين ومواقفهم إزاء الحدث ، إذ عرف الشاعر الاسلامي ما أُعِدَ له من الأجر والثواب

(١) المصدر نفسه ، ص ١٢٠. وهي تُماضر بنت عمرو بن الحارث بن الشريد بن رياح بن يقظة بن عصمة بن خفاف بن امرئ القيس ، والخنساء لقب غُلِبَ عليها ، من بني سليم ، أشهر شواعر العرب ، من أهل نجد . عاشت أكثر عمرها في العهد الجاهلي ، وأدركت الإسلام فأسلمت . وفدت على رسول الله (ﷺ) مع قومها بني سليم ، فكان رسول الله يستنشدها ويعجبه شعرها فكانت تنشد وهو يقول هيه يا خناس ، توفيت الخنساء في البادية في خلافة معاوية بن أبي سفيان . ينظر أعلام النساء ٣٠٥/١ ، الدر المنثور ، ص١٠٩ . معجم النساء الشاعرات في الجاهلية والإسلام ، ص٧٤.

(٢) قيل لجرير : من أشعر الناس ، قال : أنا لولا هذه الخبيثة (يعني الخنساء) . وقال بشار : لم تقل امرأة قط شعراً إلا تبين الضعف فيه. فقيل له : أوكذلك الخنساء . قال : تلك فوق الرجال . ينظر شرح ديوان الخنساء ، ص٩ ، ينظر الدر المنثور ، ص١١٠ ، ينظر حرمة المرأة في الإسلام وفضليات النساء : علي الجمال ، ص٤٢.

(٣) رثاء الأبناء في الشعر العربي ، ص ٥٠.

(٤) شعر الخوارج : إحسان عباس ، ص ١١٣.

(٥) شعر الخوارج ، ص٩٥ ، اسم أخيها حازوق ونقلته إلى حزاق ، الحجاة : النفاخة من المطر ونحوه تعلو الماء.

إن هو صبر وآمن قال تعالى : { الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ* أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ }[(١)] . ولعل هذه هي أسمى القيم في اطمئنان المنكوبين والمصابين بأحبائهم ، إذ ينظرون إلى الحدث نظرةً هادئةً مطمئنةً ، ولعل من أصدق المواقف على بيان وقع الحدث على الأخت وموقفها الذي ينطلق من صدق الإيمان وقوة العقيدة موقف صفية بنت عبد المطلب إزاء أخيها حمزة الذي قُتِلَ يوم أُحُدْ ، يقول ابن إسحاق : ((وقد أقبلت فيما بلغني ، صفية بنت عبد المطلب لتنظر إليه ، وكان أخاها لأبيها وأُمِّها ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لابنها الزبير بن العوام : ألقِها فأرجعها لا ترى ما بأخيها ، فقال لها : يا أمه . ان رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمرك ان ترجعي ، قالت : ولمَ ؟ وقد بلغني ان قد مُثل بأخي ، وذلك في الله ، فما أرضانا بما كان من ذلك ! لأحتسبن ولأصبرن ان شاء الله . فلما جاء الزبير إلى رسول الله رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبره بذلك ، قال : خلِّ سبيلها ، فأتته ، فنظرت إليه ، فصلّت عليه ، واسترجعت ، واستغفرت له))[(٢)] . ثم جعلت تسترجع وتقول من الشعر أبياتاً لا تخلو من المعاني الاسلامية :

أسائِلَةٌ أصحابُ أُحدْ مخافةً   بنات أبي من أعْجَم وخبيَر
فقالَ الخَبير إن حَمْزَةَ قد ثَوىَ   وزيرُ رسولِ الله خيرُ وزيرِ
دَعاهُ إلهُ الحقِّ ذو العَرْش دعوةً   إلى جنّةٍ يحيا بها وسُرورِ
فذلك ما كُنّا نرجّى ونَرْتجى   لحَمْزة يوم الحَشْرِ خير مصيرِ

ولا نعدم المعاني القديمة التي ضمنتها أبياتها فوصفته بالشجاعة والإقدام التي جعلها في نصرة الله ودينه إذ تقول :

فوالله لا أنْسَاكَ ما هبّت الصَّبا   بُكاءً وحُزناً مَحْضرَي ومَسيري
على أسد الله الذي كان مِدْرَهاً   يَذُود عن الإسْلامِ كلَّ كفورِ
فيالَيتَ شِلوِي عند ذاك وأعْظُمِي   لدى أضْبُع تَعتْادني ونُسورِ
أقولُ وقد أعْلَى النَّعِيّ عشِيرتي   جزى الله خيراً مِنْ أخٍ ونصيرِ[(٣)]

---

(١) سورة البقرة : الآيتان ، ١٥٦-١٥٧.
(٢) السيرة النبوية : لأبن هشام ، ١٠٢/٣ ، ينظر أعلام النساء ، ٧٢٧/٢ ، ينظر حرمة المرأة في الإسلام وفضليات النساء : علي الجمال ، ص ٣١ . أسترجعت : قالت : إنّا لله وإنّا إليه راجعون .
(٣) السيرة النبوية ، ١٧٦/٣ ، ينظر شعراء الرسول : وليد الأعظمي ، ص ٣٣٩-٣٤٠ ، ينظر شاعرات العرب : جمع وتحقيق عبد البديع صقر ، ص ٢٠٤ ، ينظر الأدب في عصر النبوة والراشدين : صلاح الدين الهادي ، ص ٢٦٢ . وهي صفية بنت عبد المطلب عمة رسول الله (ﷺ) ، وهي شقيقة الحمزة ، تزوجها في الجاهلية الحارث بن حرب بن أمية ، فولدت له (صفياً) ، ثم تزوجها العوام بن خويلد الأسدي ، فولدت له

كما إننا نلتمس الرثاء ذاته بتلك المعاني القديمة عند أُخت عمرو بن سعيد التي رثت أخاها بأبياتٍ تصفهُ فيها بالشجاعة وعدم العجز عن القتال لكن المنايا أتتهُ بغتةً على أيدي قوم حسبتهم الشاعرة جبناء ، إذ صوّرتهم كخشاشٍ من الطير إجتمعن على صقرٍ ، حينما أنشأت تقول :

أيا عين جودي بالدموع على عشية أُوتينا الخلافة بالقهرِ
غَدرتم بعمرو يابني خيط باطل وكلكم يبني البيوت على الغدرِ
وماكان عمرو عاجزاً غير أنّهُ أتتهُ المنايا بغتةً وهو لايدري
كأنَّ بني مروان إذ يقتلونهُ خشاشٌ من الطير اجتمعن على
لحا الله دنيا تعقب الذل أهلها وتهتِك مابين القرابة من سترِ[١]

ج - رثاء الآباء :- تشعر البنت في كنف أبيها بالراحة والأطمئنان لما يربطها به من علاقة تمثل المودة والعطف والحنان ، فهو ذخرها ومرجعها إذا ما آعترتها المصائب والشدائد ، فلا عجب أن يؤثر فراق الوالدين في الابنة فيجعلها تفارق كل ملاذ الحياة ((فهي رغم قسوة الظروف الأجتماعية والأقتصادية معها فقد كانت بارّة بوالديها عطوفة عليهم في حياتهم تبكيهم في حال موتهم وترثيهم وتتمنى لو كانت تستطيع فداءهم))[٢] . أما بعد إسلامها وقد وضعت نصب عينيها ما أوصى به الله تعالى في كتابه الكريم بطاعة الوالدين والإحسان لهما إذ قال تعالى : { وآخفض لهما جناح الذلِّ من الرحمة }[٣] وقال عزّ وجلّ : { وبالوالدينِ إحسَاناً }[٤] . فقد كانت أبرَّ بهما وأرحم ، تُعِزَّهما وتُجلَّهُما ، وأخذت الشاعرة تعبر عن أحزانها تجاه فقد أبيها تعبيراً لا يخلو من اللوعة والحسرة وألم الفقدان والفراق فترثيه بكلماتٍ تسكب فيها دموع الألم ولوعة الحسرة ، وأصدق مثال لمشاعر الإبنة البارّة ، أشعار السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام ، إذ تبين حسرتها وألمها لفقد أبيها رسول الله (ﷺ) فتقول :

إنّا فقدناك فقدَ الأرضِ وابلها وغابَ مُذْ غِبْتَ عنّا الوحيُ

(الزبير) و (السائب) ، أسلمت عند بدء الدعوة الإسلامية ، وبايعت رسول الله (ﷺ) ، وهاجرت إلى المدينة ، أمرأة برزة شاعرة فاضلة ، شاركت في غزوة أُحُد .

(١) شاعرات العرب في الجاهلية والإسلام : بشير يموت ، ص١٩٥ . وهي أُخت عمرو بن سعيد بن العاص وزوجة الوليد بن عبد الملك ، قالت أبياتها في أخيها وكان قد قتلهُ عبد الملك بن مروان .

(٢) الرثاء في الشعر الجاهلي وصدر الإسلام : بشرى الخطيب ، ص ٥١ .

(٣) سورة الإسراء ، الآية : ٢٤ .

(٤) سورة لقمان ، الآية : ١٤ .

فلَيت قبلك كان الموتُ صادفَنا   لمّا نُعيتَ وحالَتْ دونَكَ الكُتُبُ[1]

وكذلك قولها عليها السلام ، عندما أقبلت على أنس بن مالك بعد دفن الرسول (ﷺ) فقالت : ((يا أنس ! .. كيف طابت أنفسكم على أن تحثوا على رسول الله التراب ؟)) ثم بكت ورثته قائلة :

أغبّر آفاقُ السماءِ وكُوِّرَتْ   شمسُ النهارِ ، وأظلم العصرانِ
فالأرضُ من بعد النبي كئيبةٌ   أسفاً عليه كثيرةُ الرجفانِ
فليبكِهِ شرقُ البلاد وغَربُها   ولتبكِهِ مُظرٌ وكلِّ يمانِ
وليبكِهِ الطَّورُ المعُظَّمَ جَوُّهُ   والبيتُ ذو الأستارِ والأركانِ
يا خاتمَ الرُّسُل المبارك ضوءُهُ   صَلّى عليكَ مُنَزِّلُ القُرآنِ[2]

فتأتي أبياتها تتفجر عاطفة ولوعة ، حتى لكأن الطبيعة قد شاركتها في الرثاء فاغبَرَّت آفاق السماء وكوِّرت الشمس وأظلم النهار ، واضطربت الأرض ، ثم تطالب أن يبكي أباها شرقي البلاد وغربها وكذا الجبال والبيت الحرام . ويلاحظ ((في رثاء السيدة فاطمة الزهراء المعاني الإسلامية واضحة فهي لم تتغنَ بما يتمتع به من فروسية أو شجاعة ولا بكونه يفدي الأسير ولم تقل من للخيل بعده وغيرها من الصفات التي كانت سائدة في العصر الجاهلي في رثاء البنات لآبائهن))[3] .

وتأتي أبيات حفصة بنت عمر بن الخطاب (رض) في رثائها لأبيها ، فنلمس العاطفة الصادقة والمعاني الإسلامية نفسهما ، فهي تكظم حزنها وتُعزّي نفسها بالقرآن الكريم لإيمانها بالموت والفناء فتقول :

أكظم الغِلَّة المخالطة القلب   وأُعزّي وفي القرآن عزائي
لم تكن بِغتةً وفاتك وَجّدا   إنّ ميعادَ من تَرَى للفناءِ[4]

---

(١) العقد الفريد ، ٢٣٨/٣ . وينظر المرأة العربية في جاهليتها وإسلامها : عبد الله عفيفي ، ١٨٧/٢ . وينظر شاعرات العرب في الجاهلية والإسلام ، ص ١٦٥.

(٢) فاطمة الزهراء والفاطميون : للعقاد ، ص ٤٨-٤٩ ، وفي زهر الآداب : للحصري ، ٧٠/١ (الفرقان بدلاً عن القرآن) . وفي شهيرات النساء في العالم الإسلامي : قدرية حسين ، ص٢٩ (وصفه بدلاً عن جوه والفرقان بدلاً عن القرآن) .

(٣) الأمومة والبنوّة في الأدب العربي حتى نهاية القرن الأول الهجري : إنعام داود سلّوم (رسالة ماجستير) : ص ٨٨ لسنة ١٤١١هـ –١٩٩٠م .

(٤) بلاغات النساء ، ص ٢٥ . وهي حفصة بنت عمر بن الخطاب بن نفيل وأمها زينب بنت مظعون بن حبيب بن وهب ، ولدت حفصة وقريش تبني البيت قبل مبعث النبي (ﷺ) بخمس سنين ، تزوجها خُنيس بن حذافة بن قيس بن عدي وهاجرت معه إلى المدينة فلما تأيمت تزوجها الرسول (ﷺ) توفيت في شعبان سنة خمسة وأربعين في خلافة معاوية وهي ابنة ستين سنة . ينظر طبقات ابن سعد ، ٥٦/٨-٥٧.

فتظهر حزينة ملتاعة ولكنها تقرن حزنها بالتأسّي وتزود نفسها بزادٍ دينيٍّ ، فقد فعلت العاطفة الدينية فعلها في النفوس وخفَّفَت وطأة الحدث فبدت أبياتها متصبرة متأسية في حين ظهر جزع ضُبُيعة في قتل أبيها خُزيمة بن ثابت صاحب الشهادتين ، إذ طالبت عينيها أن تجودا بالدموع والبكاء لذلك المصاب الجلل فتقول:

عينُ جُودِي على خُزيمة بالدَّمْـ ـعِ قَتيلِ الأحزاب يومَ الفُراتِ
قتلوا ذا الشَّهادتين عُتُوّاً أدْرَكَ الله منهمُ بالتِّراتِ

ثم وصفت عواطفها نحو أبيها الذي تفتخر به وهو المسارع للدعوات والناصر والمؤيد للإمام علي (□) فلعنت من قتله وتمنت له الخزي والهلاك :

قتلوه في فتية غير عُزْلٍ يُسْرعُون الرُّكوبَ للدَّعَوَاتِ
نصروا السِّيد الموفّقَ ذا العَدْ لِ ودانُوا بذاك حتّى المماتِ
لعن الله معَشراً قتلوه ورماهم بالخِزْيِ والآفاتِ(١)

((وفي سنة ثلاث وخمسين قَتَلَ معاوية حجر بن عدي الكندي ، وهو أول من قُتِلَ صبراً في الإسلام : حمله زياد من الكوفة ومعه تسعة نفر من أصحابه من أهل الكوفة وأربعة من غيرها ، فلما صار على أميال من الكوفة يراد بهِ دمشق أنشأت أبنته تقول ، ولا عقب له من غيرها :

ترفع أيُّها القمر المنير لعلك أن ترى حجراً يسير
يسير إلى معاوية بن حربٍ ليقتله ، كذا زعم الأمير
ويصلبه على بابي دمشق وتأكل من محاسنِهِ النسور
---------------------- ----------------------
---------------------- ----------------------
ألا يا حجر حجر بن عدي تلقتك السلامةُ والسرور
ألا يا ليت حجراً مات موتاً ولم يُنحر كما نُحِرَ البعير
فان تهلك فكل عميد قومٍ إلى هلكٍ من الدنيا يصير))(٢)

---

(١) وقعة صفين : لنصر بن مزاحم المنقري ، ص ٤١٦ . وفي أعلام النساء ، ٧٤٠/٢ (في الدعوات بدلاً عن للدعوات ، ودانوا بذلك بدلاً عن ودانوا بذاك) . التراتِ : جمع ترّه وهو الثأر ، السيد الموفق : أي الإمام علي (□) . وهي ضبيعة ابنة خزيمة بن ثابت ذي الشهادتين الأنصاري ، سمي كذلك ، لأنه شهد للنبي (f) على يهودي في دين قضاه ، وكان من مؤيدي علي (□) في وقعة صفين .
(٢) مروج الذهب ومعادن الجوهر : للمسعودي ، ١٢/٣ . وفي تاريخ الطبري ، ٢٨٠/٥ .

وإذا كانت الشاعرة هنا ترثي أباها الذي قُتِلَ صبراً فهناك شواعرٌ يجمعن بين رثاء الأب وعتاب شديد لقاتله ، ولعل قتيلة بنت النظر خير من جمعت بين الغرضين فهي في الوقت الذي ترثي أباها الذي قُتِلَ صبراً يوم بدر بأبياتٍ ملؤها الألم والحزن تعاتب الرسول (ﷺ) - الذي أمر علي (□) بقتله - عتاباً مؤثراً ، إذ عرضت للنبي (ﷺ) فأنشدته :

يا راكباً إنّ الأثيلَ مظنةٌ   من صبح غاديةٍ وأنت موفقُ
أبلغ بها ميتاً بها تحيةً   ما إن تزال بها النجائب تعنَقُ
مِنِّي إليه وعَبْرَةً مسفوحةً   جادت بواكِفِهَا وأُخْرَى تخنُقُ
هل يسعني النظر إن ناديته   إن كان يسمع مَيِّتٌ لا يَنْطِقُ
ظلّتْ سُيوفُ بني أمية تَنُوشُهُ   للهِ أرحامٌ هناك تَشَقَّقُ

ثم تعرج إلى الرسول (ﷺ) فتعاتبه وتستعطفه :

أمحمد ها أنت صِنو كريمةٍ   في قومها والفَحْلُ فحلٌ معْرقُ
ما كان ضَرَّك ومَنَنْتَ وربَّما   منَّ الفتى وهو المَغِيظُ المُحْنَقُ
فالنظرُ أقربُ من قَتَلْتَ قَرَابَةً   وأحقُّهم إنْ كان عِتقٌ يُعْتَقُ(١)

ويروى ان الرسول (ﷺ) رقَّ لها ودمعت عيناه وقال لأبي بكر : لو كنت سمعت شعرها ما قتلته !

د - رثاء الأزواج : على الرغم من شيوع رثاء المرأة أخيها وغلبة هذا النوع من المراثي على غيره ، إذ تطيل فيه الشاعرة النفس الشعري وبثّها الأحزان

والبداية والنهاية : لابن كثير الدمشقي ، ٥٦/٨ (تبصّر هل ترى بدلاً عن لعلك أن ترى ، كما زعم بدلاً عن كذا زعم ، زعيم بدلاً عن عميد) وفي البداية والنهاية يروى (مات يوماً بدلاً عن مات موتاً) . وهي هند بنت زيد بن مخرمة الأنصارية من المتشيعات ومن أنصار أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (□) أمتازت بحسن الرأي وجودة البيان ، ويقال أن الأبيات لهند أخت حجر بن عدي الكندي .

(١) زهر الآداب ، ٦٦/١ . وقد جاء في العقد الفريد ، ٢٦٥/٣-٢٦٦ أنّ المقتول أخوها وليس أبوها . وفي الدر المنثور ، ص ٤٥٠ (خامسة بدلاً عن غادية ، لما تحها بدلاً عن بواكفها ، فليسمعني بدلاً عن هل يسمعني ، أو ينطق بدلاً عن لا ينطق) صبراً : حبساً ، الأثيل : موضع قُتِلَ فيه النظر ، تعنق : السير الحثيث ، الواكف : الدائم الجريان ، تنوشه : تناله بالطعن ، صنو : ابن ، معرق : أصيل ، مَنّ : صفح ، المحنق : المملوء بالغيظ . وهي قتيلة بنت النظر بن الحارث بن علقمة بن كلدة بن عبد مناف بن عبد الدار القرشية كان أبوها النظر حامل لواء المشركين ببدر وكان شديد العداوة لله ورسوله ، فأمر الرسول (ﷺ) علياً أن يقتله صبراً . تزوجت عبد الله بن الحرث بن أمية الأصغر فولدت له علياً والوليد ومحمداً وأم الحكم . أسلمت بعد قتل أبيها وصارت من الصحابيات المروي عنهن الحديث توفيت في خلافة عمر بن الخطاب . وتذكر أبيات أخرى في رثاء الآباء منها لعمرة بنت دريد بن الصمة ينظر بلاغات النساء ، ص١٩٦-١٩٧ . ولهند بنت أثاثة ينظر الدر المنثور ، ص٥٣٦ .

والآلام إلاّ أنّهُ لا يختلف عن رثاء الزوج من حيث الإطار العام للحزن[١] . ولا سيما بعد أن حث الإسلام على توطيد أواصر المودة والرحمة والمعاملة بالحُسنى التي جعلها الله تعالى أساساً للعلاقة الزوجية وذكرها في كتابه الكريم[٢] .

فلا غرابة والحال هذه أن تكثر الشاعرة من بكاء زوجها ، ومن تصوير قلبها المصدوع بفقده ، وحزنها المُطبَق ((وهي من خلال هذه الصور تَبُثَّهُ حبها وشوقها وتُظهر لَهُ إخلاصها وعندئذٍ تبادله بعض عواطف الحب النبيل ومشاعر المودة الصادقة . إنها تمزج بين الفخر بِهِ والأعتداد بشخصِهِ لأنَّهُ فارسها المحبوب وزوجها الأمين وبين تَعَلّقِها بِهِ لأن رفقة العمر والذكريات القريبة من نفسها قد صيَّرتْهُ لها مثالاً رائعاً من أمثلة الحبِّ والوفاء))[٣] . فبادلته هي الوفاء ذاته بأن رَثَتْهُ شعراً يتضمن الإحساس العميق بالمصيبة ، وآمتنعت عن الزواج بعده ، فأزالت كل معالم حسنها وجمالها ، وما روي عن نائلة بنت الفرافصة أنموذجاً أعظم للشاعرة التي فقدت زوجها ، فحينما قُتِلَ زوجها عثمان بن عفان (رض) تلقّت بيدها سيف ضاربه فأصابتها ضربة على يدها ، ولمّا خطبها معاوية ردَّتهُ وقالت ما يعجب الرجل منّي قالوا ثناياكِ ، فكسرت ثناياها وبعثت بها إلى معاوية[٤]. ومما رثت به زوجها قولها :

الا أن خير الناس بعد ثلاثةٍ قتيل التُّجوبِّي الذي جاء من
ومالي لا أبكي وتبكي قرابتي وقد غُيِّبَتْ عنّا فضولُ أبي[٥]

ثم ان من النساء من يفقدن أزواجهن فلا يجدن بُدّاً من الاقتران بغيره . فتفاوتت نفسية المرأة ذاتها ، ولكنه تفاوتاً لا يعدم أن تحزن المرأة لفقد زوجها كسابقتها وان تُعظّم رثاءه وتصف مرارة فراقه ، ولعل عاتكة بنت زيد خير من مثلت الشاعرة الزوجة في رثائها فلقد تزوجت رجالاً من كرام الصحابة المجاهدين في سبيل الله وكلما تزوجت رجلاً منهم توسمت فيه الرفاه والحياة السعيدة ، ثم ما تلبث أن تفقده شهيداً ، ويبدو ان ذلك ما دفع عبد الله بن عمر إلى القول : ((من أحب الشهادة الحاضرة فليتزوج

---

(١) ينظر الرثاء في الشعر الجاهلي وصدر الإسلام ، ص ١٢٩ .
(٢) ينظر سورة الروم ، الآية : ٢١ وينظر صفحات الفصل الأول (حقوق الزوجة) ، ص
(٣) المرثاة الغزلية في الشعر العربي : عناد غزوان ، ص ٢٦ .
(٤) ينظر المستطرف في كل فن مستظرف : للأبشيهي ، ٢٠٤/١.
(٥) شاعرات العرب في الجاهلية والإسلام ، ص ١٥٤ . معجم النساء الشاعرات ، ص ٢٤٨-٢٤٩ ، وهي نائلة بنت الفرافصة بن الأحوص الكلبية ، شاعرة من شواعر العرب ، تزوجها عثمان بن عفان فولدت له أم خالد ، وأروى ، وأم أبان الصغرى ، وكانت له مُحِبّة وعليه حدبة ، دخلت الإسلام وأسلمت بعد زواجها بعثمان .

عاتكة))[1] .

تزوجها عبد الله بن أبي بكر واستشهد عنها عند فتح الطائف فقالت تبكيه :

وآليتُ لا تنفكُّ عيني سخينةً عليك ولا ينفكُّ جِلدِي أَغْبَرَا
فلله عينٌ ما رأتْ مثِلَهُ فتىً أعزَّ وأحمى في الهياج وأصْبَرَا
إذا شُرِّعَتْ فيه الأسِنَّةُ خاضها إلى الموتِ حتى يتركَ الرُّمحَ أحْمَرَا[2]

وتبدو الشجاعة من المناقب الواضحة في تأبين الشعراء الإسلاميين ما دامت في إعلاء كلمة الله والدفاع عنها . فبعد أن تصف الشاعرة لوعتها وحزنها إثر فقد زوجها تعود لتعدد مناقبه ، إذ تصفهُ بالشجاعة والفتّوة ساعة الحرب وشدَّتِها ، فهو عندما يتقابل مع الأعداء لا يتركهم إلاّ بعد ان يُحمِّر رمحَهُ بدمائهم .

ولمّا تزوجها عمر بن الخطاب وآستشهد على يد أبي لؤلؤة المجوسي طالبت زوجته عاتكة عينيها ان تجودا بالعبرةِ والنحيبِ وألاّ تملاّ بكاءَهُ إذ تقول :

عينُ جودي بعبرةٍ ونحيبِ لا تملّي على الإمامِ النجيبِ
فجّعتنا المنونُ بالفارسِ العيـ ـلم يومَ الهياج والتلبيبِ[3]

ثم تزوجها الزبير بن العوام ، ولمّا قُتِلَ عنها يوم الجمل قالت ترثيه وتتهجم بآبن جرموز الذي قتَلَهُ غدراً :

غَدَرَ ابنُ جرموزَ بفارسِ بهمةٍ يوم اللّقاءِ وكانَ غرٌّ معردِ
يا عمرو لو نَبَّهتَهُ لوجدتَهُ لا طائشاً رعشَ الجنان ولااليدِ
ثكلتكَ أمُّكَ انْ ظفرتَ بمثلِهِ ممنْ بقي ممنْ يروحُ ويغتدِي

---

(١) شرح ديوان الخنساء ، ص ١٦٣ . ينظر شاعرات العرب في الجاهلية والإسلام ، ص ١٧٠ ، ينظر شعراء الرسول ، ص ٣٤٣ ، ويروى في أعلام النساء ،٩٤٨/٢ أن القول منسوب إلى علي بن أبي طالب (□) .

(٢) عيون الأخبار : لابن قتيبة ، ١١٢/٤ . وهي عاتكة بنت زيد بن عمرو بن نفيل القرشية وأخت سعيد بن زيد أحد العشرة الذين شهد لهم النبي (ﷺ) بالجنة ، شاعرة من شواعر العرب ذات جمال وكمال وخلق حسن ورجاحة عقل وجزالة رأي ، تزوجها عبد الله بن أبي بكر الصديق ولما مات عنها تزوجها عمر بن الخطاب ولما قُتِل خطبها الزبير بن العوام فتزوجها ولما قُتِل تزوجها الحسين بن علي بن أبي طالب (□) فقتل عنها في واقعة كربلاء ، ويقال ان مروان خطبها بعد الحسين فامتنعت عليه وقالت : ما كنت لأتخذ حماً بعد رسول الله(ﷺ) ، توفيت نحو سنة ٤٠ هـ . ينظر أعلام النساء ، ٩٤٤/٢-٩٤٩ ، وينظر زهر الآداب ، ٧٥/١ .

(٣) البداية والنهاية ، مج٤ ، ١٤٥/٧ . أعلام النساء ، ٩٤٦/٢ . وفي شاعرات العرب في الجاهلية والإسلام ، ص١٦٨ . (الأمين بدلاً عن الإمام ، فجعتني بدلاً عن فجعتنا ، المعلم بدلاً عن العيلم ، التثويب بدلاً عن التلبيب) .

كَمْ غمرةٍ قدْ خاضها لم يُثنِهِ   عنها طرَادَك يا ابنَ فقع العرددِ
واللهُ ربي إنْ قتَلتَ لمُسلِماً   حلّتْ عليكَ عقوبة المتعمدِ(١)

وبعدها ، تزوجها الحسين بن علي (□) ولمّا استشهد عنها في وقعة كربلاء قالت ترثيه :

وحُسَيناً فَلاَ نَسيتُ حُسَيناً   أقصدَتْهُ أسِنَّةُ الأعداءِ
غَادَروهُ بكربلاءِ صَريعاً   جَادَتْ المزنُ في دُرَى كربلاءِ(٢)

((وعلى العموم فان رثاء النساء يشبه رثاء الرجال شبهاً كبيراً ، حيث ان المرأة مقلدة الرجال في هذا الجانب من الشبه ، كما ان لرثائِهن معاني معتادة ومتوقعة بأظهار الحزن ووصف الخلل الذي أحدثته تلك الوفاة في حياة الراثية والاشادة بفضائل المرثي والحض على الثأر لَهُ))(٣) .

ومن هؤلاء الراثيات ضباعة بنت عامر التي رثت زوجها هشام بن المغيرة قائلة :

إنَّكَ لَوْ وألَتَ إلى هشامٍ   أمِنْتَ وكُنْتَ في حَرَمٍ مُقيم
كريمُ الِخيم خَقَّافٌ حَشَاهُ   ثِمَالٌ لليتيمةِ واليتيم

إلى أن تقول :

فأصْبَحَ ثاوياً بقرارِ رمسٍ   كذاكَ الدَّهْرُ يَفْجَعُ بِالكَريمِ(٤)

ومنهنَّ أيضاً نُعْم امرأة شمّاس بن عثمان ، التي قالت تبكي شمّاساً وقد أستُشهِدَ يوم أُحُد :

يا عينُ جُودي بفيضٍ غيرَ   على كريمٍ من الفتيانِ أبَّاسِ

(١) البداية والنهاية ، مج٤ ، ٢٦٠/٧-٢٦١ . وينظر العقد الفريد ، ٣٢٣/٤ .
(٢) شرح ديوان الخنساء ، ص ١٦٥ ، شاعرات العرب في الجاهلية والإسلام ، ص ١٦٩ - ١٧٠ ، أعلام النساء ، ٩٤٨/٢ .
(٣) أثر المرأة في الحياة الإسلامية حتى نهاية العصر الراشدي : علي كسار ، (رسالة ماجستير) ، ص١٢٠ . لسنة ١٤١٨هـ – ١٩٩٧م .
(٤) أشعار النساء : للمرزباني ، ص ١٠٧-١٠٨ . بلاغات النساء ، ص١٩٥ . وفي شاعرات العرب : عبد البديع صقر ، ص ٢١٥-٢١٦ (في قاعِ بدلاً عن بقرارِ) . وهي ضباعة بنت عامر بن قرط بن سلمة ، شاعرة صحابية ، كانت من أجمل النساء وأعظمهن خلقاً ، كانت عند هوذة بن علي الحنفي ، فهلك عنها ، فتزوجها عبد الله بن جدعان ثم طلّقها ، فتزوجها هشام بن المغيرة فولدت له سلمة وكان من خيار المسلمين أسلمت بمكة في أوائل ظهور الدعوة وهاجرت / ينظر طبقات ابن سعد ، ١٠٩/٨ ، أعلام النساء ، ٧٣٨/٢ . شاعرات العرب ، ص ٢١٥ .

صعبِ البديهة ميمونٍ نقيبتهُ حَمّالِ ألوية رَكّاب أفراسِ
أقولُ لّما أتى الناعي لَهُ جَزَعاً أودَى الجوادُ وأودى المُطعِمُ
وقُلْت لمَا خلَت منهُ مجالسُهُ لاَ يُبعد الله عَنَّا قُرْبَ شَمَّاسِ[١]

وربما يذكرنا رثائهن هذا برثاء شواعر ما قبل الإسلام اللواتي كُنَّ يبكين في القتيلِ شجاعتهُ وواسع كرمه ، وحُسنَ رأيه ، ونكايتهُ في العدو .

فلعَلَّهُ رثاءً جاهلياً غير محتسب أو هو رثاء والهةٍ أذهلتها المصيبة في زوجها عن كل تعزيةٍ فيه[٢] .

هـ - رثاء الأقارب : لقد كان للحروب والصراعات صدىً واضح في نفوس الشواعر العربيات ، إذ فتق الصراع شاعريتهن ، فأخذن يثرن الحمية ، ويحرضن على القتال ، وقد ((كان هذا النوع من الرثاء محصوراً في عصر ما قبل الإسلام بأبناء القبيلة الواحدة فاذا حدث نزاع بين قبيلتين نجد شعراء وشواعر كل قبيلة يفخرون بانتصاراتهم ، ويرثون من قتل من أبنائهم))[٣] . لما كان لأبناء القبائل والعشائر من منزلة .

قال بعضهم :

وإذا رزقت من النوافل ثروةً فامنح عشيرتك لأدنى فضلها
وأعلم بأنك لم تسود فيهم حتى ترى دمث الخلائق سهلها[٤]

وهكذا إلى أن جاء الإسلام وأصبح الناس في دين الله إخواناً فأخذ الشعر يصدر عن روح الجماعة الإسلامية التي كادت تذوب داخلها القبليات والنعرات الجاهلية ، وأصبح التفاخر بالشجاعة والتفاني في الجهاد في سبيل الله بعد أن كانت مُسَخَّرة لحماية القبيلة ، وأضحى الشواعر يندبن ويبكين شهداء العقيدة الإسلامية

---

(١) السيرة النبوية : لابن هشام ١٧٧/٣ . ينظر الأدب في عصر النبوة والراشدين ، ص ٢٦٣ وفيه (بدمع بدلاً عن بفيضٍ) . غير إبساس : تريد بلا تكلف ، الأباس : الشديد الذي يغلب غيره ، البديهة : أول الرأي والأمر ، ميمون النقيبة : مسعود الفعال ، الألوية : جمع لواء ، وهو العلم . وهي نُعم بنت حُريث المخزومية زوجة شمّاس بن عثمان المخزومي الصحابي الذي استشهد يوم أُحد .

(٢) يروى أن أخاها أبا الحكم بن سعيد تدارك ما فرط منها فعزّاها عزاءً إسلامياً ، يذكرها فيه بالصبر واحتساب الأجر عند الله ، وليكن لها في استشهاد حمزة ليث الله عزاءً وتسلية :

أقنى حياءك في سترٍ وفي كرمٍ فإنما كان شمّاسٌ من الناس
لا تقتلي النفسَ إن حانت منيتهُ في طاعة الله يوم الرَّوع
قد كان حمزة ليثَ الله فذاقَ يومئذٍ من كأسِ شمّاسِ

ينظر الأدب في عصر النبوة والراشدين ، ص ٢٦٣ .

(٣) شعر المرأة في القرن الأول الهجري : شاكر محمود (رسالة ماجستير) ، ص٣٥ ، لسنة ١٤١٠هـ ـ١٩٨٩م .

(٤) المستطرف في كل فن مستظرف : للأبشيهي ، ١٣/٢ .

أما بدافع الروابط الأسرية أو كونهم من أخوة الإسلام ، ولنا في أبيات عمرة بنت رواحة لَعِبرةً حينما رثت ما آستشهد من المسلمين في معركة بدر قائلة :

بكت عيني من يبكِ لبدرٍ وأهله   وعلت بمثليها لؤيّ وغالبٍ
وليت الذين حلفوا في ديارهم   بهِ والذين في أصول الأخاشبِ
ليعلم حقاً عن يقين ويبصروا   مَجرَّهُم فوقَ اللّحى والشواربِ(١)

ورثت أمينة الأنصارية - وهي امرأة من الأنصار - مالك بن التيهان الذي أستُشهدَ في معركة صفين قائلة :

منع اليومَ أن أذوقَ رقاداً   مالكٌ إذ مضى وكان عِمادَا
يا أبا الهيثم بن تيهانَ إنّي   صرتُ للهمِّ مَعْدِناً ووِسَادَا
إذ غدا الفاسقُ الكفورُ عليهم   إنَّه كان مثلهَا مُعتَادَا
أصبحوا مثلَ مَنْ ثوَى يومَ أُحْدٍ   يرحم اللهِ تكلم الأجْسَادَا(٢)

فهي معجبة بشجاعته مفتخرة بشهادتهِ في سبيل الله مترحمةً له ولأجساد المؤمنين من غيره وهو ليس لها بأخٍ أو أبٍ أو أبن ، يدفعها في ذلك الحس الديني الصادق وروح الأخوة الإسلامية التي زرعها الإسلام في نفوس مُعتَنِقيه . وهذا لا يمنع من أن يندبن الشواعر المشركات قومهن ويبكيَنَّهُم ، ومنهُنَّ صفية بنت مسافر التي قالت تبكي أهل القليب الذين أصيبوا يوم بدر من قريش وتذكر مصابهم :

يا من لعين قذاها عاثرُ الرمدِ   حد النهار وقرنُ الشمس لم يقدِ
أُخبرتُ أنَّ سراةَ الأكرمين معاً   قد أحرزتهُم مناياهُم إلى أمدِ
وفرَّ بالقومِ أصحابُ الرِّكابِ ولم   تَعطِف غداتئذٍ أمٌ على ولدِ
قومي صفيَّ ولا تنسي قرابَتُهُم   وإن بكيتِ فما تبكين من بعدِ

---

(١) بلاغات النساء ، ص ٢٠٤ . أعلام النساء ، ١٠٨٣/٢ وهي عمرَة بنت رواحة بن ثعلبة أخت عبد الله بن رواحة شاعر الرسول (ﷺ) وزوجها بشير بن سعد الصحابي الذي شهد بيعة العقبة مع السبعين رجلاً من الأنصار ، فولدت له النعمان بن بشير ، أسلمت وبايعت الرسول (ﷺ) مع أمها كبشة بنت واقدة . ينظر طبقات ابن سعد ، ٢٦٢/٨-٢٦٣ .

(٢) وقعة صفين : لنصر بن مزاحم المنقري ، ص ٤١٥ . وهو مالك بن مالك بن عسل بن عمرو بن عبد الأعلم بن عامر بن دعورا بن جشم بن الحارث بن الخزرج بن عمرو بن مالك بن الأوس الأنصاري الأوسي ، شهد العقبة نقيباً ، وشهد بدراً وما بعدها ، ومات سنة عشرين ، وقيل إحدى وعشرين ، وقيل إنه شهد صفين مع علي (□) / ينظر البداية والنهاية : لابن كثير الدمشقي ، مج٤ ، ١٠٦/٧ .

كانوا سُقوفَ سَمَاءَ البيتِ فأصبح السَّمكُ منها غيرَ ذي ... (١)

ولم تكن الشاعرة العربية لتغفل الهدف السياسي في رثائها ، إذ راح بعض الشواعر من ذوات الميول العلويّة يُنَوهنَ في رثائهن بمكانة أهل البيت عليهم السلام وبحقّهم في الخلافة الإسلامية ، مُبيّنات صلة الرحم التي تربطهم بالنبي (ﷺ) ، معبرات عن مشاعر الحزن والغضب التي أثارتها حوادث استشهاد أئمة أهل البيت ورجالهم البارزين ، ولعل أكثر الحوادث إثارة لتلك المشاعر لدى المسلمين حادثة استشهاد الحسين بن علي عليهما السلام التي ألهبت مشاعرهم وهَيَّجَت قرائحهم ، فَطَفَت تلك المشاعر على ألسنتهم شعراً ، وتأتي أبيات زينب بنت عقيل بن أبي طالب التي خرجت في نساءٍ من قومها حواسرٌ مفجوعات لمقتل الحسين بكربلاء ، وقد حمل ابن زياد رأسه إلى يزيد ، لنجد من بينها عتاباً عنيفاً لقاتليه تظهر فيه سخطها ونقمتها عليهم حيث تقول :

ماذا تقولونَ اِنْ قال النبيُّ لكمْ ماذا فعلتمْ وأنتُمْ آخر الأممِ ؟

بعترتي وبأهلي بعدَ مُفتقدي نِصفٌ أسارى ونصفٌ ضُرِّجوا

ما كان هذا جزائي إذ نصحتُ أنْ تخلفوني بشرٍ في ذوي ... (٢)

فإننا وإن لم نجد في هذه الأبيات هدفاً سياسياً صريحاً إلاّ أنّ الشاعرة قد أستطاعت أن تُثير مشاعر المسلمين على قتلة الحسين إثارة تهدف إلى مقاطعتهم لبني أُميّة ودعوتهم لمناصرة آل البيت والالتفاف حولهم .

ثانياً : رثاء رجال الدين ورجال السياسة :

وهو الرثاء الذي أوجده الدين الاسلامي الجديد ، بما اشتمل عليه من معانٍ دينيةٍ جديدة مُبتعدة عن الروح الجاهلية وعصبياتها القبلية ((فبعد أن كان الشاعر والشاعرة يتحددان بالأطار الضيّق الذي تفرضه عليه تقاليد القوم من رثاء لايتعدى فيه أقرباءه ، وفي أحسن الاحوال قبيلته ، فانه الآن أستبدل ذلك بانتماء الى ماهو أوسع من الذي كان يعيش ضمن إطارهُ))(٣) .

ولعلهُ أنتماءٌ سيطر على مراثي المسلمين بشكلٍ عام وعلى مراثي شخص

---

(١) السيرة النبوية ، ٣/٤٢-٤٣ . أعلام النساء ، ٢/٧٣٤ . وفي شرح ديوان الخنساء ، ص١٦٢ (عائِر بدلاً عن عاثر) . وهي صفية بنت مسافر بن أبي عمرو بن أُمية بن عبد شمس بن عبد مناف .

(٢) مروج الذهب ومعادن الجوهر ، ٣/٧٨ . وفي البداية والنهاية ، مج٤ ، ٨/١٩٩-٢٠٠ (منهم بدلاً عن نصفٌ ، بسوءٍ بدلاً عن بشرٍ) ، العترة : النسل ، وهي زينب بنت عقيل بن أبي طالب . ويروى في الدر المنثور ، ص٢٣٣ أن الأبيات لزينب بنت علي بن أبي طالب ، وفي أتجاهات الشعر في العصر الأموي : صلاح الدين الهادي ، ص ١١٠ تروى الأبيات لعقيلة بنت عقيل بن أبي طالب .

(٣) شعر المرأة في القرن الأول الهجري ، ص٤٠ .

الرسول بشكلٍ خاص .
أ ـ الرثاء الديني (مراثي الرسول (ﷺ)) : غاب شخص الرسول الكريم محمد (ﷺ) عن أعين المسلمين ، ودوّى صدى نبأهُ في آفاق عاصمة الأسلام ـ المدينة المنورة ـ فامتلأت نفوس المسلمين أ سىً ولوعة ، وزحفت جموعهم لتوديعه ، ولاشك أن ترتفع أصوات الشعراء أمام هذا المصاب الجلل والحدث العظيم[1] ، ولاعجب أن يصدح صوت المرأة العربية المسلمة في ذلك بالأشعار الباكية الحزينة والتي تطفح كلماتها ألماً وحزناً ، وتمثل أبيات عاتكة بنت عبد المطلب جانباً من جوانب الشعور الوجداني الناطق حين تذكر فراق ابن أخيها محمداً (ﷺ) والتي تستهلُّها بالبكاء والدموع قائلة :

أعينيَّ جودَا بالدّمُوُع السواجمِ على المصطفى بالنور من آلِ
على المصطفى بالحقِّ والنور وبالرشدِ بعد المندبات العظائمِ
وسُحَّا عليه وابكيا مابكيتما على المرتضى للمحكمات

الى أن تقول :

أعيْنَيَّ ماذا بعدَ ما قد فُجِعْتُما بهِ تبكيان الدّهرَ من وُلْدِ آدمِ
فجودا بِسَجْلٍ واندبا كل شارقٍ ربيعَ اليتامى في السنينَ
(٢)

والشاعرة هنا لاتكتفي بذرف الدموع ، بل أنها تخاطب عينيها أن لايبكيان بعد فجيعة النبي أحدٌ غيره من ولد آدم مدى الدهر ، ومن الملاحظ أن أغلب مراثي الرسول يطلبن الشواعر فيها من أعينهن ويلحنَّ عليها لتظلَّ معطاءة سخَية عَلَّها تُطفىءُ نيران حُزنهن وتخفّف شدة لوعتهن أمام هذه المصيبة العظيمة[3] .
ومن ذلك ما استهلت به أمّ أيمن مرثيتها قائلة :

عين جودي ! فإن بذلك للدمـ ـع شفاءٌ ، فأكثري ملبُكاءِ
حين قالوا الرّسول أمسى فقيداً ميتاً كانَ ذلك كلّ البلاء!

ثم انها تعدد صفاته الكريمة بمعانٍ دينية جديدة تؤكد فيها عظمة مكانته بين

---

(١) ينظر مثلاً ديوان حسان بن ثابت ، ص٢٤ـ٢٥ ، ديوان كعب بن مالك ، ص١٧٣ .
(٢) طبقات ابن سعد ،٩٤/٢ ، وينظر شعراء الرسول : وليد الاعظمي ، ص٣٤٧ وهي عاتكة بنت عبد المطلب بن هاشم القرشية ، وأمها فاطمة بنت عمرو ، وهي شقيقة العباس بن عبد المطلب وعمة الرسول (ﷺ) تزوجها في الجاهلية ابو أميّة بن المغيرة فولدت له عبد الله وزهيراً وقريبة ، أسلمت بمكة وهاجرت الى المدينة . ينظر طبقات ابن سعد ٢٩/٨ ، وينظر شعراء الرسول ، ص٣٤٥ .
(٣) ومنها أبيات صفية بنت عبد المطلب ينظر طبقات ابن سعد، ٩٥/٢ـ٩٦ ، وينظر شعراء الرسول ، ص٣٤٠ـ٣٤٢ ، وأبيات هند بنت أثاثة ينظر طبقات ابن سعد ، ٩٧/٢ ، وينظر شعراء الرسول ، ص٣٥٠ .

المسلمين وأفضليته على سائر البشر:

وابكيا خير من رزئناه في الدن ياومنْ خصهُ بوحي السّماء
بدموعٍ غزيرةٍ منك حتى يقضي الله فيك خير القضاء
فلقد كان ما علمت وصولاً ولقد جاء رحمةً بالضياءِ
ولقد كان بعد ذلك نوراً وسراجاً يُضيءُ في الظلماءِ
طيبَ العودِ والضّريبة والمعدِ ن والخيم ، خاتم الأنبياء[١]

ومما يلفت الإنتباه ، قوة العاطفة التي تلّف معظم مراثي النساء للرسول (ﷺ) ، والتي تشهد لها أيضاً بصدق العاطفة فأننا لانجد ولولةً أو صراخاً أو ماينمٌّ عن الصنعة والتكلف وآصطناع الرثاء ، بل إنها أتت متناسبة مع الحياة الدينية التي عاشتها الشواعر المسلمات بمعانيها وأسلوب عرضها الأحزان وبهذه المعاني كان قول هند بنت الحارث التي قالت ترثي الرسول (ﷺ) :

ياعينُ جودي بدمعٍ منك وآبتدري كما تَنَزّلَ ماءُ الغيثِ فآنبعَثا
أو فيضُ غربٍ على عاديَّةٍ في جدولٍ خَرقٍ بالماءِ قَدْ سَربَا
لقُد أَتتْني من الأنباءِ مُعضِلةٌ أنَّ ابنَ آمنة المأمون قد ذَهَبَا
أنَّ المُباركَ والميمون في جدثٍ قد ألحفوُهُ تُرابَ الأرضِ والحَدَبَا
أليس أوسطكم بيتاً وأكرَمكُمْ خالاً وعمّاً كريماً ليس مؤتَشِبَا[٢]

ولاغرو أن تؤكد الشاعرة أفضلية الرسول (ﷺ) على جميع الخلق في عراقة المنبت وشرفه ، وتمجد أفعالَهُ في كرم الخُلق والروح الإنسانية ، تقول أروى بنت عبد المطلب :

ألاَ يارسولَ الله كنتَ رجاءَنا وكنتَ بنا بَرّاً ولم تَكُ جافيَا
وكُنْتَ بِنَا رؤَفاً رَحيماً نَبيَّنَا ليَبْكِ عَلَيْكَ اليوم من كان باكيا

وقد ذهبت الشاعرة الى أكثر من ذلك ، فقد تمنت أن تفدي الرسول بأهلها

---

(١) طبقات ابن سعد ،٩٨/٢ ، وفي شعراء الرسول ، ص٣٣٥-٣٣٦ (ينير بدلاً عن يضيء) . وهي بركة بنت ثعلبة بن عمرو بن حصين ، مولاة رسول الله (ﷺ) وحاضنته ،أعتقها (ﷺ) حين تزوج خديجة بنت خويلد (□) ، تزوجت زيد بن حارثة بعد وفاة زوجها عبيد الحبشي فولدت أسامة بن زيد ، أسلمت عند بدء الدعوة الاسلامية ، توفيت في أول خلافة عثمان . ينظر طبقات ابن سعد ، ١٦٢/٨-١٦٤ وشعراء الرسول ، ص٣٣٥ .

(٢) المصدر نفسه ، ٩٦/٢-٩٧ ، دراسات في الأدب الإسلامي ، ص١٥٧ ، شعراء الرسول ، ص٣٥٢ . وهي هند بنت ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب القرشية الهاشمية ، أبوها ربيعة ابن عم رسول الله (ﷺ) ، ولدت على عهد الرسول في مكة .

وأقاربها ، بل بنفسها اذ تقول :

فِداً لرَسُولِ الله أُمّي وخالتي وعمّي ونفسي قُصْرَةً ثم خاليا[١]

ب - رثاء الخلفاء : ويُعدُّ هذا النوع من المراثي رثاءً جديداً جاء بِهِ الأسلام وحمل مَعَهُ مآثرَ جديدة كالزهد والتقوى ، والايمان ، والعدل ... ، بعد أن رفع وعدّل الكثير منها عمّا كانت عليه في عصر ماقبل الأسلام . ونحن إذ نقف أمام مراثي الخلفاء فإننا نتناول مراثي الخلفاء الراشدين الذين حملوا لواء الدعوة الإسلامية وتقدموا على غيرهم في الاسلام وفي محبة الرسول (ﷺ) إليهم ((ويلاحظ ان الرثاة يتحدثون عن مقتل هؤلاء بغدرٍ وأثر ذلك في الأسلام والمسلمين وهي أبرز النقاط في تلك المراثي أمّا الحزن والقيم الخلقية والإسلامية فلا جديد فيها عمّا ذكرنا من التقوى والايمان بالله والعدل والرحمة ... الخ كما يتحدث الرثاة عن دور كل خليفة منهم في دعم الاسلام والرسول))[٢] ومن الطبيعي ((أن يفكر الشاعر أول مايفكر حين يلم برثائهم في الدولة من بعدهم وماسلكوه في حكمهم من عَدْل ، وما أخذوا بِهِ أنفسهم من طاعة الله ورسوله والعمل بدعوته فهم خلفاؤه ، وهم أُمناؤه على المسلمين من حولهم وعلى رسالته وماتضيء بِهِ النفوس من مُثِلٍ وصفاتٍ نبوية))[٣] . ثم نعرج لمراثي بعض خلفاء بني أُميّة .

ولّما كان الخليفة أبو بكر أول من اضطلَعَ بالخلافة الأسلامية ، فعند وفاته مالبثت أن بكتهُ الشعراء وعرضت لمنزلتِهِ الكبيرة من الرسول والمسلمين ، ومن الغريب إننا لم نقف عند مراثٍ للشواعر آنذاك ترثيه بها ، ولعل سبباً إجتماعياً أو ظرفاً أدبياً يتعلق بشعر المرأة حال دون عثورنا على مراثي الشاعرة المسلمة لمن حمل لواء الاسلام بعد الرسول (ﷺ) ، وقد أرتأينا أن نذكر أبياتاً لابنتِهِ عائشة قالتها في أبيها وهو يجود بنفسه :

وأبيضَ يُستقى الغمامُ بوجهِهِ ربيعُ اليتامى عِصمة للإِراملِ

---

(١) طبقات ابن سعد ، ٩٣/٢ . وينظر شعراء الرسول ، ص٣٣٣-٣٣٤ ، وفيه يروى صدر البيت الثاني كالاتي :

وكنت رحيماً هادياً ....

ويروى عجز البيت الثالث كالاتي :

.... وعمي وآبائي ونفسي

وهي أروى بنت عبد المطلب بن هشام بن عبد مناف وأمها فاطمة بنت عمرو بن مخزوم ، تزوجها في الجاهلية عمير بن وهب فولدت له طليباً ثم خلف عليها أرطأة بن شرحبيل فولدت له فاطمة ، أسلمت بمكة وهاجرت الى المدينة ، توفيت نحو سنة ١٥ هـ ، ينظر طبقات ابن سعد ، ٢٨/٨ وأعلام النساء ،٢٣/١ .

(٢) الرثاء في الشعر الجاهلي وصدر الإسلام : بشرى الخطيب ، ص٢٨٩ .

(٣) الرثاء : شوقي ضيف ،ص٥٦ .

كما رثته بأبيات شعرية كان مطلعها :

إنَّ ماءَ الجُفُونِ ينزحَهُ الهمُّ وتَبقَى الهُمُومُ والأحْزَانُ
ليس يأسو جَوى المرزأ ماءٌ سَفَحَتْهُ الشؤُونُ والأجفانُ[(١)]

ولما خلفه عمر بن الخطاب (رض) بوصيةٍ من الصدّيق (رض) ، سار في الناسِ بسيرته وسيرة رسولهِ ، ومازال يحفظ الدولة الاسلامية حتى اتسعت شرقاً وغرباً وكثرت الفتوحات الاسلامية ولم تلبث ان أمتدت اليه يدٌ آثمة ، فطعنه ابو لؤلؤة فيروز المجوسي ، فبكاهُ المسلمون وندبوه بفيضٍ من اللوعة والحسرة ، وكان للنساء نصيبٌ في اظهار حزنهن أثر فقدانه ، قالت عاتكة بنت زيد بن عمرو بن نُفَيْل في رثاءِهِ :

مَنْ لِنفْسٍ عادَها أحْزانُها ولِعَيْنٍ شَفَّها طُولً السُّهُدْ
جَسَدٌ لُفّفَ في أكفانِهِ رحمةُ اللهِ على ذاكَ
فيهِ تفْجيعٌ لَموْلى غَارِمٍ مْ يَدَعْهُ اللهُ يمشي بَسبَدْ[(٢)]

وقد روي أنَّهُ لمّا مات عمر بَكَتْهُ إبنة أبي خيثمة قائلة : ((واعمراه ، أقام الأود وأبر العهد ، أمات الفتن وأحيا السنن ، خرج نقي الثوب برياً من العيب))[(٣)] . حتى أنّ بعضهن تدعو النساء معها الى أن يَبكينَّهُ فيخمشن الوجوه وَيلْبسْنَ السواد حواسرٌ شَجيّات ومن ذلك مادعت بهِ أمرأةٌ من المسلمين تبكيه :

سيبكيكَ نساءُ الحـ ـي يبكينَ شجيّاتِ
ويخمشنَ وجوهاً كالد نانيرِ نقيّاتِ
ويلبسنَ ثيابَ الحُز نِ بعدَ القُصَّبيَّاتِ[(٤)]

على الرغم من أنها دعوةٌ جاهلية نهى عنها الرسول (ﷺ) ، فيما روي عنه حين ((أخذ رسول الله (ﷺ) في البيعة على النساء أن لايشققن جيباً ولايّدعيّن ويلاً ولايخمشن وجهاً ولايقلن هجرا))[(٥)] ، ويبدو أن حزن هذه المرأة واحساسها بما

---

(١) شاعرات العرب : عبد البديع صقر ، ص٢٢١. وهي عائشة أم المؤمنين بنت أبي بكر الصديق ، كبيرة محدثات عصرها ، وتُعدُّ من أبرع الناس في القرآن والحديث والفقه والشعر وأحاديث العرب ، ولدت بمكة في السنة الثامنة أو نحوها قبل الهجرة ، توفيت بالمدينة في ١٧ رمضان سنة ٥٧ هـ . ينظر شاعرات العرب ، ص٢٢٠-٢٢١ .
(٢) ديوان الحماسة : لأبي تمام ، ص٣١٨ . وقد وردت ترجمة الشاعرة في الحديث عن رثاء الأزواج .
(٣) البداية والنهاية ، مج٤ ، ٧/ ١٤٤ .
(٤) البداية والنهاية ، مج٤ ، ١٤٥/٧ .
(٥) طبقات ابن سعد ، ٨/ ٤ .

لحق الخليفة من غدرٍ ودسيسة أضطرها الى قول ذلك .

وهذا مايدفعنا الى القول الى أنَّ مقتل الخليفة عمر (رض) غدراً قد أظهر لوناً جديداً في مراثي المسلمين للخلفاء تأكد فيما بعد ، وهو الجمع بين رثاء الخليفة وهجاء قتلته[1] .

ولعلنا نلمس ذلك واضحاً في مراثي الخليفة عثمان بن عفان (رض) الذي خلف عمر ، وكانت في عهدِهِ أولُّ فتنةٍ في الأسلام أدّت الى مقتِلهِ ، عندها فاقت مشاعر اللوم والغضب لدى المسلمين مشاعر الحزن الهادئة فقالت زينب بنت العوّام ترثي ولدها عبد الله بن حكيم ذاكرةً مقتل الخليفة قبلهُ وأثر فقِدهِ على الدين وعلى قومها والإضطراب الذي تركَهُ بموتِهِ :

قَتَلْتُم حواريَّ النبيَّ وصِهْرَهُ وصاحِبَهُ فأستبشِرُوا بَححيم

وقَدْ هدَّنِي قتلُ ابن عفَّانَ قبلَهُ وجَادَتْ عليهِ عَبْرَتي بسُجُومِ

فكيفَ بنَا أم كيفَ بالدينِ بعدَمَا أُصيبَ آبنُ أرْوَى وآبنُ أمّ حَكيمِ[2]

ثم تعرج لتصف قتلته صفةً لاتخلو من الهجاء اللائم قائلة :

وعطشتم عثمان في جوف دارهِ شربتمْ بشربِ الهيمِ شَوبَ الحميمِ[3]

فهي تصفهم بالأبل التي يصيبها داءٌ فلا تروى من الماء مهما شَرِبَتْ ، وثورة الشاعرة في الأبيات المتقدمة هي بلا شك نتيجةٌ طبيعيةٌ لما آل اليه المجتمعُ الأسلامي آنذاك من تفكك وآضطراب وتشتُّتْ شمل المسلمين شيعاً وأحزاباً وذلك ماصرّحت بهِ أبيات ليلى الأخيلية حين قالت :

قُتِلَ آبنُ عفّان الإمامَ وضَاعَ أمَر المسُلمينَا

وتشتَّتْ سُبُلَ الرشا دِ لصادِرِينَ ووارديِنَا[4]

وقد شرعت الشاعرة تعدد مناقب الخليفة عثمان وفضائله ، ومايمتاز بهِ من محمود الصفات ثم تعود لتستبعد الإستقرار والإطمئنان من بعدِهِ بأبياتٍ لانعدم مابين ثناياها من النفس الديني اذ تقول :

أبعد عثمانَ ترجو الخيرَ أمتهُ وكان آمن من يمشي على ساق

---

(١) ينظر الرثاء في الشعر الجاهلي وصدر الإسلام ، ص٢٩٠ .

(٢) الإصابة في تمييز الصحابة : للعسقلاني ،٧/ ٦٧٨ .

(٣) جمهرة نسب قريش : للزبير بن بكار ، ٣٧٩/١- ٣٨٠ ، ذكرنا ترجمة الشاعرة في رثاء الأبناء

(٤) الإستيعاب ، ٨٣/٣ . وينظر دراسات في الأدب الإسلامي ،ص١٣٠ ولم نجد للأبيات ذكر في ديوان الشاعرة .

خليفةُ اللهِ أعطاهم وخوّلهُم ماكانَ من ذهبٍ جُمٍّ وأوراقِ
فلا تكذبْ بوعدِ اللهِ وآرضَ بهِ ولاتوكلْ على شيءٍ بإشفاقِ
ولاتقولنْ لشيءٍ سوف أفعلهُ قد قدَّرَ الله ماكلُ آمرىءٍ لاقِ[١]

ونحن بلاشك نلمس في تلك المراثي صورةً جديدةً فرضها الواقع الديني والأحداث السياسية ، وفي خِضِمِّ تلك الأحداث يبايع أهل المدينة علي بن ابي طالب (□) خليفةً لهم ، وكان مثلاً أعلى للتواضع والتقوى والعدلِ والأخلاص للدين كيف لا وقد قال فيه عمر (رض) : ((لقد أُعطِي علي بن أبي طالب ثلاث خصال لأن تكون لي خصلةً منها أحبُّ إليَّ من حُمرِ النِعَمْ قيل وماهُنَّ يا أمير المؤمنين ؟ قال : تزويَجهُ فاطمة بنت رسول الله (ﷺ) ، وسكناهُ المسجد مع رسول الله (ﷺ) يحلّ له فيه مايحلّ لهُ ، والراية يوم خيبر))[٢] .

فكان من البديهي أن تعظم مصيبة الأمّة الأسلامية جمعاء وأن تفجع لفقد من حمل تلك المنزلة الكبيرة لدى الرسول (ﷺ) والمسلمين ، وأن يكشف الشعراء عن مظاهر الحزن وآثارَهُ فيهم كشفاً صادقاً عميقاً ، لاتقل فيه مراثي الشواعر ألماً وحُرقةً[٣] ، لاسيما وقد قُتِلَ غدراً وهو يؤدّي فروض ربّه في شهر رمضان ومن بين المراثي الكثيرة ترثي أُمُّ الهيثم بنت الأسود النخعية أمير المؤمنين (□) قائلة :

ألاَ ياعينُ ويحكِ فآسْعِدينَا ألاَ تَبكِي أميَر المُؤمِنينَا
رُزِئنَا خَيَر مَنْ رَكِبَ المطايَا وخيسها ومَنْ رَكبَ السفينَا
ومَنْ لَبِسَ النِّعال ومن حَذَاهَا ومَنْ قَرأ المثَانِي والِمئَينَا
وَكُنَّا قَبْلَ مَقْتَلِهِ بخَيرٍ نَرَى مَولى رسولَ الله فينَا
يُقيمُ الدينَ لايرتابَ فيهِ ويَقْضِي بالفَرائِضِ مُسْتَبِينَا

الى أن تقول :

أفي شهرِ الصِّيامِ فَجَعْتُمونَا بخير الناس طُرَّاً أجمعينَا
ومِن بعد النبيِّ فخيرَ نفسٍ أبو حسنٍ وخيرَ الصَالحِينَا[٤]

---

(١) ديوان ليلى الأخيلية ، ص٩٢ .
(٢) البداية والنهاية ، مج٤ ، ٧/ ٣٥٤ .
(٣) ينظر مثلاً رثاء أم البراء بنت صفوان في بلاغات النساء ، ص٧٦ وشاعرات العرب في الجاهلية والإسلام ، ص١٨٤ . ورثاء بكارة الهلالية في بلاغات النساء ، ص٣٥ وشاعرات العرب في الجاهلية والإسلام ، ص١٨٥ .
(٤) مقاتل الطالبين : أبو الفرج الأصفهاني ، ص٢٩ . وفي بلاغات النساء ،ص٢٩-٣٠ نسبت الأبيات لأروى بنت الحارث ابن عبد المطلب
وفي الرثاء : شوقي ضيف ، ص٥٨-٥٩ نُسِبَتْ الأبيات لأبي الأسود الدؤلي . وهي أم

وهذه العواطف الصادقة والعبارات الموحية التي تولّدت في نفس الشاعرة كانت بفعل الخسارة وعظم الرزيّة التي أُصيبَتْ بها ، لا لمقتل الأمام علي () وفقِدهِ فحسب بل لأن المسلمين قد فقدوا لفقدِهِ رسول الله (f) بعد أن كانوا يرونه فيه ، ولعلها سمة تميّزت بها مراثي الخليفة الرابع () ، أما ماعرجت عليه من تعديد مناقبه الكريمة فهذا - بلاشك - مايتعلق بشخص المرثي ومكانته العظيمة وبهذا المعنى تقول سودة بنت عمارة بن الأشتر بعد ان تسأل الله أن يصلّي على روح الفقيد الطاهرة :

صَلَّى الألهُ على جسمٍ تَضَمَّنَهُ قبرٌ فأصبحَ فيهِ العدلَ مدفونَا
قَدْ حالفَ الحقَّ لايبغي بهِ بدلاً فصارَ بالحقَّ والايمانِ مقرونَاً[(١)]

وبالمعنى ذاته ترثيه أُمُّ سِنان بنت خيثمة مُتعقّبة قولها ، أنَّهُ لعظيم صفِاتهِ التي قد لايملكها غيره هيهات أن يكون للمسلمين خلف من بعده فتقول :

إمَّا هلكتَ أبا الحُسين فَلَمْ تَزَلْ بالحقِّ تُعرفُ هادياً مهديّاً
فأذهب عليكَ صلاةُ ربِّكَ مادَعَتْ فوقَ الغصونِ حمامةٌ قَمَريّاً
قَدْ كُنْتَ بَعَد محمدٍ خَلَفَاً لنَا أوصَى إليكَ فكُنْتَ وَفيّاً
فاليومَ لاخلفَ نأملُ بعدهُ هيهاتَ نمدحُ بَعدهُ إنْسِيّا[(٢)]

أمّا مساهمة المرأة الأدبية في العصر الأموي فانها لم تكن أقلّ نشاطاً عمّا كانت عليه في عصر الخلفاء الراشدين ، بل أنها كانت إمتداداً لجرأة المرأة الأدبية حتى أمتلأ العصر الأموي بفضليات النساء ذوات الأثر الخالد ، لاسيما وقد كان الخلفاء الأوائل من الأمويين كمعاوية بن أبي سُفيان ويزيد بن معاوية ويزيد بن عبد الملك وأبنه الوليد بن يزيد مشجعين ومخفرين لتلك الجرأة الأدبية ، وآستمرت حتى في زمن عبد الملك بن مروان ثم اخذت تخفتُ شيئاً فشيئاً ، ومن أشهر هؤلاء النساء الزرقاء بنت عدي[(٣)] ، في عهد معاوية بن أبي سفيان ، وليلى الاخليلية[(٤)] في عهد

الهيثم بنت الأسود النخعية من مؤيدي الأمام علي () في وقعة صفين ، شاعرة فصيحة ، أجادت الرثاء في الإمام علي () .

(١) بلاغات النساء ،ص٣١ ، وينظر شاعرات العرب في الجاهلية والاسلام ،ص١٨٦ . وهي سودة بنت عمارة بن الأشتر الهمدانية ، شاعرة من شواعر العرب ذات فصاحة وبيان وفدت على معاوية بن أبي سفيان بعد أستشهاد علي () . ينظر أعلام النساء ،٢ /٦٦٣ .

(٢) المصدر نفسه ، ص٦٣ ، وينظر شاعرات العرب في الجاهلية والإسلام ،ص١٨٣ . وهي أُمُّ سِنان بنت خيثمة بن خرشة المذحجية شاعرة من شواعر العرب وفدت على معاوية تستعطفهُ في غلامٍ حَبسَهُ مروان بن الحكم ، ينظر أعلام النساء ،٢/ ٦٥٧ .

(٣) وهي الزرقاء بنت عدي الكوفية من ربّات الفصاحة والبلاغة والعقل والرأي ، ناصرت علي بن أبي طالب يوم صفين / ينظر أعلام النساء ، ٤٤٤/١ .

(٤) ليلى الأخيلية : هي ليلى بنت حذيفة بن شدّاد بن كعب بن الرحال بن معاوية ، وقيل في نسبها هي ليلى بنت عبد الله بن الرحال بن شدّاد بن كعب بن معاوية بن عبادة بن عقيل ... بن

عبد الملك بن مروان ، ولم يقتصر ظهور شهيرات النساء على طبقة دون اخرى فنجد من زوجات الخلفاء أُمُّ البنين[1] زوجة الوليد بن عبد الملك ومن جمهور الإماء اللواتي يعني بتعليمهنَّ الآداب من شعرٍ وروايةٍ وموسيقى كسلاّمَة[2] وحبّابَة[3] وجميلة[4] وغيرهن كثير[5] .

ومن الملفت للنظر حقاً أننا لم نعثر على مراثٍ كثيرة قالتها الشواعر في خلفاء بني أُميّة ، اللّهُمَّ إلاّ بعض الأبيات قالتها في رثاء معاوية بن أبي سفيان ، ويزيد بن عبد الملك ، إذ قالت أمرأة من أهل معاوية ترثيه رثاءً تقليدياً ، فتعدد مناقبهُ :

إنْ ماتَ ماتَ الجودُ وآنقَطَعَ مِنَ النَّاس إلاّ مِنْ قليلٍ مُصَرَّدِ
وَرُدَّتْ إكُفُّ السَّائِلينَ وَأمسَكُوا مِنَ الدِّينِ والدُّنْيَا بِخَلفٍ مُجَدَّدِ[6]

ولمّا توفي يزيد بن عبد الملك رثته سلاّمُة قائلة :

لاتَلُمْنَا اِنْ خَشَعْنَا أو هَمَمْنَا بِخُشُوع
قَدْ لَعُمْرِي بِتُ لَيْلِي كأخي الدّمْع الوَجيع
كُلمَا أبْصَرْتُ رَبْعَاً خَاليَاً فَاضَتْ دُمُوعِي
قَدْ خَلاَ مِنْ سَيِّدٍكا نَ لَنَا غَيرَ مُضِيع[7]

عامر بن صعصعة شاعرة فصيحة ذكية جميلة عاشت شطراً من حياتها في عصر الخلفاء الراشدين ، وواكبت بعض أحداثِهِ ، أشتهرت بأخبارها مع توبة بن الحمير ، وقد ذهب الأقدمون على تفضيل طبقتها في الشعر على طبقة الخنساء وبالعكس / ينظر ديوان ليلى الأخيلية ، ص١٨، ٣٥ .

(١) وهي أُمُّ البنين بنت عبد العزيز بن مروان من ربات الفصاحة والبلاغة ، وقوة الحجة ، وبعد النظر قرعت بجوابها حجة الحجاج وأفحمته بكلام مبين ـ ينظر أعلام النساء ، ١٢٦/١ .

(٢) وهي سلاّمة القس مغنية وشاعرة من مولدات المدينة شغف بها عبد الرحمن بن أبي عمار الجشمي ـ من قرّاء مكة ـ الملقب بالقس لكثرة عبادته وكان تابعياً فنُسبَتْ إليه وغلب عليها لَقَبُهُ . ينظر أعلام النساء ،٦٢٦/٢ ومعجم النساء الشاعرات ، ص١٢٧ .

(٣) وهي حبّابَة جارية يزيد عبد الملك مغنية من ألحن من رؤيَ في الإسلام من قيان ومن أحسن الناس وجهاً وأكملهم عقلاً وأفضلهم أدباً ، قرأت القرآن وروت الأشعار وتعلَّمَت العربية . ينظر أعلام النساء ، ١٩٥/١ .

(٤) وهي جميلة من أعلم المغنيات في العصر الأموي وعنها أخذ معبد وأبن عائشة وحبّابَة وعقيلة العقيقيّة والشمّاسيّتان خُلَيْدة ورُبَيحَة . ينظر أعلام النساء ، ١٧٥/١ .

(٥) ينظر شهيرات نساء العصر الأموي : بحث رمزية الأطرقجي ، مجلة المؤرخ العربي العدد ١٥، ص٢١٥-٢١٦ .

(٦) التعازي والمراثي : للمبرد ، ص٢٢٤ .

(٧) النساء العربيات : كرم البستاني ، ص٩٥-٩٦ .

وممارثته بهِ مرثيةً أخرى أبكَتْ بها العيون وأحرقت لها القلوب ، وهي :

ياصاحبَ القبرَ الغريبِ بالشَّامِ في طَرْفِ الكَثيبِ
بالشّام بينَ صفائحٍ صُمٍّ ترصفُ بالجنوبِ
لمّا سَمِعْتُ أنَينَهُ وبكاءهُ عِند المَغيبِ
أقبلتُ أطلبَ طبَّهُ والداءُ يعضلُ بالطَّبيبِ[1]

ويتضح من خلال المعاني التي نظمتها الشواعر ، وهن يرثين الرجال من خلفائهن البارزين إنهُنَّ جِئنَ برثاءٍ ذي طابعٍ سياسي يكشف عمّا كان لهنٌّ من وقعٍ في هموم الصراع الداخلي لامجرد التعبير عن عاطفة خاصّة تجمعهن والمرثي وهن فضلاً عن المعاني الأنسانية العامّة التي ضمنتها أبياتهنْ يحرصن لطبيعة محور الصراع (الخلافة) على إضفاء صفاتٍ دينيةٍ على المرثي .

ومن الجدير بالذكر أن المرأة العربية المسلمة لم تبكِ بنات جنسها ، ولم ترثِهِنْ وهنا يأتي دور أبن رشيق القيرواني عندما يقول :((ومن أشد الرثاء صعوبة على الشاعر أن يرثي طفلاً أو إمرأة ، لضيق الكلام عليه فيهما ، وقِلّة الصفات))[2] .

اِلاّ أنَّهُ من غير المعقول أن يقتصر حزن النساء على الرجال ، ولانصيب للأمهات والأخوات والبنات والصديقات فيه ، ولابدَّ أن هناك عُرفاً أجتماعياً قاهراً قد حال دون ذلك .

٢ ـ الغزل :

من الطبيعي أن تكون المرأة مصدر الجمال والفتنة ومصدر الهام الشعراء والأدباء وأبداع الفنانين ، فنجد الشاعر العربي قد أفتتح أولى هواجسه الشعرية بالمرأة ، وصوَّرَ المِحُبْ مايعتلج في قلبهِ من محبةٍ وآشتياق إزاء الحبيبة ، فكان بلا شك في أن تشعر المرأة شعور الرجل وتحسُّ أحساسَهُ فكما أرادها أن تكون أنشودة وحيه ، هكذا هي رَغبَتْ أن يكون موحي خيالها.

ولأن العرب على فطرتهم وطبيعة أقليمهم وطرق معايشتهم أهل عفةٍ وصيانةٍ فأننا نتوقع أن من الواجب الأكيد على الشاعرة وتقاليدها العربية أن تقف صامتة إزاء عواطفها القلبية ممتنعة مهما أعتلج في صدرها الشوق وآستعر في فؤادها الحنين ومما يؤكد ذلك قول ليلى العامرية :

---

(١) أعلام النساء ،٦٣١/٢ .
(٢) العمدة في صناعة الشعر ونقده : لابن رشيق القيرواني ،١٥٤/٢ . وينظر نهاية الأرب : للنويري ، ٢٢٠/٥ .

لَمْ يكُنْ المجنُونُ في حالةٍ   إلاّ وَقَدْ كُنْتُ كمَا كانَا
لكنَّهُ باحَ بسرِّ الهَوى   وإنَّني قَدْ ذِبْتُ كِتْمَانَا[١]

أو قد تتظاهر الحبيبة بأنّها لاتُبالي بمن تحب لتوهم الوشاة والرقباء فتتحدث بحديثٍ لايفهموه وتلحن لهم بمعنىً يفهمَهُ الحبيب وحدَهُ وإشارةٍ لايعرفها إلاّ هو ، وفي ذلك قال بعض ولد أسماء بن خارجة الفزاري :

وحديثٌ إلَذُّهُ وهو ممّا   يونِقُ السامِعينَ ،يُوزَنُ وَزْنَا
منطقٌ صائبٌ وتلحنُ أحياناً   وأحلى الحديثِ ماكانَ لَحْنَا[٢]

وتحدثنا كتب الأخبار والأدب عن العُشّاق في صدر الأسلام وعن إخبار عفافهم وشرفهم ، فما كان من الحبيبين إلاّ أن يجتمعا بعد طول البعد وآحتدام الشوق فيجلسان ويتعاتبان ويتحادثان ثم ينصرفان[٣] . وتحدثنا أيضاً كيف أنَّهمُ كانوا يعتبرون القُبلة إثماً وزناً يجب التكفير عنهما[٤] .
وقد تتجاوز مظاهر العِفَّة الأعمال فهم يريدون العفاف للمرأةِ حتى في قَولِهَا وحدَيثِها وهذا ماصرَّحَ بهِ سويد بن أبي كاهل حينما قال :

تُسْمِعُ الُحدَّاثَ قولاً حَسَناً   لو أرَادُوا غَيْرهُ لَمْ
[٥]

فضلاً عن ذلك فقد ((كان الخلفاء الراشدون حريصين على آداب القوم ، فجعلوا التشبيب ذنباً يستوجب القصاص ، وكان عمر بن الخطاب لايسمع بشاعرٍ شَبَّب بآمرأة إلاّ جلده))[٦] . ولاشكِ في أن لهذه الأسباب جميعاً الأثر الواضح في قِلَّة الغزل في أشعار النساء ، لاسيما وأنَّ ((مؤرخي أدبنا قد سيطرت عليهم فكرةً خاطئةً ، صوّرتْ لهم أن الشاعرة العربية ، لاتحسن غير الرثاء ، ومن ثم حددوا المجال الفني للشاعرة بالرثاء وحده ، فلم يهتموا بغير قصائدها فيه))[٧] .
ونظرةٌ في أبيات الغزل القليلة هذه تطالعنا صورتين رسمتهما المرأة في

---

(١) شاعرات العرب في الجاهلية والإسلام : بشير يموت ، ص١٥٨ ، وينظر معجم النساء الشاعرات : عبدا . مهنا ، ص٢٣٣ . وهي ليلى بنت مهدي بن سعد، أم مالك العامرية شاعرة من بني كعب بن ربيعة صاحبة المجنون قيس بن الملوح . توفيت نحو ٦٨هـ .
(٢) الأشباه والنظائر : للخالديين ، ٥٤/١ . وفي البيان والتبيين ، ١٤٧/١ ،

.... ينعَتُ الناعِتونَ يُوزَنُ

وهو مالك بن أسماء الفزاري شاعر أسلامي غزل ، وأُخته هند بنت أسماء زوج الحجاج ، وهو مّمن عُرِفَ بالجمال في العرب .
(٣) ينظر المستطرف في كل فن مستظرف : للأبشيهي ، ١٨٢/٢ ومابعدها .
(٤) ينظر عيون الأخبار : لأبن قتيبة ، ٩٢/٤ .
(٥) ديوان سويد بن أبي كاهل ، ص٢٥ .
(٦) تاريخ التمدن الإسلامي : جرجي زيدان ، ٥٨٧/٥ .
(٧) الشاعرة العربية المعاصرة : بنت الشاطيء ، ص١١ .

الغزل إحداهما تتسمُ بالعِفّةِ وأمساكِ هوى النفس والحياء والأُخرى تتسمُ بالصراحةِ والفحشِ أحياناً .

وصورة الغزل الأولى هي الصورة التي رسمتها الشاعرة العربية المسلمة التي تأثرت بالإسلام وتعاليمِهِ فزادها ذلك حُرصاً على العفافِ والحياءِ كما إنَّهُ أحتلَّ مساحةً واسعةً من ديوان أشعارها ، وهو ما سُمِيّ بالغزل العُذري ، وهو ضربٌ من الغزلِ النقي الطاهر الممُعن في النقاء والطهارة لايَنبعِثُ عن مجرد الأحساس بالحُبِّ والتعاطف بين الرجل والمرأة أو التَفنُّن في تجسيد الصفات المثيرة ، وإنما يقوم أساساً على مشاعر العشق التي تنشأ بين رجلٍ وأمرأة يكبحان مطامع الأفئدة ومطالب الجسد ، فتُطفئ فيهما نوازع الروح على نوازع الحواسّ ونشوتها ، وهو بعد ذلك التعبير الفني عن حُبٍّ يَتسَّمُ بالديمومة(١) .

فهذه ليلى الأخيلية تتحدث عن عِفَّتِها وآمتناعها إذ تقول :

وذي حاجةٍ قُلنا لَهُ لاتُبحْ بهَا   فليسَ إليها ماحييتَ سبيلُ
لَنا صاحِبٌ لا ينبغي أنْ نَخُونَهُ   وأنْتَ لأُخرَى فارِغٌ وحَليلُ(٢)

وتقول ليلى العامرية وقد أظهرت بُغْضَها للحبيب وأضمرت هواها واكتفت بالنظر بالعيون :

كِلانَا مُظهرٌ للناسُ بُغضاً   وكُلّ عندَ صاحِبهِ مَكينُ
تُبلّغُنَا العيونُ بما أردنَا   وفي القَلبَينِ ثمَّ هَوىً دَفِينُ
وأسرارُ اللّواحظِ ليسَ تَخفَى   وقد تُغري بذي الخطأ الظنُونُ
وكيف يفُوتُ هذا النَّاس شيءٌ   ومافي النَّاسِ تُظّهرُهُ العُيونُ(٣)

---

(١) ينظر العُشّاق الثلاثة : زكي مبارك ، ص١٥-١٧ .

(٢) ديوان ليلى الأخيلية ، ص ٩٥-٩٦ . وينظر ليلى الأخيلية وتوبة : للأصبهاني ص١٢ وهي ليلى بنت عبد الله بن الرحال بن شداد بن كعب ، الأخيلية من بني عامر بن صعصعة ، عاشت شطراً من حياتها في عصر الخلفاء الراشدين وواكبت بعض أحداثه ، وتعد من النساء المتقدمات من شعراء الأسلام ، والحق أنها إن تكن عاشت في عصر صدر الأسلام فهي شاعرة أُموية ظهرت فيه شاعريتها، ففي أكثر شعرها ذكرٌ لخلفاء هذا العصر وبعض أُمرائِهِ جاءتهم مادحة أو شاكية أو عاتبة ، أشتهرت بأخبارها مع توبة بن الحمير الذي خطبها الى أبيها فأبى أن يزوجه أيّاها وزوجها رجلاً من بني الأذلغ وروي أنّ سوّار بن قشير هو زوجها الثاني توفيت نحو سنة ٨٥ هـ .

(٣) الأغاني ،١٥/٢ وينظر بسط سامع المسامر في أخبار مجنون بني عامر : لأبن طولون الدمشقي ، ص١٨ وفيه تروى الأبيات كالآتي :

وندفعُ بالتجمُّلِ ضعنَ قومٍ   وفي الأحشاءِ منكَ هوىً دفينُ
ونُظهرُ جفوةً من غَير حِقدٍ   وحبُّك في فؤادي مايبينُ
فَطِبْ نفساً بذاكَ وقُرّ عيناً   فإنَّ هواكَ في قلبي مَصُونُ

أمّا الغزل الصريح عند المرأة فقد نَظَّمت فيهِ الأبيات والمقطّعات دون أستحياءٍ أو خجل ، ولعل ماذهب إليه أبن حزم من رأيٍ في الحبِّ ماينهضُ سبباً وراء تلك الحالات النادرة للغزل لدى الشواعر وهو ((إنَّ للحُبِّ حكماً على النفوس ماضياً ، وسلطاناً قاضياً ، وأمراً لايُخالَفْ ، وَحَداً لايُعصَى ، وملكاً لايتعدّى ، وطاعةً لاتُصرَفْ ، ونَفَاذاً لايُرَدّ))[1] .

فقد روي أنّ الخليفة أبا بكر الصديق (رض) مرَّ في خلافتِهِ بطريقٍ من طرق المدينة فإذا جارية تطحن برحاها ولاتبالي أن تعلن حُبَّها أمام الخليفة فتنطق باكيةً وتصرِّح بآسم حبيبها قائلة :

وهَوَيتَهُ مِنْ قَبلِ قَطْعِ تَمائِمي مُتَمايساً مثِلَ القَضيبِ الناعم
وكأنَّ نورَ البدرِ سُنَّة وجهَهُ يَنمْي ويَصعَدُ في ذؤابةِ هاشِمِ

ثم مالبثت أن بكتْ بعد أن سألها الخليفة بمن تهوى فقالت :

وأنَا التِي لَعِبَ الغَرَامُ بَقلْبِهَا فبكَتْ لحِبِّ مُحمَّد بن القاسِمِ[2]

وقد تذهب المرأة في التصريح في الغزل الى أبعد من ذلك فمثل ماحصل للخليفة الأول حصل للخليفة الثاني عمر بن الخطاب (رض) الذي كان يطوف ذات ليلة في سكك المدينة وإذا بهِ قد سمع أمرأة تُشَبِّبُ بنصر بن حجّاج فتقول :

هَلْ مِنْ سَبيلٍ الى خمرٍ فأشربها أمْ مِنْ سَبيلٍ الى نَصر بن حجّاج
الى فَتىً ماجدِ الأعراقِ مُقتبلٍ سهل المُحيَّا كريمٌ غيرَ مِلجاج
تنميه أعراقُ صدقٍ حين تنسبه أخي وفاءٍ عن المكروبِ فَرّاج[3]

فما كان من الخليفة الاّ أن سَيَّرَ نصر بن حجاج الى البصرة .

وهذه أُمُّ حكيم بنت يحيى وقد عالجت من الموضوعات ماعالج الرجل دون خوفٍ أو تحرُّج اذ تقول :

ألا فاسْقِيانِي من شَرابكُمَا وإن كنتُ قَدْ أنفذتُ فاستر هِنَا
سُواري ودملوجي ومامَلَكَتْ يدي مُباحٌ لكم نَهبٌ ولاتقطعوا[4]

---

(١) طوق الحمامة في الألفَةِ والآلآف : لأبن حزم الأندلسي ، ص٨٤ .

(٢) روضة المحبين ونزهة المشتاقين : لابن قيم الجوزيّة ، ص٤٠٧ ، والجارية كانت تقصد محمد بن القاسم بن جعفر بن أبي طالب .

(٣) المستطرف في كل فن مستظرف : للأبشيهي ١٨٦/٢ وينظر عيون الأخبار، ٢٤/٤ وهو نصر بن حجاج بن علاط البهزي كان من أحسن الناس وجهاً واحسنهم شعراً ، الأبيات لفُريعَة بنت همام الزلفاء ، ينظر شاعرات العرب في الجاهلية والإسلام ، ص١٦٧ .

(٤) شاعرات العرب في الجاهلية والإسلام ، ص١٨٩ . وينظر معجم النساء الشاعرات ، ص٢٩١. وهي أُمُّ حكيم بنت يحيى الأموية شاعرة من شواعر الدولة الأُموية وكانت من أجمل

فهي تهبُ حُليَها وماملكت يدها مقابل منحها الشراب والخمر اللذين لاتكاد تفارقهما وهذه الجرأة والإباحية التي نلمسها في غزل النساء قد وجدت لها مُتنفساً في العصر الأموي لما آل إليهِ المجتمع آنذاك من تشجيعٍ للغناءِ والموسيقى ، وشغف أهلها بضربٍ من اللهو والمجون كان له الأثر الواسع في أدبهم وشعرهم لاسيما وأن أغانيهم كانت تدور في أغلبها على الحب حتى أنّ الشعراء كانوا يعنون بالغزل من الإماء من المغنيات ويصرحون بكل مايجول في إنفسهم دون تَحرُّج من شيء[١] .

((وكانت المرأة الشريفة في المدينة لاتجد حرجاً في أن تُذكَر في الشعر ، وأن يتغنى الشعراءُ بها))[٢] .

كما إنَّ الشاعرة العربية لم تجد حرجاً في أن تأخذ من موسم الحج والطواف في الكعبة فرصةً تَغتنِمُها للتعبير عن الغزل ولفت الإنظار إليها ، ويبدو أنَّ عائشة بنت طلحة هي إحدى النساء اللواتي كان لهن صدىً واضحاً مع الشعراء في ذلك ، يروى أنّ آبن أبي ذؤيب قد رآها وهي تطوف بالبيت فسألها : من أنتِ ؟ فقالت وهي تتضاحك وتتماجن :

مِنَ اللائي لمْ يحْجِجْنَ يبغينَ ولكنْ ليْقتُلنَ البريءَ المُغَفَّلا[٣]

وقد تذكر المرأة الغزل عند طوافها وتتحدث في سيرة العُشّاق كونها ترى أنّ حديثها هذا ماهو الاّ كلامٌ جميلٌ يبعد صاحبةُ عن الفحشاء مادام في دين الإسلام ، فقد روي عن الإصمعي أنّهُ رأى جارية بالطواف وهي تقول :

لنْ يَقبلَ اللهُ منْ مَعشُوقةٍ عَمَلاً يَوماً وعاشِقُها حَيرانُ مَهجْورُ
ولَيسَ يأجُرُهَا في قَتْلِ عَاشِقِها لكنَّ عاشِقَهَا لاشَكّ مَأجُورُ

فقال لها : ياجارية ، أفي هذا المقام ، أما حَياءٌ فيردعك ! فردّت عليه قائلة :

بيضٌ أوانِسُ ماهَممنَ بريبةٍ كَظبَاء مَكّة صَيْدهُنَّ حَرَامُ
يُحْسَبْنَ مِنْ لِين الكلامِ زَوانِياً ويَصُدّهُنّ عن الخَنَا الإسلامُ[٤]

ولانعدم أنْ نرى المرأة تنظم الغزل بنوعيهِ العفيف والمصرّح في الحبيب وفي

نساء قريش وكانت معاقرة للشراب مدمنة عليه حتى حفظ كأسها في خزائن الخلفاء . ينظر أعلام النساء ، ٢٤١/١ .

(١) ينظر الشعر والغناء في المدينة ومكة لعصر بني أُميّة : شوقي ضيف ، ص٤٦ ومابعدها .

(٢) المصدر نفسه ، ص٩٨ .

(٣) عائشة بنت طلحة : كمال بسيوني ، ص٦٧ . وهي عائشة بنت طلحة بن عبيد الله بن سعد بن تيم . وأمها أم كلثوم بنت أبي بكر الصديق ، تزوجها عبد الله بن عبد الرحمن بن ابي بكر الصديق ثم خلف عليها مصعب بن الزبير بن العوام فقُتِلَ عنها فخلف عليها عمر بن عبيد الله بن معمر بن عثمان التيمي ، روت عائشة بنت طلحة عن عائشة أم المؤمنين . ينظر الطبقات : لابن سعد ٣٤٢/٨.

(٤) الظرف والظرفاء : للوشّاء ، ص٩٢ .

الزوج أيضاً فأمّا غزلها الصريح بالحبيب وفضلاً عمّا ذكرنا فأنه قد تبلغ جرأتها بالتصريح بِهِ أمامَ أبيها غير مكترثة لفرط غيرة الإعراب وما قد يلحقها من أذىً أو سوء ، فهذه الخنساء بنت التيحان وقد أعلنت حُبَّها وآشتياقها لجحوش مخاطبةً أباها قائلة :

إنَّ لنَا بالشَّام لَو نستطيعَهُ   خليلاً لنَا ياتيحانَ مُصَافيَا
نَعُدّ لَهُ الأيّامَ من حب ذكرِهِ   ونَحصى لَهُ يا تيحان اللّياليَا
فَليتَ المطايَا قَدْ رَفَعْنَكَ   تَجوبُ بأيديها الحزونُ
[illegible] الفَيافيا[1]

أو قد تحتجب بالمرأة الشاعرة عن الحبيب وتكتم حبها إذا توسمت في من تحب إنحرافاً أو رَيْبَة كما آتفق لأبي دهبل الجمحي مع عمرة الجمحية ، وكانت أمرأة جزلة يجتمع إليها الرجال لأنشاد الشعر ، وكان أبو دهبل من أشراف بني جمح وكان لا يفارق مجلسها ، وكانت تحبه وتتقدم إليه في كتمان حبها ، فجاء نسوه كن يتحدثن إليها فذكرن لها شيئاً عن أبي دهبل وانّه يقول أنّها عاشقةً لَهُ ، فرفعت مجلسها وتركت مجالسة الرجال ظاهرة وضربت حجاباً بينها وبينهم[2] .

وثمِة شيءٌ آخر نلمَسَهُ في غزل الحبيب وهو أنّهُ لا يكاد يخلو من العتابِ الذي قد يؤثر في الحبيب ويُلهبْ مشاعَرهُ ، ويجعلَهُ لايهاب الخوف ولايبالي بالضرر أو العقوبة التي قد تلحَقهُ ، وهذا ماحصل لرجل من بني عجل عشق إبنة عَمِّه ، وكان قد توجَّه مع المُهلَّب الى حرب الأزارقة فكتبت إليه تستزيره فكتب إليها :

لَولاَ مخافةُ بشرٍ أو عقوبَتَهُ   أو أنْ يُشدَّ عَلى كفَّيَّ مِسمْارُ
إذاً لَعطَّلْتُ ثَغْري ثم زُرْتكُمُ   إنَّ المُحبَّ إذا ما آشتاقَ زَوّارُ

فكتبت اليه:

ليسَ المحُبُّ الذي يَخْشَى العقابَ   كانت عُقُوبَتَه في إلْفهِ النارُ
بَلْ المُحب الذي لاشَيء يمنعَهُ   أو تَستَقرَّ ومَنْ يَهوى بهِ الدَّارُ[3]

فلما قرأ كتابها عَطَّل ثَغرهُ وآنصرف إليها غير عابيء بما سيُلاقي ، ومالبث أن وُشِي بِهِ الى بِشر ، ولما أراد بشر معاقبته إلتمسَهُ الرجل العُذر

---

(١) بلاغات النساء : لأبن طيفور ، ص٢١٤ ، وينظر أعلام النساء ، ٣٠٤/١ . هي الخنساء بنت التيحّان صاحبه جحوش بن عمرو بن سلمة ، وفد أبوه على النبي (ﷺ) وآستَعْطفه .

(٢) ينظر الأغاني ، ١٥١/٧ . وينظر تاريخ التمدن الإسلامي : جرجي زيدان ، ٥٨٣/٥ .

(٣) الأمالي : للقالي، ٢٩/٢- ٣٠ ، وينظر مضمون الرسائل الشعرية في الجاهلية والإسلام : عدنان عبد النبي البلداوي ، ص٢١٨-٢١٩ . و(بشر) : هو بشر بن مروان ، وكان شديداً على العصاة فكان إذا ظفر بالعاصي أقامه على كرسي وسمّر كفيه في الحائط بمسمار حتى يجزع .

وأنشدهُ الأبيات ، فَرقَّ لَهُ وعَفَا عنه .

وهذا يعني أنَّ الحبيبة أرادت بذلك لفت أنتباه الحبيب إليها وآستثارة مشاعره نحوها بأنها صَرَّحت بأبياتٍ من الحب أثَّرتْ في وجدانِهِ وجدَّدت نار الشوق في قلبِهِ ولربما تعلن المرأة حُبَّها وغرامها وإن كبرت وأصبحت عجوزاً فأنها لاتفتىء أن تستذكر عشقها وماذاقت من الهوى أيام صباها ، حتى تصل لأن تتباهى بأنها قد فاقت العُشّاق شوقاً وهوىً وسبقتهم إليه ، فأضحوا وقد ذاقوا الحب من فضل حُبِّها ولبسوا من حُليهِ ما أبلَتْهُ هي ، وهذا ماصرحت به عشرقة المحاربيّة عندما أسنَّتْ متذكرة ماضي أيامها فتقول :

جَرَيْتُ مَعَ العُشَّاقِ في حَلْبةٍ فَفُقْتُهُم سَبْقاً وجئتُ على رِسْلي
تَسَرْبلتُ ثَوْبَ الحُبِّ مُذْ أنا يَافِعٌ ومُتِّعتُ مِنْهُ بالصّدُودِ وبالوَصْلِ
فَمَا لبسَ العُشَّاقُ من حُلَل الهَوى ولاخَلعُوا إلاّ الثيابَ الِتي أُبْلِي
ولاشَرِبُوا كأساً مِنَ الحُبِّ مُرَّةً ولاحُلْوةً إلاّ شَرَابُهُم فَضْلِي(١)

أمّا الزوج فإنّهُ لم يكن أقلَّ حظاً من الحبيب ، وقد كان لهُ النصيب الوافر من الغزل ، ولعل أحسن ماقيل في واجب الزوجة الشريفة هو قول أمرأة تَتَودَّدْ زوجها فتقول :

قصارك مني النصح مادمت حيةً وودٌّ كماءِ الُمزنِ غير مَشوبِ
وآخر شيءٍ أنتَ في كل هجعةٍ وأولَ شيء أنتَ عِنَد هُبُوبِي(٢)

ولان عفة المرأة قد منعتها من الاباحة والتَغزُّل في الحبيب ، فأنّهُ لاتثريب عليها إنْ صَرّحت بِهِ عند زواجها مِنهُ ، فتصف عندئذٍ عفتها وكتمانها الهوى قبل ذلك عندما تُسأل وهذا ماحدث لأسماء صاحبة جعد بن مهجع العذري حين تزوجها بعد قصة طويلة ، وقد أبدت لهُ بعد الزواج كثيراً من الحب الذي كانت تخفيه عنه من قبل، وعندما سألها عن ذلك قالت :

كتمتُ الهَوى إنّي رأيتُكَ جازعاً فقُلتُ فتىً بُعدَ الصديق يَريدُ
فإن تطرحنّي أو تقول فتيَّة يضرُّ بها برْحُ الهَوى فتَعُودُ
فورَّيْتُ عمَّا بي وفي الكبدِ من الوجدِ برحٌ فاعلمنَّ شَديُد(٣)

(١) شاعرات العرب : عبد البديع صقر ،ص٢٤٦ وينظر شعر المرأة في القرن الأول الهجري : شاكر محمود ، ص٦٧. لم نعثر على ترجمة للشاعرة اِلاّ أنّ د. محمد الحوفي أستشهد بشعرها في كتابِهِ المرأة في الشعر الجاهلي على أنّها شاعرة إسلامية ، ص٦٦٣ .
(٢) بلاغات النساء :لأبن طيفور ، ص١٠٣ . وينظر شاعرات العرب في الجاهلية والأسلام : بشير يموت ، ص٢٠٣ .
(٣) مصارع العشّاق : لأبي محمد السرَّاج القاريء ، ٩٨/١ . وينظر شاعرات العرب في

وقد يحصل الهجر بين الزوجين بسبب الطلاق فتبقى الزوجة لاتنفكُّ تنشد زوجها الودَّ والمحبّة ، ولنا في أبياتِ أُمُّ الضحّاك المحاربّية بعد أن طلّقها زوجها الضبابي وآرتحل عنها مايدلُّ على عاطفةٍ لاتخمد وحباً حد الهيام إذ تقول :

يا أيُّها الراكبُ الغادِي لطَّيتهِ   عرِّج أبُثُّكَ عن بعضِ الذي أجدُ
ماعالجَ الناسُ من وجدٍ تضمَّنَهُمْ   إلاّ وَجَدْتُ بهِ فوقَ الذي وجَدُوا
حَسبي رضاهُ وإنّي في مَسرَّتهِ   وودَّهِ آخرَ الأيامَ أجتَهِدُ

وقالت :

هل القلبُ إنْ لاَقَى الضِّبَابِّي خالياً   لَدَى الرُّكْن أو عند الصَّفَا يتحرَّجُ
وأزْعجَنا قُربُ الفراقِ ، وبينَنَا   حديثٌ كتنفيسِ المريضين مُزْعِجُ
حديثُ لَو أنَّ الَّلحَم يُشوَى بحرِّهِ   غَريضاً أتى أصحابَهُ وهو مُنْضَجُ[1]

ولنأخذ من هذه الحادثة مجالاً للحديث عن فراق الأحِبَّة ، فإذا كان هذا النوع من الغزل قد قالتهُ الزوجة المُحبَّة بحقِّ زوجٍ فارقها وآبتعد عنها وهما أحياء ، فما بال الأحِبَّةِ وقد فَرَّقَ بينهما الموت دون رجعة ، ومابال الحبيبة التي لم تمُكّنَها الفرصة من الاقتران والزواج بمن تحبْ لسبب ما حين يأخذ الموت حبيبها ولاسيما لو كانت شاعرة ، فهي بلا شك في أن تَلُفَّ الحزنَ بأبياتِ الغزل وتكشف عن عمق الأحساس وحرارة الفقد كشفاً صادقاً ، ولعل ليلى الاخيليلة خير من صوَّرتْ ذلك ، فديوانها حافلٌ بالأبيات التي تذكر فيها حبيبها توبة بن الحمير الذي اشتهر بشعرهِ فيها وكان ذلك عائِقاً في زواجه منها لأن الأعراب تأبى أنْ تُزَوِّج بناتها لمن يذكرهنَّ في شعرهِ ، وعليه فقد زوجها أبوها الى رجلٍ من بني الاذلغ ، ولمّا قُتِلَ توبة تجد ليلى تكثر من ذكرهِ بأبياتٍ أغلبها في الرثاء لانعدم أن يكون للغزل حِصِّةٌ فيها إلاّ انّ ماضاع من أشعارها وآندثر قد يكون سبباً لقلة شعرها في التغزُّل بِهِ اذ اِنَّهُ ((لايمكن أن يكون مابين أيدينا من شعرها كل ماقالت ، فثمة من الشواهد مايُشير الى ضياع بعضه))[2] .

ومما قالته في توبة :

فيا توبُ مافي العيشِ خيرٌ ولاندى   يُعد وقد أمسيتَ في تربِ تعنفِ
ومانلتُ منك النِّصفَ حتى آرتمت   منايا بسهمٍ صائبِ الوقع إعجفِ[3]

وقالت في موضعٍ آخر :

الجاهلية والأسلام : بشير يموت ، ص١٩٢ ، وينظر معجم النساء الشاعرات ، ص١٥ .
(١) زهر الآداب وثمر الإلباب : للقيرواني ، ٤/ ١٠١١ .
(٢) ديوان ليلى الأخيلية ، ص٤٣ .
(٣) المصدر نفسه ، ص٩١ .

دَعَا قابضاً ، والموتُ يخفقُ ظِلُّهُ   وماقابضٌ إذ لم يُجِبْ بِنَجيبِ
وآسى عُبيدُ الله ثمَّ ابن أُمّهِ   ولو شاءَ نجّى يوم ذاكَ حَبيبي[1]

ولربما صار فن الغزل ثريّاً وجدّاباً إذا ماتلوّن بصدق الوجدان وقوة العاطفة وذلك يتوقف على نوع العلاقة ودرجتها بين الأحِبّة ، وما أظُنُّ أنّ هناك علاقة أشَدُّ صلة وأكثر انسجاماً بين غزل الحبيب والشاعرة التي أُصِيبَتْ بفقدِهِ ، وفي ذلك يقول صاحب كتاب منهاج البلغاء وسراج الأدباء ((أعلم أنّ خير الشعر ماصدر عن فكر وَلِع بالفنّ والغرض الذي القول فيه ، مرتاح للجهة والمنحى الذي وجّه إليه كلامه ... ولهذا كان أفضل النسيب ماصدر عن سجيّة نفس شجيّة ، وقريحة قريحة))[2] .

ومّما يُروَى عن فراقِ المُحبّين أن جميل صاحب بثينة عندما حضرتهُ الوفاة أخذ ينشد :

قُومِي بُثينة فآندُبي بعويلِ   وآبكي خَليلُكِ دونَ كل خَليلِ

ثم دعا رجلاً ليكون رسولاً الى بثينة يعلمها الخبر وينشدها قول جميل ، فلما علمت بثينة بموتِهِ قالت للرسول : ياهذا ، والله لئن كنت صادقاً قتلتني ، ولئن كنت كاذباً لقد فضحتني فقال : والله ما أنا إلاّ صادق ، وأخرَجَ حُلَّة جميل ، فلما رأتها صاحت بأعلى صوتها وصَكّتْ وجهها وآجتمع نساء الحي يبكين .... ثم فاقت وهي تقول :

وإن سلّوي عن جميل لساعة   من الدّهر ماحانَتْ ولاحانَ حِينُها
سواءٌ علينا ياجميلَ بن معمرٍ   إذا مُتَّ بأساءُ الحياةِ ولينُهَا[3]

٣ ـ الهجاء :

ان طبيعة بلاد العرب أملت على أهِلها نمطاً من الحياة كان الشعر فيه وسيلة من الوسائل التي يعدُّها العربي للتعرض الى خصومَهُ بُل إنَّهُ أرهب الأسلحة وأفتكها بهِ ، فالشاعر كان يُهيأ الهجاء للفتك بعدوِّهِ كما كان يُهيأ سيفه ودرعه ، لذلك كان العربي شديد الخوف من أن يُسَاءُ إليه أو الى قبيلتِهِ حِرصاً منهُ على شرفِهِ وشرف قبيلتِهِ التي يكتملُ فيها عِزُّهُ وتعلو بها مكانته .

أمّا بعد أن جاء الأسلام فقد أنهارت أمامَهُ الكثير من تلك التقاليد ، لكن

(١) المصدر نفسه ، ص٥٩ .
(٢) منهاج البلغاء وسراج الأدباء : أبو الحسن حازم القرطاجني ، ص٣٤١ .
(٣) أعلام النساء ، ٩٨/١ ، بلاغات النساء ، ص٢١٢ . وهي بثينة بنت حبا بن ثعلبة العذرية شاعرة من بني عذرة من قضاعة أشتهرت بأخبارها مع عشيقها جميل بن معمر العذري . حتى عرف بجميل بثينة مات قبلها ولم تعش طويلاً وكانت وفاتها سنة ٨٢هـ . ينظر أعلام النساء ، ٩١/١ .

الشعراء لم يلبثوا أن أصبحوا مابين مؤيدٍ لَهُ ومعارض ، ولمّا أحسَّ الرسول (ﷺ) بما للشعر من قوةٍ ووقعٍ على النفوس أخذ يدعو الى مهاجمة أعدائِهِ بالسلاح نفسه ، وقد يبدو شعراً لايخلو من الروح الجاهلية التي يرفضها الإسلام إلاّ أنّ الرسول كانُ مُضطّراً الى السكوت عنه بل تشجيَعهُ ((فهو يدرك أن هذه الألسنة المسمومة ، والأنفسُ المحمومة ، لن يسكتها عن هجائِهِ والنيل من صحابتِهِ ، والتهجم على رسالته ، إلاّ ان يُكال لها بالكيل نفسه ، وان ترمى بسهام القول من جنس ماكانت تتناولهُ في التهجم عليه وعلى دعوته وأصحابِهِ))[١] . وخاصةً بعد ان عمدت أعداء الأسلام الى السخرية منه بالهجاء والتحريض عليه ، عندئذٍ لم يتردد الرسول (ﷺ) فيما جعل من قتل أولئك الهجّائِين نُصرةً للهِ ورسولهِ ومن ذلك ماذُكِرَ عن شاعرة تدعى عصماء كانت تؤذي الرسول (ﷺ) وتهاجِمَهُ في شعرها فتسلَّلَ عمير بن عدي الخطمي وهو مسلم ضرير الى بيتها وطعنها بسيفه وهي نائمة وفي اليوم الثاني أخبر الرسول بقتله إيّاها ، فقال له الرسول (ﷺ) : ((نصرت الله ورسوله ياعمير)) فقال عمير : ((هل على شيء من شأنها يارسول الله ؟)) فأجابَهُ الرسول ((ان هذا أمرٌ لاينتطح فيه عنزان))[٢] .

أمّا في أيام بني أميّة فإن الخوف والخشية من الهجاء لم يختلف كثيراً عمّا كان عليه العرب في عصر ماقبل الإسلام والروايات المأثورة عنهم تُشيُر الى ذلك ، ومنها ماروي عن أبي العباس الأعمى وقد بلغه أنّ عمر بن أبي ربيعة كان يتعرّض لجاريةٍ له ، فقال لقائده : قفني على باب بني مخزوم فاذا مرّ عمر بن أبي ربيعة فضع يدي عليه ، فلّما مرّ عمر وضع يده عليه فأخذ بحجزته وقال :

ألاَ مَنْ يَشْتري جاراً بجارٍ لاينامُ ولايُنيمُ
ويلبسُ بالنهار ثيابَ ناسٍ وشطرَ الليلِ شيطانٌ

فنهضت اليه بنو مخزوم فأمسكوا فمه ، وضمنوا له عن عمر الاّ يعاود مايكرهه[٣] .

وهكذا فإنهم كانوا يلتمسون طرقاً شتى للتخلص مما يرمونهم به فتارةً يردُّون عليهم بالمثل وأخرى يغدقون الأموال على الشعراء ومما يذكر بهذا

---

(١) الأدب في عصر النبوة والراشدين : صلاح الدين الهادي ، ص٢٨٢ .

(٢) ينظر قصة الحضارة : ول ديورانت ، ٣٥/١٣ . وهي عصماء بنت مروان شاعرة من بني أميّة بن زيد ، لمّا قُتِلَ ابو عَفَك نافقت ، وكانت تحت رجل من بني خطمة يقال له يزيد بن زيد ، كانت تعيب الإسلام وأهله وتؤذي رسول الله (ﷺ) وتحُرِّض عليه فطعنها عمير بن عدي الخطمي وهي نائمة بسيفه في صدرها طعنة بلغ في قوتها أن نفذ السيفُ من تحتها الى فراشها . ولها في هجائها الرسول (ﷺ) والتحريض عليه أبيات تنظر في أعلام النساء ،١٠٢٢/٢ .

(٣) الاغاني ، ٣٣٠/١٦ .

الصدد ، أنّ مروان بن الحكم وكان عاملاً لمعاوية على المدينة بَلَغهُ عن الفرزدق قولٌ أوجب حَدَّهُ ، فأرسل في طلبِهِ ، فَفَرَّ الفرزدق الى البصرة ، فقال الناس لمروان : ((أخطأت فيما فعلت ، فانك عرضت عرضك لشاعرٍ مضر)) عندها وجَّهَ مروان رسولاً الى الفرزدق ومعهُ مائة دينار ، وراحلة خوفاً من هجائه[١] .

ومايهمنا هنا هو دور المرأة الشاعرة في القرن الأول الهجري من ذلك الهجاء ، وهو دورٌ لايتعدى هجاء المرأة لمن تكره فالمرأة المسلمة تهجو المشركين وتِردّ على من يتعرَّض للإسلام والمسلمين والمشركة تقف ضد الدعوة الاسلامية فتهجو الرسول والمسلمين بأشعارها ، وقد تهجو المرأة زوجها لسوء معاملته لها ، أو أنّها تعيَّرهُ بالجُبنِ والفِرار من القتال ، لذا فهو هجاءٌ دينيٌّ ظهر بظهور الدعوة الإسلامية الجديدة وماتخلَّلها من ظروفٍ مُستجَدَّة ، وآخر شخصي تتنفس به المرأة عّما يخصُّ حياتها .

الهجاء الديني :

ظهر هذا اللون من الهجاء بظهور الدين الجديد وماتخلله من حوادث ونزاعات ، ومابرحت المراة ان دخلت تلك الحرب اللسانية لتشارك الرجل وتساندهُ ضد العدو المشترك ، ولتنصر دينها بأشعارها وكلامها ، اذ جعلت خصمها هدفاً تقذف عليه سهام هجائها ، فهذه امامة المريدية يذكر انها لما قُتلَ ابو عفك المنافق الذي كانُ يحرض على عداوة الرسول (f) قالت أمامة المريدية - وكانت مسلمة - تهجوه :

تكذبُ دينَ الله والمرءَ احمداً لعمر الذي أمناك انْ يئس مايُمني
حباك حنيفٌ اخر الدهر طعنةً أبا عفكٍ خذها على كبر السنَّ[٢]

ولأن الشعراء آنذاك كانوا ينقسمون الى طائفتين من المسلمين والمشركين ، فقد دعت الحوادث التي وقعت بينهما الى أن يقف بعض الشعراء منهم ناقضاً ما آدعاهُ الآخر في تلك الحادثة قالباً عليه معانيه مُفنِّداً مزاعمَهُ وهذا مادار بين هند بنت عتبة وهند بنت أثاثة ، فحينما أنتصر المشركون في معركة أُحد وقُتِلَ بعض الصحابة الكرام أخذت هند بنت عتبة والنساء معها يمثلن بالقتلى من أصحاب رسول الله (f) ، ثم عَلَتْ على صخرةٍ مشرفة وصرخت بأعلى صوتها قائلة :

نَحنُ جَزَيناكُمْ بيومَ بَدْرٍ والحَرْب بعد الحرب ذاتَ سُعْرِ

(١) ينظر تاريخ التمدن الإسلامي ، ١١٤/٣ .
(٢) الإصابة ، ٥٠٥/٧ . أبو عفك شيخ من بني عمرو بن عوف بلغ عشرين ومائة سنة حين قدم النبي (f) المدينة كان يحرض على عداوة النبي (f) ، وفي أعلام النساء ٦٢/١ : هي إمامة الربذية .

ماكان عن عُتْبَة لي من صَبْر ولا أخي وعمَّهُ وبكْري
شَفَيتُ نفسي ، وقَضَيتُ نِذْري شفيتَ وَحْشِيّ غَليلَ صَدْرِي
فشُكْرُ وَحْشيّ عَليَّ عُمْري حتّى تَرِمَ أعظُمِي في قَبْرِي

فأجابتها هند بنت اثاثة قائلة :

خَزِيتِ في بدرٍ وبعد بَدْرِ يابنتَ وقّاعٍ عظيم الكُفْرِ
صَبَّحَكِ اللهُ غداة َالفَجْرِ مِلْها شميّين الطُوال
بكلّ قطّاعٍ حُسَامٍ يَفْرِي حَمزةُ لَيثي وعليٌ صَقْرِي
إذ رامَ شيبٌ وأبوك فَخَضَّبا منه ضواحي
ونَذْرِك السُّوء فَشرَّ نَذْرِ(١)

وقالت هند بنت عتبة توبخ إبنة عمها ، رملة بنت شيبة بن ربيعة ، زوجة عثمان بن عفان(رض) وتعيب عليها إسلامها وقتل إبيها شيبة الذي كان كافراً يوم بدر :

لحَاها الله صابئةً بوَجّ ومكّة أو بأطراف
تدين لمعشرٍ قتلوا أباها أقْتلُ أبيكِ جاءكِ باليقينِ(٢)

والملاحظ من هجاء المرأة الديني أنها لم تعيب عدوَّتها بالعيوب الخلقية ولم تضمن أبياتها الألفاظ الفاحشة بل ضمنتها السخرية أحياناً والتهكُّم والتحريض بما يتَّسِق وعقيدة الشاعرة .

كما نلاحظ أن المرأة أكثر صراحةً في هجومها على أعدائها ، وربما كان ذلك لأمِنها من أن تؤخذ بما تقول .

الهجاء الشخصي :

من الموضوعات التي قد تندفع المرأة فيها الى هذا النوع من الهجاء عديدة وقد تكون المنازعات والخصومات الشخصية التي تحدث بين الأزواج أشدَّها صراحةً وأكثرها هجوماً ، وما يروى عن هجاء حميدة بنت النعمان بن بشير لأزواجها ماينهض دليلاً على ذلك ، إذ تزوجها الحارث بن خالد بن العاص بدمشق لمّا قدم على عبد الملك بن مروان فقالت فيه :

نكحتُ المدينيّ إذ جاءَني فيالكِ من نكحةٍ غاويهْ

(١) السيرة النبوية : لابن هشام ، ٩٧/٣ . وهي هند بنت أثاثة بن عباد بن المطلب بن عبد مناف القرشية الهاشمية كانت مسلمة صحابية ، أسلمت عند بدء الإسلام في مكة وتحملت أذى قريش وهاجرت الى المدينة .
(٢) الأشباه والنظائر : للخالديين ، ٩٣/١ .

كهولُ دمشقٍ وشبّانها أحبُّ إلينا مِنَ الجاليهْ
صنانٌ لهم كصنانِ التيو سِ أعيا على المسكِ والغاليهْ[1]

وهو بلاشك هجاءٌ لايخلو من العيوب الخلقية التي تعيبها الشاعرة بزوجها ، كما إنَّها لم تتردد في أن تصف سوء خَلقِهِ بإباحيةٍ مُطلقةٍ .

ولما طلقها الحارث وتزوجها بعدَهُ روح بن زنباغ الجذامي ، رآها يوماً تنظر الى رهطٍ من قومِهِ جذام ، وقد أجتمعوا عنده ، فلامها فقالت له : وهل أرى إلاّ جذاماً ، فو الله ما أحُبُّ الحلال منهم فكيف بالحرام وقالت تهجوه :

بكى الخزُّ من روحٍ وأنكر جلدَهُ وعجَّت عجيجاً من جذام
وقال العبا قد كنت حيناً لباسهم وأكسْيةٌ كرديةٌ وقطائِفِ

وربما شاطرها الزوج الهجاء ثائراً لنفسهِ ومدافعاً عنها ، فأخذ روح يحاورها ذامّاً فيقول :

أثني عليَّ بما علمتِ فأنني مُثنٍ عليك لبئسَ حشو المنطِقِ

فقالت :

أثني عليك بأنَّ باعكَ ضيّقٌ وبأن أصلكَ في جذامٍ مُلصَقُ

فقال :

أثني عليَّ بما علمتِ فأنني مُثنٍ عليك بمثلِ ريح الجورَبِ

فقالت :

فثناؤنا شرُّ الثناءِ عليكم أسوأ وأنتنُ من سلاح الثَّعلَبِ[2]

وقال لها روح في بعض مايتنازعان فيه : اللهم إنْ بقيت بعدي فابلها ببعلٍ يلطم وجهها ويملأ حجرها قيئاً فتزوجها بعدهُ الفيض بن محمد بن الحكم وكان شاباً جميلاً يصيب من الشراب فأحَّبتهُ ، وكان ربما أصاب من الشراب مُسكراً فيلطمها

---

(١) أعلام النساء، ٢٥٣/١ . شاعرات العرب : بشير يموت ، ص١٧٤ ، وهي حميدة بنت النعمان بن بشير الأنصاري ، شبّت في بيت والدها في بحبوحة من العيش ، كريمة النفس ذات شمم وإباء معتزة بنفسها حتى إنها لم تجد زوجاً كفئاً لها ، وكان هجائها مريراً حتى خشيتها القبائل . فقد تزوجت الحارث بن خالد وروحاً والفيض بن عبد الحكم الذي ولدت منه ابنتها التي تزوجت الحجاج بن يوسف الثقفي ، وكان شديد المراس فأمرها بالكف عن قول الشعر في الهجاء خوفاً على نفسه من أن تهجوه إذا لم يعجبها أي تصرف منه ، وماتت في الشام في آخر عهد خلافة عبد الملك بن مروان / ينظر نساء لهن في التاريخ الإسلامي نصيب : علي إبراهيم حسن ، ص٧٦ . الجالية : أهل الحجاز ، الغالية : نوع من العطر غالٍ .

(٢) بلاغات النساء ، ص٩٦ ، أعلام النساء ، ٢٥٤/١ هو آبن روح الجذامي ، أمير فلسطين ، وسيد اليمانية في الشام وقائدها وخطيبها وشجاعها ، كان عبد الملك بن مروان شديد الإعجاب به ، وكان يقول : جمع روح طاعة أهل الشام ودهاء أهل العراق ، وفقه أهل الحجاز . قيل كانت له صحبة ، توفي سنة ٨٤هـ ، ينظر بهجة المجالس وأنس المجالس : للقرطبي ، ص٣٩ .

ويقيء في حجرها فتقول : يرحم الله أبا زُراعة ! لقد أُجيَبتْ فيّ دعوتُهُ وتقول في فيضٍ تهجوه :

سُمَّيتَ فيضاً ولاشيءُ تفُيضُ بهِ ... اِلاّ سِلاحُكَ بينَ البابَ والدارِ
فتلك دَعوُة رَوْحِ الخيرِ أعرفُها ... سقى الألهِ صَداهُ ألا وطفَ [1]

ومن نماذج الهجاء الأخرى هِجاء سُعدة أُمُّ الكميت ، والذي يُدهِشُ قارئهُ وبخاصةٍ إذا عرف أنَّها تهجو ولدها ، ولعل للمنافسةِ بين الأم وزوجة الإبن سبباً في ذلك ، اذ قيل أنَّ الكميت تزوج بنت أبي مَهْوَش على مراغمةٍ لأمِّهِ وكراهة لذلك غضبت أمُّهُ سُعدة وقالت فيه :

عليك بأنقاض العراق فقد عَلَتْ ... عليك بتخدين النساءِ الكرائِمِ
لعمري لقد راشَ آبنُ سُعدة نفسَهُ ... بريشِ الذَنَابى لابريشِ القوادِمِ
بَنَى لك معروفٌ بناءً هدمتَهُ ... وللشرفِ العاديّ بانٍ وهادِمِ[2]

وليس لديَّ من تفسير إلاّ إنّ الأمُّ قد تَحرصُ على الإحتفاظ بولدها ، لأنها تشعر بأنَّها أحقُّ بهِ من زوجته ، وبخاصةٍ إذا كانُ يُفضِلُّ الزوجة عليها .

ومما لاشك فيه أنّ المرأة من خلال ماتقدم هي الهاجية المُبتدِئَة بالهجاء ، وفي حالات نادرة يدافع الرجل فيها عن نفسِهِ بأنَ يَرُدّ عليها بالمثل ، إلاّ أنّ هناك نمطٌ من الهجاء تقوَلهُ المرأة لتُدافِعُ هي عن نفسها ، ولتُردّ على من هجاها من الشعراء .

فهذه ليلى الإخيلية لم تكن لتُردّ على النابغة الجعدي لولا أن تَعرَّضَ لها هو وهجاها هجاءً مرّاً فاحشاً بقولهِ :

ألا حيّبيا ليلى وقُولا لها هَلا ... فقد ركبتْ ... أغرّ محجَّلا
وقد أكَلَتْ بقلاً وخيماً نباتهُ ... وقد أنكحَت شرَّ الأخايلِ أخيلا[3]

وماكان منها إلاّ أن تَرُدَّ عليهِ قائلة :

أنابغَ لم تنبغْ ولم تكُ أوّلاً ... وكنتَ صُنُيّاً بين صدَّينِ مجهلا
أنابغَ إن تنبغْ بلؤمك لاتجدْ ... للؤمكَ إلاّ وسطَ جعدةَ مجعلا

---

(١) بلاغات النساء ، ص٩٨ ، وينظر معجم النساء الشاعرات ، ص٦٤ .
(٢) أعلام النساء ،٥٨٨/٢ . معجم النساء الشاعرات ، ص١٢٢ . وهي سُعدة بنت مزيد بن خيثمة شاعرة من شواعر العرب أم الكميت الشاعر . تخدين النساء : أتخاذهن أخداناً ، والخدن : الصديق ، القوادم : ريشات في مقدمة جناح الطائر .
(٣) شعر النابغة الجعدي ، ص١٢٣، ١٢٦ ، وينظر ديوان ليلى الأخيلية ، ص٢٧ . هناك كلمة نابية حذفناها .

أعيّرتني داءً بأمّك مثلُهُ وأيُّ جوادٍ لايقال لها : هلا؟![1]

وعلى الرغم من أن الشاعرة قد أفحَمَتْهُ إذ آستصغرت من شأنه ووصفتهُ باللؤم ، إلاّ إنّها لم تنعتهُ بالفحش أو ترد عليه بعباراتٍ نابية كما قال فيها ، ولعل ذلك متأتٍ ممّا خلفهُ الإسلام في نفس المرأة من الخُلقِ والحياء .

٤ ـ المديح :

طرق الشعراء العرب باب المديح منذ عصر ماقبل الإسلام وهو فنٌ تذبذبت أشكالُهُ بين الصدق والكذب والنفاق وبين المبالغة والتقصير تبعاً لتباين مستوى الممدوح والهدف الذي يسعى الشاعر الى بلوغه .

فقد يمتدح الشاعر عن إعجابٍ أو عصبيةٍ أو سياسةٍ ،أو أنهُ يُسرفُ في مدح الملوك والولاة طمعاً في عطاءٍ أو رغبةً في جمع مال وهذا ما عبَّر عنهُ ذو الرُّمّة قائلاً :

نجَائِبَ ليست من مهورِ أُشابَةٍ وَلاديَّةٍ كانت ولا كسبِ مَأثَمِ
ولكنْ عَطاءُ اللهِ من كلِّ رِحْلةٍ الى كُلِّ محجوبِ السُّرادِقِ[2]

وكان لابد للتغيُّرات التي حدثت في عصور أدبنا المختلفة من الإثر الواضح في بعض التغيير الذي أصاب المديح من حيث المعاني والأهداف والأساليب ، فبعد أن كان مديحاً غالباً ما ينحصر في مدح القبيلة والأشادة بأبنائها ، أصبح في صدر الإسلام متأثراً بقيم الدين الجديد ومعانيهِ التي أقرّها الإسلام .

ولم تكن المرأة بمعزلٍ عن ذلك ، فلقد كان لها نصيبٌ لابأس بِهِ من شعر المديح الذي واكب الحياة السياسية وأحداثها ، وآخر كان يعكس صورة المرأة في مديحها الشخصي ويكشف عن صدق عاطفتها ، وأتزانها بالقول . فهي غالباً ماتبعُد في مديحها عن الكذب والرياء ، حتى أنّهُ قد يصيُر أقربُ الى الإنصاف والإعتراف منه الى المبالغة والنفاق ، ويقننا في ذلك أبياتٌ قالتها أمُّ كلثوم أبنة عبد ود والتي تَستَوقِفُ قارئها ، وبخاصةٍ إذا عرف أن الأبيات قد صدرت عن أختٍ قُتِلَ أخوها ، فهي لم تَقُدّ جيباً ولم تخمش وجهاً أو تُعفِّرَهُ بالتراب ، ولكنها قابلت الحدث بأن مدحت قاتل أخيها وهو الإمام علي (□) الذي قتل أخاها عمرو بن عبد ودّ العامري في واقعة الخندق ، وما برحت أنْ عدّدت مناقبه ، إذ وجَدتْهُ كُفـءٌ له فتقول :

لو كان قاتلُ عمروٍ غيرَ قاتِلِهِ لكنتُ أبكي عليه آخرَ الإبَدِ

---

(١) ديوان ليلى الأخيلية ، ص١٠٢-١٠٣ . الصني : تصغير صنو ، والصنو : الشعب الصغير ، الصدان : جانبا سفح الجبل ، المجهل : الأرض التي لايهتدي فيها ، الجواد : المرأة العفيفة ، هلا : زجر للخيل .
(٢) ديوان ذي الرُّمَّة ، ١١٨٣/٢ .

لكنَّ قاتِلهُ مَنْ لايُعابُ بِهِ وكان يُدْعَى قديماً بَيْضة البلَدِ
مِنْ هاشمٍ في ذُراها وهي إلى السماءِ تُميتُ الناسَ
قومٌ أبَى الله إلاّ أن يكون لَهُمْ مكَارمُ الدِّينِ والدُّنيا بلاَ أمَدِ[1]

فآمتدحت الشاعرة أخاها وآمتدحت الإمام ، إذ وصفتهما بالفارسين اللّذين كان كلاً منهما كُفءٌ لصاحبِهِ في الشجاعةِ وعراقةِ النسب ، وهي لولا أن وجدت مقتل أخيها على يد ذلك الفارس الكريم لبكتْهُ آخر الدهر .

وهذا إنْ دل على شيء فهو يدلُّ على أنصاف الشاعرة في مديحها ، وآعتدال قولها وآتزانه . وربما يعود ذلك لكونها لاتهدف من ذلك المديح الى التكسُّب ، أو على الأقل عدم أيغالها فيه إذا كان لها من شعر التكسُّب القليل ، والذي لانستطيع الركون إليه .

وتعدُّ صفتي الكرم والشجاعة من الخصال التي تثير شاعرية المرأة في مديحها الرجال ومن ذلك قول ليلى الأخيلية تمدح صاحبها توبة بن الحميّر عندما قال لها معاوية : ويحك ! يزعم الناسُ أنَّهُ كان عاهراً خارباً ، فقالت :

معاذ آلهي كان والله سيّداً جواداً على العلات جمّاً نوافلُهْ
أغرَّ خفاجياً يرى البُخل سُبّةً تحلّبُ كفاه الندى وأناملُهُ
عفيفاً بعيدَ الهمَّ صُلباً قناتُهُ جميلاً معيّاهُ قليلاً غوائلُهْ
وكان إذا ما الضيفُ أرغى بعيَرهُ لديهِ أتاهُ نَيلَهُ وفواضلُهْ

ثم قالت تؤكد شجاعته :

إذا حلَّ ركبٌ في ذُراهُ وظلّه ليمنعهم مما تُخافُ نوازلُهْ
حماهم بنصلِ السيف من كل يخافونَهُ ، حتى تموتَ خصائلُهْ[2]

أمَّا الخنساء فعندما قيل لها : صِفي لنا أخويك صخراً ومعاوية ، قالت : كان صخر جنة الزمان الأغبر وذعاف الخميس الأحمر . وكان معاوية القائل الفاعل .

---

(١) زهر الآداب : للحصري ، ٨٤/٢ . وينظر شرح ديوان الخنساء ، ص١٢٧ . وهي أمُّ كلثوم بنت عبد وُدّ بن قيس من بني عامر بن لُؤيّ ، قُتِلَ أخوها يوم الخندق ، وذلك أنهُ خرج في نفرٍ من القريشين الى المسلمين . وقال لهم : مَنْ يبارز فبرز لهُ علي بن أبي طالب . فقال لهُ : ياعمرو اني أدعوك الى الاسلام فقال : لاحاجة لي بذلك قال : فانّي أدعوك الى النزال . فقال لهُ : لِمَ يابن أخي فو الله ماأحبُّ ان أقتلك قال لهُ علي : لكني والله أحبُّ ان أقتلك فحِميَ عمرو عند ذلك واقتحم عن فرسِهِ فعقرهُ وضرب وجههُ ثم أقبل على عليّ متنازلا وتجاولا فقتلهُ عليّ سنة ٥هـ (٦٢٧م) فنعي عمرو الى أخته أمَّ كلثوم فسألت : مَنْ قتلهُ فقيل لها : عليّ فقالت : لم يأتِ يومهُ إلاّ على يد كفوءٍ كريم وأنشدت أبياتها .

(٢) ديوان ليلى الأخيلية ، ص٩٧ .

وقيل لها : فأيهما كان أسنى وأفخر ؟ قالت : أمّا صخر فحر الشتاء وأمّا معاوية فبرد الهواء . ثم أنشدت تمتدحهما بالشجاعة والإقدام :

أَسَدان ، مُحمرِّا المخالبِ ، نَجْدَةً   بَحْرانِ في الزَّمَن الغَضوبِ ،
قَمَرانِ في النَّادي ، رفيعا مَحْتَدٍ   فِي المجدِ ، فَرعا سؤدُدٍ مُتَخيّر[(١)]

وتفاوتت درجة شيوع المديح ، وذيوعه بين الشعراء من بيئةٍ لأُخرى ، فقد تتقدم منزلَتهُ أو تتأخر تبعاً لطبيعة البيئات العربية المختلفة ، وقد أشار احد الباحثين الى تذبذب فن المديح في بيئة الحجاز قائلاً : ((والحق أن من يبحثون عن شعر المديح في هذا العصر ينبغي ألاّ يبحثوا عنه في المدينة ، انما يبحثون عنه في العراق عند جرير والفرزدق والأخطل شاعر البلاط الاموي))[(٢)] .

أمّا صوت الشواعر وهُنَّ يَمدحْنَ الرجال في الحروب ، وماكان لهُ مِنْ دورٍ في تطور الحياة السياسية ، فإنّه على آختلاف منزلتِهِ ، ودرجة شيوعهِ بينهُنْ تبعاً لتنوع بيئاتِهِنْ ، كان يؤثر فيهم لبذل الجهود في مقارعةِ الخصوم ، ويزيدهم إصراراً ، وقد تمتدح المرأة عند سماعها بنبأ الإنتصار من بعيد ، فهذهِ أمرأة وقد بَدَتْ ليلاً على جبلٍ بصنعاء عندما سَمِعَتْ بأنباءِ أنتصار المسلمين في القادسية وهي تقول :

حيتّكِ عنَّا عِكرَم آبنة خالدٍ   وماخيُر زادٍ بالقليلِ المُصَرَّدِ
وصيتك عني الشمس عند   وحياك عني كل ناجٍ مُفرّدِ
وصيتك عني عصبة نخعية   حِسَان الوجوهِ آمنواً بمحُمّدِ
أقاموا لكسرى يضربون جنودَهُ   بكلّ رقيق الشفرتين مُهنَّدِ
إذا ثوب الداعي أناخوا بكلكلٍ   من الموت مسودَّ الغياطلِ[(٣)]

وهذا يعني أنّ للمرأة مشاركةً في المديح السياسي أستطاعت أنْ تُعبِّر من خلالها بصدقٍ وأيمانٍ عمّا آتخذته من رأيٍ أو موقفٍ إزاء الأحداث السياسية والدينية ، فقد مدحت سُعدَى بنت كريز ، عثمان بن عفان (رض) - وهي خالته - حينما دخل الأسلام بقولها :

هَدَى اللهُ عثماناً بقولي إلى الهُدَى   وأرشَدَهُ واللهُ يهدي إلى الحقِّ
فتابَع بالرأيِ السّديدِ محمداً   وكانَ برأيٍ لايصدُّ عن الصدقِ
وأنكحهُ المبعوثُ بالحقِّ بنتهُ   فكانا كبدرٍ مازج الشمسَ في

---

(١) شعر الخنساء ، ص١١٢ .
(٢) الشعر والغناء في المدينة ومكة لعصر بني أُميّة : شوقي ضيف ، ص٧٧ .
(٣) شعر الفتوح الإسلامية في صدر الإسلام : النعمان عبد المتعال القاضي ، ص٢٩٣-٢٩٤ .

فداؤكَ يآبن الهاشميينَ مُهجَتِي   وأنَت أمينُ اللهِ أرسِلْتَ للخَلْقِ[١]

ولانعدم في مدح سُعَدى ذلك النفس الديني والروح الإسلامية المتمثلة بألفاظها كالهداية والحق والمبعوث وأمين الله ... وغيرها .

الاغراض المتنوعة :

أ - اشعار الحماسة والفخر : يُعدُّ شعر الحماسة وإذكاء الشجاعة والفروسية في نفوس الرجال من أقوى التيارات الإسلامية التي أثَّرتْ في أشعار المرأة ، فقد كان للمرأةِ نصيبٌ وافرٌ في شحذ الهمم ، ودفع المقاتلين الى سوح الوغى ، إذ كانت تثير النخوة في نفوسهم ، وتوقد نار الحماسة والإقدام في صدورهم بجرأتها وشجاعتها ، وكانت مشاركتها في الحروب تتراوح مابين الفعل والقول ، فهي ترافق قومها في الحروب فتسقي العطشى وتضمد الجرحى وتأسو المصابين ، كما إنّها كانت تقف حاملةً طفلها الى جانب الرجل حين يقاتل فيراهُ ، فَيرِقُّ لَهُ قلبَهُ ، ويخاف أن يصيبها سوء أو يمسّ طفَلَهُ أذىً ، فَتُثيرُ فيهِ النخوةَ والعزيمة ليندفع إلى الجهاد ، لذلك كان للمرأة الدور الخطير في نجاح الغزوات وخلودها . فحينما دارت المعركة بين المسلمين والروم ، كانت النساء المسلمات يرجمنَ وجوهَ الخيلِ بالحجارةِ إذا مانظرنها راجعةً على أعقابها ، وكُنَّ يستفززْنَ الرجال بتهكُّمٍ مرير ، ومن ذلك قول زوجة العاص بن مُنبِّه : ((قَبَّحَ اللهُ وجه رجلٍ يَفرُّ عن حَليلتهِ)) وجعلت النساء تقول : ((لستم لنا ببعولة إنْ لم تمنعوا عنّا هؤلاء الأعلاج))[٢] .

حتى وصفِ منهال الدوسي أحد الصحابة المقاتلين موقف المرأة في القتال فقال ((كانت النساء أشدُّ علينا غلظةً من الروم))[٣] .

أما مشاركتها من ناحية القول فلم تكن أقلَّ شأناً ، فما زالت تنشدُ الأبيات لتحريض المقاتلين حتى يعتملُ البأس في نفوسهم فيزدادون حماساً ، فهذه أمُّ البراء بنت صفوان تُحرِّضُ ولدها على القتال فتقول :

يَاعَمْرو دُونَك صارماً ذا رونقٍ   عضبَ المهزَّةِ ليسَ بالخَوّارِ
أسرِج جوادكَ مسرعاً ومُشمراً   للحربِ غيرَ معُرّدٍ لفرارِ
أجبِ الأمامَ ودُبّ تحتَ لوائِهِ   وافرِ العدُوَّ بصارمٍ بتَّارِ

---

(١) البداية والنهاية : لأبن كُثير الدمشقي ، ٢١٠/٧ . وهي سُعدَى بنت كريز بن ربيعة بن عبد شمس العبشميّة خالة عثمان بن عفّان ، كاهنة من كاهنات العرب وشاعرة من شواعرهم ، وأمُّها أمُّ حكيم البيضاء بنت عبد المطلب وهي أخت أروى أمُّ عثمان (رض) .
(٢) ينظر فتوح الشام : للواقدي ، ١٩٠/١ .
(٣) المصدر نفسه ، ١٩٢/١ .

ياليتَني أصبَحتُ ليس بعورةٍ فَأَذُبَّ عنه عساكِرَ الفُجّار[1]

وتُحرِّضُ بكارة الهلالية المقاتلين في معركة صفين على قتل معاوية ، إذ تَحِثُّهُمْ على حمل السيوف التي كانت مذخورةً ليوم الحرب والجهاد قائلة :

يازيد دونك فآستثر من دارِنَا سيفاً حُساماً في التراب دفينَا
قد كان مذخوراً لكلِ عظيمةٍ فاليومَ أبرَزَهُ الزمانُ مصَوُنَا[2]

وممّا يروى في حرب القادسية أنّ أبا محجن الثقفي لّما عاد من القتال مُسرعاً ليضع رجليهِ في القيد كما تعهد لزوج سعد قابلَتهُ أمرأة في الطريق فظنتهُ لعجلتهُ فارّاً مُنهزِماً ، فأنشأت تقول :

مَنْ فارس كَرِهَ الطعان يُعيرني رمحاً إذا نزلوا بمرج الصفر[3]

وقد تتجاوز المرأةُ أستنهاض همم الرجال لتتعداهُ الى النساء فتضرم نار الحميّة في قلوبهن وتثبت عزيمتهن لاسيما إذا ماضعفن أو أسرنَ ، فهذه خولة بنت الأزور يُذكر أنّها يوم أُسِّر النساءُ المسلمات في موقعة صحورا وكانت مَعَهُنْ ولم يكن مَعَهُنْ شيءٌ من السلاح ، وقفت فيهن فقالت : خُذنَ أعمدة الخيام وأوتاد الإطناب وآحملنَ على هؤلاءِ اللئام ، فلعلّ الله ينصُرُنا عليهم ثم أنشأت :

نحْنُ بَناتُ تُبّعٍ وحِمْيَرْ وَضَرْبُنَا في القَوْمِ لَيسَ يُنكَرْ
لأننَّا في الحربِ نارٌ تُسْعَرْ اليَوْمَ تُسقَوْنَ العَذابَ الأكبَرْ[4]

وهكذا هجمت خولة وهجمت النساء من ورائها ، وقاتلت بهنّ قتال المُستميت حتى أستنقذتهن من أيدي الروم .

أمّا النساء المشركات فأنَّهُنَّ لم يكُنَّ أقلَّ نشاطاً ، فقد أَخَذْنَ يُحرِّضْنَ قومَهُنْ ويُحمِسْنهُم على قتال المسلمين حرصاً على دينهنْ ودين آبائِهنْ ، حتى أنّ عَمرة بنت عُلقمة الحارثية حملت لواء قريش بعد أنْ سقط في معركة أُحُد ، وولّى الرجالُ هاربين ، فلمّا رأوها قد تقدمتْ بلوائِهم عادوا إلى القتال وذلك ماصوَّرَهُ حسّان بن ثابت حينما قال :

ولَولاَ لِوَاء الحارثيّةِ أصبَحُوا يُباعُونَ في الأسواقِ بَيعَ
الإماءِ[5]

(١) بلاغات النساء ، ص٧٥ . وينظر أعلام النساء ، ١٠٣/١ . وهي أُمُّ البراء بنت صفوان بن هلال شاعرة ذات لسان فصيح ومنطق مُبين ، من أنصار الأمام علي بن أبي طالب (□) .
(٢) المصدر نفسه ، ص٣٥ .
(٣) شعر الفتوح الإسلامية في صدر الإسلام : النعمان عبد المتعال القاضي ، ص١٨٩ .
(٤) النساء العربيات : كرم البستاني ، ص١٩٠ .
(٥) ديوان حسان بن ثابت ،ص١٢ .

ولعل خير من مثلَّتْ تيار هذه الدعوة منهن هندٌ بنتُ عُتبَة التي خرجت مع رجالها إلى بدر مع نسوةٍ لها يضربن بالدفِّ وينشدن :

نحنُ بناتُ طِارقْ نمَشي على النَمَارقْ
الدّرُّ في المخانِقْ والمسكُ في المفارِقْ
إنْ تُقبِلُوا نُعَانِقْ أو تُدْبِرُوا نُفَارِقْ
فِراقَ غَيْرَ وامِقْ(١)

وقد ساعدت حروب التحرير في عصر الرسالة في تجسيد هذا النوع ودخوله في أطار أوسع ممّا كان عليه بعد أن كشفت لَهُ سُبُلاً جَديدةً وأدخلت عليه عُنصراً مُتميزاً وواضحاً هو عنصر العقيدة لتِشُدَّ على سواعد المجاهدين وتَبُثّ الحماسة في نفوسِهِمْ(٢) ، حتى يعدّون الإستشهاد غايتهم المنشودة فهذه أمُّ الحكيم - وهي من الخوارج - تُصوِّر حماستها لمذهبها وترحيبها بالموت والشهادة في سبيلِهِ قائلة :

أحْمِلُ رَأساً قَدْ سَئِمْتُ حَمْلَهْ وقَدْ مِلِلتُ دَهْنَهُ وغَسْلَهْ
ألا فَتىً يحمِلُ عَنّي ثِقْلَهْ(٣)

أما سودة بنت عمارة فقد أثارت العقيدةُ فيها كل أسباب الإقدام ونوازع التضحية التي حاولت أنْ تُحركهُما في أخيها عندما حَرَّضَتْهُ قائلة :

شَمِّر كفعلِ أبيكَ ياآبنَ عمارةٍ يومَ الطِّعانِ ومُلتقى الأقرانِ
وأنصُر علياً والحسينَ ورَهطَهُ وأقصِد لهندٍ وآبنها بهوانِ
إنّ الإمام أخو النَّبيِّ مُحمَّدِ عَلَمُ الهُدى ومنارةُ الأيمانِ
فَقُدْ الجيوشَ وسِر أمامَ لوائِهِ قُدُماً بأبيضَ صارمٍ وسنانِ(٤)

فهي اذِ تُحرِّضُ أخاها للقتال بأبياتٍ ملؤها الحماسة لانعدم أنْ نَشُمَّ مابين ثناياها رائحة الفخر بشجاعة أهلها وطيب منبت من تريد نصرَهُ وعراقة نَسبهِ وهو الإمام علي (□) ، ولعلنا لانبعد إذا قُلنا أنَّ للحماسةِ علاقةً بالفخر من حيث التشابه في القِيمِ والمعاني .
لذلك أمتزج الفخرُ بالحماسةِ عند المرأة العربية في الشعر ، وبرز مِنُهَنْ أمُّ سنان بنت خيثمة التي قالت :

---

(١) الأغاني ،١٢/٣٩١ .
(٢) ينظر شعر الحرب في عصر الرسالة : نوري حمودي القيسي ، ص٤ .
(٣) شعر الخوارج : أحسان عباس ، ص٤١ . وينظر فجر الإسلام : أحمد أمين، ص٢٦٤ .
(٤) العقد الفريد ، ٢/١٠٢-١٠٣ . وفي بلاغات النساء ، ص٣٠ يروى فَقِهِ الحُتُوفَ بدلاً عن فَقُدْ الجيوشَ .

ياآل مذحج لامَقامَ فَشَمَّرُوا   إنّ العدوَ لآل أحمدَ يَقْصِدُ
هذا عليّ كالهلال يحفّهُ   وسط السماءِ من الكواكبِ
خيرُ الخلائِقِ وآبن عم محمدٍ   وكَفَى بذاكَ لمن شناهُ تهددُ
مازالَ مُذْ عَرفَ الحروبَ   والنصرُ فوقَ لوائِهِ مايُفقدُ[1]

ولايفوتنا أن نذكر أنّ فخر المرأة المسلمة كان وفق المنظور الإسلامي والمفاهيم العربية الجديدة وليس على أساس قبلي ، كما إنَّهُ كانَ يقتِرنُ في أغلب الأحيان بالحروبِ والمعاركِ ، فهذهِ أمُّ البرذون الصفرية - من الخوارج - تفتخر بشجاعة أهلِها وقتلهم الأعداء إذ تقول :

نحنُ عبرنا الخندقَ المُقعَّرا   يومَ لقيناكم وجزنَا العَسكَرَا
حتّى قَتَلنَا عاصماً وجَعْفَرَا   والفاسقَ الضبيّ لمّا أدْبَرَا
واليمينيِّينَ ومَنْ تَنزَّرَا   لاتحسبوا ضربَ الشَّراةِ[2]

ومثلها كانت أمرأة من أهل الشام تفخر بقومها وبشجاعتهم في الحرب فتقول :

لاتَعدموا قوماً أذاقوا آبنَ ياسرٍ   شَعوباً ولم يُعطوكم بالخَزائِمِ
فنحنُ قتلنا اليثربيَّ بن مِحْصَنٍ   خطيَبكُم وابني بُديلٍ وهاشِمِ[3]

أمّا أسماء بنت ياسر ، فقد أفتخرت بالمسلمين وطيب معدنهم وأثارت فيهم النخوة العربية بأبياتٍ عميقة الأثر ، يفيض منها الأيمان وتتقِدُّ فيها جذوة النصر ، وهيَ تَنُمُّ عن أصالةِ شخصيةِ المرأةِ العربيةِ التي صقلتها مباديءُ الإسلام وقَوَّتْها عقيدتَهُ إذ تقول :

يامعشر الناسِ والساداتِ والهمَمْ   وياأهيلَ الصفا يامَعِدنَ الكَرَمْ
فسدّدوا العزمَ لاتبغوا بهِ فشلاً   ومكّنُوا الضربَ في الهاماتِ
وخلّفوا القومَ في البيداءِ مُطرحةً   علَى الثَرى خمشاً بالذُلِّ والنِقَمْ[4]

وتفتخرُ كذلك ليلى الأخيلية بقوة قومها وشجاعتهم فتقول :

نحنُ الأخايلَ مايزال غلامنا   حتى يدبَّ على العصا مذكورا
تبكي الرماحُ إذا فقدنَ أكفنا   جزعاً ، وتعلمنا الرِّفاق بحورا
والسيفُ يعلمُ أننّا إخوانَهُ   حران إذ يلقى العظام بَتورا

---

(١) بلاغات النساء ، ص٦٣ .
(٢) شعر الخوارج : أحسان عباس ،ص٧٦ .
(٣) وقعة صفين : لنصر بن مزاحم المنقري ، ص٤٠٥ .
(٤) فتوح أفريقيا : للواقدي ، ٧٢/١ . وهي زوجة الأمير عُقبة بن عامر قائد الفتوحات الإسلامية في شمال أفريقيا على عهد الخليفة عثمان ، كان يُشار لها بالبنان في الشجاعة والبطولة لها خطبٌ وأشعارٌ تحث المقاتلين على المواجهة .

ولنحنُ أوثقُ في صدور منكم إذا بكر الصراخ [1]

وقد لاتكتفي المرأة بالفخر برجالها الشجعان ، بل إنّها تفخر بشجاعةِ أبيها وسخائِهِ وهذا ماجاء على لسان عمرة بنت مرداس التي آفتخرت بأبيها ، وقد كان يقال لَهُ (الفيض) لفرط سخائِهِ فتقول :

لقد أرانا وفينا سامرٌ لَجِبٌ مَصارخٌ فيهُم عِزٌّ ومُرتَغَبُ

لايرقعُ الناسُ فتقاً حين يَفتُقُه ويرقَعُ الخرقَ قد أعيا فيرتَئِبُ

والفيضُ فينا شهابٌ يُستضاءُ إنّا كذلكَ فِينَا يُوجَدُ الشُّهُبُ[2]

وهكذا نجد أنّ الفخر عند المرأة قد أختلط بالحماسة ، وقد يختلط في أغلب الأحيان بالأغراض الأخرى كالرثِاء والهجاء .

ب ـ أشعار الترقيص : أضفَتْ أشعار الترقيص صفة مميزة للمرأة الشاعرة ، فقد أختصت المرأة بأنشاد الأشعار التي ترعَى الطفولة وترسمُ مجالاً تنبضُ فيه القلوب بأحاسيس المحبة والعطف والحنان ، ولاشك أنَّ هذا المعنى قد طرقَهُ الرجال أيضاً إلاّ أنّهُ لم يبلغ مستوى أشعار النساء أو متانتها ، لما في صوت المرأة وأسلوب العلاقة التي تربطها بطفلها من صدىً عميق يفوق أسلوب الرجال[3] .

فالأمُّ عندما تلاعب طفلها أو تُرقّصَهُ غالباً مايكون ذلك مقروناً بأغنية ذات طابع خاص تصوغ معانيها مما يختلج في قلبها من مشاعر الحب والرأفة نحوه .

وقد تتوسم فيه علائم السؤدد والشرف والعلم في المستقبل .

وأشعار الترقيص هذهِ على بساطتها تمثل البذرة الأولى لتربية الأطفال وتنشئتهم من الناحيتين الجسمية والخلقية ، فهي بما تضمنتهُ من معانٍ في التوجيهِ والإخلاقِ تُعَدُّ النغمة التي يتردد صداها في آذانهم على مر السنين .

ولعل أول المعاني التي تضمنها المرأة أشعارها هو الدعاء للطفل بأن يحفظهُ الله من كل خطر ويجنبَهُ كل مكروه وأن يقيه شر الحُسَّاد وفي ذلك تقول أُمُّ البنين

---

(١) ديوان ليلى الأخيلية ، ص٦٩ ، الأخايل : جمع الأخيل نسبة الى الأخيل بن معاوية العقيلي ، وبنو الأخيل : رهط الشاعرة .

(٢) شرح ديوان الخنساء ، ص٩٧ . وهي عمرة بنت مرداس بن أبي عامر أمُّها الخنساء تماضر بنت عمرو الشريد الشاعرة الصحابية المعروفة ، أخواها العباس ويزيد وأبنها الأقيصر الذي ثكلتهُ ورثته . توفيت نحو سنة ٤٨ هـ (٦٦٨م) .

(٣) كقول عم النبي (f) الزبير بن عبد المطلب حين دخل عليه النبي (f) وهو صبي ، فأقعده في حجره وقال :

محمد بن عَبْدَم عشتَ بعيشٍ أنعم

ودولةٍ ومغنم في فرع عزٍ اسَم

مكرّمٍ معظَّمِ دام سجين الأزلَمِ

فلو أنشدت هذهِ الأبيات أمرأة لكانت أرق وأعذب كأشعار حليمة السعدية ، ينظر الإمالي : للقالي ،١١٢/٢.

الوحيدية في تزفين ولدها العباس بن علي بن أبي طالب (□) :

أعيذهُ   بالواحِدْ   من عينِ كُلِ حاسِدْ
قائمهم   والقاعِدْ   مُسلِمهم   والجاحِدْ
صادِرهُم   والوارِدْ   مولودُهم   والوالِدْ[1]

وقد كان دعاء الأمهات للأبناء شائعاً بينهن ، فنجد ضباعة بنت عامر تدعو لولدها سلمة بن هشام وتسألُ الله تعالى أنْ ينصرَهُ بنصرهِ على كل عدو إذ تقول :

اللهُمَّ رب الكعبة المحرَّمَة   أنصر على كل عدو سَلَمَة
لَهُ يدان في الأمورِ   كفٌ بها يُعطِي وكَفٌ
[illegible][2]

والشجاعة والسيادة من التمنيات التي كانت تتضمنها هذهِ الأشعار فقد كانت الأم تتوسم في أبنها علائم الشرف والعلم والذود عن الحِمَا ، وهذا ماتوسمتهُ أسماء بنت أبي بكر الصديق (رض) في إبنها عبد الله بن الزبير عندما كانت تُرقصَهُ فتقول :

أبيضٌ كالسيفِ الحُسامِ   بين الحوارى وبين الصديقْ
ظَنّي بهْ - وربُّ ظن تحقيقْ -   والله أهلُ الفضلِ أهلُ التوفيقْ
ان يحُكم الخطبة يعي المسليقْ   ويفرج الكربة في ساع الضيقْ
إذا نبتَ بالمقْلِ الحماليقْ   والخيلُ تعدو زيماً برازيقْ[3]

وبالمعاني ذاتها كانت ترقص هند بنت عتبة ولدها معاوية قائلة :

إنّ بُنَّي مُعرقٌ كريمْ   مُحبَّبٌ في أهلهِ حليمْ
ليس بفحّاشٍ ولالئيمْ   ولا بُطخرور ولاسؤومْ
صخر بني فهرٍ به زعيمْ   لايُخلف الظنّ ولايخيمْ[4]

---

(١) المنمَّق : لمحمد بن حبيب البغدادي ، ص٤٣٧ . وهي أمُّ البنين بنت حرام ، وهو المحل بن خالد بن ربيعة من زوجات الأمام علي (□) فولدت له العباس وجعفر وعبد الله وعثمان / ينظر البداية والنهاية ، ٣٤٤/٧ .

(٢) بلاغات النساء ، ص١٩٥ ، وينظر أشعار النساء : للمرزباني ، ص١٠٨ ، وهي ضباعة بنت عامر بن قرط بن سلمة العامرية أسلمت وولد لها أولاد أسلموا ونصرت الرسول (ﷺ) بلسانها وفعلها .

(٣) أنباء نجباء الأبناء : للأمام أبو عبد الله محمد الصقلي ، ص٨٥ . وينظر أشعار الترقيص عند العرب : سعيد الديوه جي ، ص٢٥ . الأبريق : الكثير الرونق ، المسليق : الفصيح ، ساع : جمع ساعة ، إذا نبت بالمقل الحماليق : أي لم تستقر المقل في باطن الأجفان بل أرتفعت وآضطربت من الخوف ، زيماً برازيق : أي جماعات متفرقات منقطعات .

(٤) المُنَمَّق ،ص٤٣٣ ، وينظر إلمامة بالرجز في الجاهلية وصدر الأسلام : شاكر الجودي ،

فقد ضَمَّنَتْ الأمّ ترانيمها بما أحبَتْ أنْ يتميز بهِ ولدها في مستقبل حياته من شجاعةٍ وكرمٍ وحلمٍ ، وتلك الأبيات إنّما تعبر بها المرأة عن حُبِّها لولدها وأُمنياتها لهُ بأن يتصف بمحاسن الخصال ، وقد يبلغ بها الفخر والأعتزاز بولدها أن تتغاضى عن عيوبه فلا تراها عيباً ومن ذلك ماروي عن رسول الله (ﷺ) أنَّهُ مَرَّ بجاريةٍ سوداء تُرقّص صبياً لها وتقول :

ذَوْالُ يا آبن القَوْمِ ياذَوْ آلهْ   يمشي الثَّطَا ويجلسُ الهبنقعهْ

فقال عليه الصلاة والسلام : لا تقولي ذوال فانه شرُّ السباع[١] .

أمّا الأناث فلم يكن لهن نصيبٌ كبيرٌ من أشعار الترقيص قياساً بأشعار الذكور ، ولعل ذلك يرجع الى تفضيل بعضهم للذكور دون الأناث ، وهذا قريبٌ إلى روح بعض العرب في عصر ما قبل الإسلام ، فنجد أبيات ترقيص البنات تصدر عن قلوب متوجعة قد ملأتها الحسرات تارةً وأُخرى تعبر عن التحاسد والمنافسة بين الأُمهات تارةً أخرى[٢] .

وربما أتخذت المرأةُ منها وسيلة لآستمالة الزوج نحوها وتخفيف حِدّةِ غضبهُ . فيروى أنّ أبا حمزة الضبّي قد هجر زوجته - حين ولدت بنتاً - وكان يُقيل ويبيت عند جيرانٍ لهُ ، وكانت أمرأته لاترى داعياً لهذا الهجران ، فكانت إذا رقَّصَتْ طفلتها قالت لتُسمِعَهُ :

ما لأبي حمزةَ لا يأتينَا   يظلُّ في البيتِ الذي يَلينَا
غَضْبَانُ ألاَّ نَلدُ البَنينَا   تالله ماذاك في أيدينَا
وإنَّما نأخذُ ما أُعطِينَا   ونحنُ كالأرضِ لزارِعينَا
نُنْبِتُ مَاقَدْ زَرعوهُ فينَا

فمر الزوج يوماً بخبائها وإذا هي ترقص البنت بهذه الأبيات ، فرجع الى رشدهِ ، فولج البيت ، وقبّل رأس أمرأتهِ وأبنتها[٣] .

وقد تكون تلك الأغنيات سبباً للتحاسد والتنافس بين الضرائر ، فقد ذهبت كل واحدة من الأمهات تفتخر بما أنجبت ولكلٍ حُجَّتّهَا . ومما يُذكر أنّهُ كان لرجلٍ امرأتان ، فولدت أحدهما بنتاً ، والأخرى غلاماً ، فكانت أُمُّ الغلام إذا رقَّصَتْ

ص٦٦ . معرق : عريق النسب ، فحّاش : قبيح القول ،طخرور : تقال للرجل لايكون جلداً ، يخيم : يجبن .

(١) ينظر أشعار الترقيص عند العرب : سعيد الديوه جي ، ص١٦-١٧ . ذوال : تصغير ذؤاله وهو الذئب ، القوم : السيد ، يمشي الثطا : أي يخطوكم كما يخطو الصبي أول ما يدرج ، الهبنقعه : الأحمق ، أرادت أن يمشي مشي الصبيان ويجلس كما يجلس الحمقى .

(٢) أشعار الترقيص عند العرب ، ص٨ .

(٣) البيان والتبيين : للجاحظ ، ١٨٦/١ ، ذكرت هذه الرواية على إنّها أسلامية في شعر المرأة في القرن الأول الهجري ، ص١٦٤ .

ولدها قالت :

عافاني اليوم من الجواري من كل سوداء كشَّ بالي
لا تدفعُ الضيمَ عن العيالِ

وكانت ام الجارية إذا سمعت هذا رقصت ابنتها وقالت :

تحفظُ بيتي وتردُّ العاريهْ وما علي أن تكونَ جاريهْ
تمُشِطُ رأسي وتكونُ وتحمل الفاصلَ من
حتّى إذا ما بلغت ثمانيهْ وزينبُ بُنقبَنة يمانيَهْ
زَوَّجُتها مروانَ أو أزواجَ صدقٍ بمهورٍ

فيقال أنّ مروان تزوجها فيما بعد وكان قد سمع بقول أُمّها على مائة ألف مثقال ، وقال : حقيقة أن لا يكذب ظنها ، و لايخاف عهدها .

وقال معاوية أيضاً : لولا مروان سبقنا إليها لا ضعفنا لها المهر ، ولكن لا تحُرم الصلة ، فبعث إليها بمائتي الف درهم(١) .

وغالباً ما كانت معاني الترقيص توضح أستحسان المرأة وغبطتها لمشابهة طفلها من ذوي المكانة في قومها أو أحد أفراد أُسَرتها ولاسيما الأب أو الأخ ، فهذه السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام تُرقّص ولدها الحسن فتشبهَهُ بأبيها إذ تقول :

وآبأبِي شِبْهُ أبِي غَيْرُ شَبِيهٍ بَعِلِي(٢)

أمّا منفوسة بنت زيد الفوارس ، فقد كانت تريد لأبنها أن يشابه أخاها أو زوجها ولا تطمع بأن يكون ولدها شبيهاً بأبيها ، لمِا لأبيها - في رأيها - من شأنٍ كبير لا يمكن لأحدٍ أن يُدانيه فتقول :

أَشْبِه أخِي أو أَشْبَهنْ أباكَا أَمَّا أَبِي فَلَنْ تَنالَ ذَاكَا
تَقْصُرُ أنْ تَنالَهُ يَدَاكَا(٣)

---

(١) الخبر والأبيات في أشعار الترقيص عند العرب ، ص٤١-٤٢ ، وينظر ربيع الأبرار ونصوص الأخبار : للزمخشري ، ٥٤١/٣- ٥٤٢ مع الأختلاف في بعض الكلمات . ومثل ذلك يروى في إلمامة بالرجز في الجاهلية وصدر الإسلام ، ص٧٤ .
ان الغلام رقصت أبنها وقالت معيّرة لضرتها :

ياحبذا ريح الولدْ ريح الخزامى في البلدْ
أهكذا كل ولدْ ام لم يلد قبلي أحدْ

(٢) لطائف المعارف : للثعالبي ، ص٩١ .
(٣) لسان العرب : مادة ((زَنأَ)) ، وهي منفوسة بنت زيد بن أبي الغوار (رض) ، زوجة

ج - الحنين الى الوطن : ان حنين المرء الى وطنه وتمسكهُ بهِ هو ظاهرةٌ أنسانيةٌ ملازمةٌ للأنسان في مختلفِ الأزمان وعلى مر العصور ، ولاريَب أنّ العربي بفطرتِهِ وبما يمتلك من أحساسٍ مرهف وخيالٍ واسعٍ متدفق قد آمتاز بحب الوطن والتمسك بِهِ ، ويزداد ذلك الشعور الصادق ويتأجّج عندما يغتربُ الأنسان عن وطنِهِ ويبتعد لمدةٍ طويلة ولمسافةٍ نائية ولمّا كان الشعر هو المعبِّر الحقيقي لما في نفس قائِلِهِ من عواطفٍ وآنفعالات فإن الشاعر يحوّل تلك المشاعر الأنسانية وأجواء الحزن والغربة الى أبياتٍ من الشعر يتنفسُ بها ويسلّي نفسه ويستعين بها على الإستمرار والبقاء .

وما بكاء الإطلال وذكر الديار اِلاّ صورةً مُعبِّرةً لذلك الحنين ، ((ولئن كان الرجل يحنُّ الى وطنه ، وعشيرته وأهله ، فيقف على ديارهم وأطلالهم ، يبكي ويستبكي ، بصدق حيناً ، وتكلف حيناً آخر ، فإن المرأة أعنف شعوراً بالحنين الى الوطن ، رغم أنها لم تقف على الأطلال .... لذلك كان حنينها الى وطنها وأهلها مليئاً باللوعة والأسى ، وذلك بفعل عواملٍ كثيرة ، مردها الأول والأخير ، رهافة حسها ، ورقة عاطفتها))[١] .

ولعلنا فيما نلمسَهُ من ضرورة إبتداء القصيدة العربية بذكر الديار والوقوف على الأطلال وعَدّهُ أمراً تقليدياً أعتاد عليه الشعراء وفرضَتْهُ عليهم بنية القصيدة العربية ، وأن الشاعر قد ينظم أبيات قصيدته جرياً على عادة من سبقه ، فما تبرح أن تخلو من العاطفة الصادقة ، لا نعدو الحقيقة إذا ما قلنا أن المرأة أصدق شعوراً من الرجل وأشد في عمق أتصالها بوطنها وأحساسها الحزين بالغربة . لا سيما وأن شعرها قد خلا من ظاهرة بَيّنت في شعر الرجال وهي ذمّ الأوطان والدعوة الى الأغتراب[٢] .

ثم ان الرجل قد يبعد ويغترب بسبب الحروب والغزوات أو سعياً وراء العشب والماء فيتعود الغربة بخلاف المرأة التي لاتفتىء ملازمة أهلها وعشيرتها ولايدفعها الى الغربة إلاّ الزواج بعيداً عن قبيلتها ، فلا تنفك أن تجسد لوعتها وحنينها بشكل قد يفوق الواقع بكثير . وربما فضَّلَتْ أجواء البادية وماعليها من بساطة على الحضر ومافيها من مظاهر الترف والنعمة ، حتى انها تلوم من كان سبباً في زواجها وحملها إليهِ ، وهذا ماصورته أبيات نائلة بنت الفرافصة وهي تعاتب أخاها ضب الذي كان سبباً في زواجها من الخليفة عثمان بن عفان فحُمِلَتْ الى بلدِه ، ولمّا كانت في الطريق تذكرت أهلها وحزنت لفراقهم فقالت :

أَلسْتَ تَرَى ياضبُّ بالله أَنَّنَي　　مُصاحبةٌ نحو المدينة أركُبَا

قيس بن عاصم بن سان المنقري التميمي .

(١) الحنين الى الوطن في الأدب العربي حتى نهاية العصر الاموي : محمد إبراهيم حوّر ، ص١٦٨ .

(٢) ينظر الحنين الى الوطن ، ص١٦٨ ، ١٨٧ .

إذا قطعوا حَزْنا تحثُّ ركابهم كما زعزعت ريحٌ يراعَا مُثقِبَا
لقدْ كانَ في أبناءِ حصنِ بن لكَ الويلُ مايُغني الخبأ المُطنَّبَا[1]

وإننا إذا توغلنا أكثر في دراسة الشعر النسوي في الحنين الى الوطن وعظم الحب والتمسك بِهِ وتفضيل البادية على الحضر ، نجدَهُ في شعر ميسون بنت بحدل الكلبية ، التي تغذت بغذاء البادية ورتعت في اجواء الخيام التي تهفهفُ في أركانها الرياح ، فنجدها تحنُّ الى مرابع الصبا وتبتعد عن أحلام العذارى حيث الأُبَّهة والقصور والخلافة والجواري ، بعد أن تزوجها معاوية بن أبي سفيان ونقلها الى دمشق ، فعاشت مظاهر الحضارة والترف ، لكنها لم تَنسَ وطنها ولم تُقرَّ عينها بذلك النعيم بل إنّها حنّت الى الخشونة في حياة البادية حتى أصبح مفهوم الوطن الشريف عندها يرتبط بالخشونة ومرتع الصبا في البادية اذ تقول :

لبيتٌ تحفقُ الأرواحُ فيهِ أَحَبُّ إليّ مِنْ قصرٍ مُنيفِ
وبكرٌ يتبعُ الإظعانَ سَقباً أَحَبُّ إليّ مِنْ بغلٍ زَفوفِ
وكلبٌ ينبحُ الطُرَّاقَ عَنّي أَحَبُّ إليّ مِنْ قِطٍ إليفِ
ولِبسُ عباءةٍ وتقرُّ عيني أَحَبّ إليّ مِنْ لبسِ الشُّفُوفِ
وأكلُ كُسَيْرةٍ في كسر بيتي أَحَبُّ إليّ مِنْ أكل الرَغيفِ
وأصواتُ الرّياحِ بكلّ فجّ أَحَبّ اليَّ مِنْ نقرِ الدُّفوفِ
وخِرقٌ مِنْ بَني عَمّي نَحِيفٌ أَحَبُّ إليَّ مِنْ عِلجٍ عَنيفِ
خشونَة عيشتي في البدوِ أشْهَى إلى نَفَسَي مِنَ العيشِ الطَريفِ
فما أبغِي سِوىَ وطني بديلاً وما أبهَاهُ من وطنٍ شرِيفِ[2]

فلما سمع معاوية هذه الأبيات قال : جعلتني عِلْجاً . وطلقها وألحقها بأهلِهَا .
وقِد تَعدُّ المرأة الغربة وفراق الوطن ذُلَّةً وهواناً ، وهذا ماصرَّحَتْ بهِ أمرأةٌ من

---

(١) شاعرات العرب في الجاهلية والإسلام : بشير يموت ، ص١٥٤ وقد وردت ترجمة الشاعرة في الحديث عن رثاء الإزواج .
(٢) شاعرات العرب : بشير يموت ، ص١٥٧-١٥٨ . وينظر الحنين الى الوطن : محمد إبراهيم حُوَّر ، ص١٨٢ ، الخرق : الكريم . والعلج : الصلب الشديد وبهِ سُميَ حمار الوحش وهي تقصد هنا معاوية زوجها ، وهي ميسون بنت بحدل الكلبية أُمُّ يزيد بن معاوية شاعرة كانت بدوية ثقلت عليها الغربة لمّا تزوجت بمعاوية في الشام فطلَّقَها وقيل كانت حاملاً بيزيد فوضعته في البرية كما أنجبت له إبنة أسمها أمة رب المشارق ماتت وهي صغيرة .

اليمن إذْ لِحقَتْ بمن تَحبُّهُ هناك وقد قُتِلَ مشركاً وأسلمتْ هي فتقول :

إنّ الزمانَ رماني بالمحنِ   وذلَّنِي بفُراقِ الأهلِ والوطنْ

وفاضَ دمعي على الخدينَ   ياليت شعري لذاك البين لم [illegible] [1]

د ـ الأستعطاف : قد تتخذ المرأة من الشعرِ وسيلةً للخلاصِ من خَطرٍ يُداهِمُها أو شِدَّةٍ تُصيبُها أو أنَّها تَستَعْطفُ بهِ الولاةَ عَسَى أن يكون شافعاً لظُلْمٍ لحق بها أو بأحدِ ذويها ، مادامت صائِنةً نفسها ، مُبتِعدَةً عن الذُّلةِ والخُضُوع .

ولم تقل المرأةُ قولها في الإستعطاف إلاّ بما يدلُّ على رجاحةٍ في العقلِ وآتزانٍ في المنطق وليس أدلُّ على آستقامةِ قولها فيه ومبلغ تأثيرها من أن أشعارها كانت تَجِدُ صداها الواضح في نفوسِ المخاطبين فتبلغُ أسماعهم .

حتى إنَّها أستعطفت أعظم الشخصيات وأكثرها خطراً ، أو لَيسَ قول قُتَيلَة بنت النضر في أستعطاف الرسول (ﷺ) : ((ماكان ضَرّكَ لَو مَنَنْتَ)) ، حينما أمَرَ بقتلِ أبيها صبراً ، والذي آلمَ الرسول وأثَّرَ في نفسِهِ ، قولاً جليلاً وآستعطافاً سديداً يَدُلُّ على شخصيةِ قائِلهِ حتّى أنّ الرسول (ﷺ) لمّا بَلغَهُ هذا القولَ المؤلم بكى حتى آخضلَّتْ لِحْيتُهُ وقال : ((لو بلغني شعرها قبل أنْ أقتُلَهُ ماقَتَلْتَهُ)) .

ولاعجب في أن تكون المرأة قد أستطاعت إستعطاف خيرُ الكائناتِ وأوسَعهُمْ رحمةً وعطفاً لأنَّ تأثير صوتها قد يصل الى من بلغَ من القسوة والبطش الشي الكثير فيتحسَّسَهُ ويرقُّ لَهُ ، ولنا فيما سنوردهُ من روايةٍ مِصداقٌ لما نقول ، يروى أنّ يزيد بن قُرَّة الشيباني كان شديداً منيعاً ، وكان يرى رأي الخوارج ، فكتب عبد الملك بن مروان الى الحجاج يأمرُهُ أنْ يبعث إليه برأسِهِ ، فدعا الحجاجُ إليه ، ولمّا دخل عليه ، قال لهُ الحجاجُ : أنت يزيدُ بن قُرَّة ؟ قال : نعم . قال : قتلني الله إنْ لم أقتلك . قال : نشدتك الله أيّها الإمير أن تقتلني ، فاني قيمُ أربع وعشرين آمرأة ، ليس لهن قَيِّم سواي . قال : ومن يعلم ذلك ؟ قال : هن بالباب . فأمر بأدخالهن ، فكل واحدة تقول : أقتلني ودَعْهُ .....، حتى أجتمعن بين يديه قياماً ، فقالت أبنته :

أحجَّاجُ أمّا أن تَمُنْ بنعمةٍ   علينا وإما أن تُقَتّلنَا مَعَا

أحجَّاجُ كم تفجع بِهِ إنْ قتلتهُ   ثماني عشر وآثنتين وأربَعَا

أحجَّاجُ لو تَسمَع بُكاءَ نسائهِ   وعمّاتهِ يندبنَهُ الليلَ أجمَعَا

أحجَّاجُ مَنْ هذا يقومُ مَقامَهُ   علينا ، فمهلاً لاتزدنا

أحجَّاجُ هِبْهُ اليومَ للهِ وحدَهُ   وَللباكياتِ الصارخاتِ تفجُّعا

---

(١) فتوح اليمن ، ص٣٣ . وهي أمرأة قد أحبت غلاماً من المشركين ،كان قد قُتِلَ في فتوح العرب لليمن ، فكشفت عن وجهها ، وأخذت سيف سيدها وركبت جوادهِ وقتلت رجلاً من المسلمين فوكزها علي بن أبي طالب (□) بُرمحِهِ ، فبادرت بشهادة ((لااله الاّ الله)) وأنشدت الشعر .

فرقّ لها الحجّاجُ وبكى ، وكتب في أمرهِ الى عبد الملك فكتب إليه : إنْ كان حقاً فاعفُ عنه وألحق عيالَهُ في العطاء ، ففعل[1] .

وقد تستميل المرأة عطف الولاة وإنْ كان ضد ذوي المنزلةِ الكبيرةِ لديهم فهذهِ أمرأة أبي الإسود الدؤلي إكبر الناسِ عند معاوية وأقربهم مجلساً ، قد أقبلت على معاوية تشتكي زوجها الذي طلّقها وتستعطفهُ في آبنِ لها كان يريد أن ينتزعَهُ منها ، فقال لهُ معاوية أنَّها قد غلبتك في الكلام فتكلف لها أبياتاً لعلك تغلبها ، فأنشأ أبو الإسود قوله ، فأجابَتْهُ وهي تقول :

ليسَ مَنْ قال بالصوابِ وبا   لحقِ كمن جارَ عن منارِ
كانَ ثديي سقاءَهُ حينَ يضحى   ثُم حُجري فَنَاؤهُ بالأصيلِ
لستُ أبغي بواحدي يابن   بدلاً ماعلمته والخليلِ

قيل فقضى لها معاوية عليه وآحتملت إبنها وآنصرفت[2] .

وإذا كانت المرأة تستعطف أصحاب الشأن وتستميلهم لإنصافها أو للعفو عن ذويها ، فإنها قد تستعطفهم رغبةً في العطاءِ بسبب عُسرٍ أصابها أو فقر ، أو أنَّها قد تُعيلُ أطفالاً صغاراً ضاقت بهم سُبلَ العيش فتعمدُ عندها الى أن تضفي استعطافها ذاك صبغةً من المدحِ والثناء ، وقد يشفعُ لها في ذلك مالِحُرمَةِ المرأةِ عندهم من وقعٍ أبان ذلك العصر من جهةٍ وماتمتعَ بهِ بعضهم من كرمٍ وجود من جهةٍ أُخرى .

فيروى أن أمرأةً من بني قُشير أتت خالد بن عبد الله القسري فقالت :

إليكَ يآبنَ السادةِ الأماجدِ   يعمدُ في الحاجةِ كلُّ عامِدِ
فالناسُ بين صادرٍ ووارِدٍ   مثلَ حَجيج البيتِ نحو خالِدِ
أشْبَهْتَ ياخالدُ خيرَ والدِ   أشْبَهْتَ عبدَ الله بالمحامِدِ
ليسَ طريفُ المجدِ مثلَ
[illegible] [3]

ومن الجدير بالذكر أن المرأة العربية قد بلغتْ من العفةِ والأنفةِ مايجعلها متمسكة بقيمها ومبادئها ، فهي لاتعمد الى إذلال نفسها أو الانتقاص من شأنها مهما اشتدتْ بها الحاجة واستفحلَ عليها البلاء .

---

(١) أشعار النساء : للمرزباني ، ص١٩١-١٩٢ ، ويروى في المستطرف ، ١٩٥/١ أنَّهُ ((عبّاد بن أسلم البكري)) .
(٢) بلاغات النساء ، ص٤٩-٥٠ .
(٣) أشعار النساء : للمرزباني ، ص٩٩ هو خالد بن عبد الله القسري (٦٦-١٢٦ هـ) من بجلية أمير العراقيين ، وأحد خطباء العرب وأجوادهم ولي مكة في سنة ٨٩ هـ ثم ولي الكوفة والبصرة في سنة ١٠٥ هـ وعزلهُ هشام في سنة ١٢٠ هـ .

الفصل الثالث

فنون المرأة النثرية

لقد كان لتعاظم شأن اللغة العربية بتعاظم وارتفاع منار الدين الإسلامي وحرص المسلمين وزيادة أهتمامهم بمعرفة لغتهم التي جاء بها القرآن الكريم بلسانٍ عربي مبين والذي أشار الى ذلك ياقوت الحموي بقوله : ((لعلم العربية هو الدين بعينه))(١) ، الأثر في أن تشارك المرأة العربية المسلمة الرجل فنون النثر المتنوعة . إذ لم تكن الفصاحةُ والإبانة مقصورة على الرجال وحدهم دون النساء ، كما لم تكن الفنون النثرية من حظ الذكور دون الأُناث ، فلقد خضع كلٌ منهم الى نفس التأثير الذي وقع على صاحبِهِ وهو تأثير الإسلام على نفوسِهم فهذَّبها ، وعلى أحاسيسهم فأرهفها ، وعلى عقولهم فأنارها ، ولذلك فإنّا نجد الفصاحة بين النساء في ظل الإسلام أكثر حظاً وأوفر قسطاً منها في عهد ماقبل الإسلام(٢) .

وفي الحديث عن بلاغة أُمُّ كلثوم بنت الإمام علي بن أبي طالب (□) ، قال رجل : قدمت الكوفة سنة إحدى وستين وهي السنة التي قُتِلَ فيها الحسين بن علي عليهما السلام ، وقد سمعت أم كلثوم وهي تقول فلم أرَ خِفرةً والله أنطقُ منها ، كأنما تنطق وتفرغ عن لسان أمير المؤمنين علي (□)(٣) .

أما صاحب كتاب نهاية الأربِ ، فقد عَلَّقَ على خطبة السيدة عائشة في تأبين أبيها والتي نَصُّها : ((نَضَّرَ الله وجهك يا أَبَتِ ، وشكر لك صالح سعيك ، فلقد كنتَ للدنيا مُذِلاً بإدبارك عنها ، وللآخرة مُعِزّاً بإقبالك عليها ، ولئن كانَ أجلَّ الحوادث بعد رسول الله (ﷺ) رُزؤك ، وأعظم المصائب بعده فَقْدُكَ ، إن كتاب الله ليَعِدُ بحسن الصبر فيك حُسْنَ العَوض منك ، وأنا أستنجز موعود الله تعالى بالصبر فيك ، وأستقضيهِ بالإستغفار لك ، أما لئن قاموا بأمر الدنيا ، لقد قمت بأمر الدين ، لما وَهَى شَعْبه ، وتفاقم صَدْعه ، وَرَجَفت جوانبه ، فعليك سلام الله توديعَ غير قاليةٍ لحياتك ، ولازاريةٍ على القضاء فيك))(٤) .

اذ قال النويري : ((فانظر إلى هذا الأسلوب العجيب ، وتأمّل هذا النّمط الغريب ، الذي جمع بين سلاسة الألفاظ وإيجازها ، وإصابة المعاني وإعجازها . ولايُستكثر على من أُنزل القرآن بلغتهم ، أن يكون هذا القول من بَديهتهم))(٥) .

---

(١) معجم الأدباء : ياقوت الحموي ، ٥٣/١-٥٤ .

(٢) ينظر الأدب في موكب الحضارة الأسلامية : مصطفى الشكعة ، ص١٤٥ .

(٣) ينظر بلاغات النساء ، ص٣٣ ، وينظر والمرأة العربية في جاهليتها وإسلامها : عبد الله عفيفي ،١٥٦/٢ . وفي الإحتجاج للطبرسي ، ٢٩/٢ ، والدر المنثور ، ص٢٣٣ إنّها زينب بنت علي بن أبي طالب (□) .

(٤) جمهرة خطب العرب : أحمد زكي صفوت ، ١٢٥/١-١٢٦ ، وينظر البيان والتبيين : للجاحظ ،٣٠٢/٢ ، وينظر زهر الآداب : للحصري ، ٧١/١-٧٢ .

(٥) نهاية الأرب في فنون الأدب : للنويري ، ١٧١/٥ .

وقيل في أروى بنت الحارث[١] كانت ((إذا خطبت أعجزت وإذا تكلّمتْ أوجزَتْ))[٢] .

وفي روايةٍ عن ليلى الأخيلية لبلاغةٌ متناهية ، إذ يروى أن ليلى الأخيلية مدحت الحجّاج يوماً فأمر حاجبَهُ أن يقطع لسانها - يعني بالصلة والتكريم - فلم يفهم الحاجب الجاهل مَرادَهُ ، فطلب حجّاماً لقطع لسانها ، قالت : ثكلتْكَ أمُّك إنما أمَرَك أنْ تقطَع لِساني بالصِلة .

وفي ذلك يقول الأبشيهي في كتابهِ[٣] : فلولا تبصرها بأنحاء الكلام ومذاهب العرب والتوسعة في اللفظ ومعاني الخِطاب لَتَّم عليها جهل هذا الرجل .

وفي حديث الفتاة المسلمة مع أبيها ، والتي لم تَعدُ بعد طور الحداثة شاهدٌ حي على مدى مابلغته المرأة العربية من قوة البديهة ، وحضور الجواب وفلسفته ، والتعبير عن عمق المعاني الإسلامية في النفوس ، حيث يُحكى أن رجلاً دخل على أبنته في مرضها فقالت له : ((يا أبتِ هل تحبني ؟ قال : نعم قالت : لااله إلاّ الله والله ماكنتُ أظنُّ فيك هذا ولم أكن أظنك تحب مع الله أحداً ، ولكن أفرد الله بالمحبة واجعل لي منك الرحمة (أي) يكون حبك لي حبّ رحمة جعلها الله في قلب الوالد لولده لامحبةً مع الله))[٤] .

ولقد كان لاتساع اللغة وكثرة إشتقاقها مايجعل المرأة قادرةً على التعبير عن دقائق المعاني الإنسانية سواء أكان في خطبةٍ أو رسالةٍ أو وصيةٍ أو حوار ، فضلاً عن أن الفتاة الحُرّة آنذاك كانت تُربّى على حسن المنادمة وطيب المجالسة ورواية الأشعار وحفظ الأحاديث والنوادر ، وقد تعلم العلوم والفقه ، ومايدل على ذلك ماروي عن الحجاج حينما ذُكِرَتْ النساء عنده قوله : ((عندي أربع نِسْوة ، هند بنت المهُلّب ، وهِنْد بنت أسماء بن خارجة ، وأم الجُلاَس بنت عبد الرحمن بن أسيد ، وأمة الله بنت عبد الرحمن بن جرير بن عبد الله البَجلي .

---

(١) هي أروى بنت الحارث بن المطلب . وفي الإصابة ، ٤٧٩/٧ (بن عبد المطلب) ، بن هاشم بن عبد مناف الهاشمية وأمُّها غزيّة بنت قيس بن طريق . وفي الإصابة (بن طريف) من بني الحارث بن فهر بن مالك ، ووالدة المطلب بن أبي وداعة السهمي ، تزوجها أبو وداعة بن صبرة فولدت لَهُ : المطلب ، وأبا سفيان ، وأم جميل ، وأم حكيم ، والربعة . ذكرها أبن سعد في الصحابيات في باب بنات عم النبي (ﷺ) . أشتهرت بالفصاحة ، فكانت من أغلظ الوافدات على معاوية خطاباً ، إذ وفدت عليه الى دمشق وهي عجوز ، فعاتبته على خصومته لعلي بن أبي طالب (أبن عمها) وفاخرتهُ ببني هاشم وفضلّتهم على بني أميّة ، فاعترضها عمرو بن العاص فعيّرته بنسبه وتكلّم مروان فأفحمته فاعتذر لها معاوية عنهما وسألها عن حاجتها فقالت : مالي إليك حاجة ، وقامت فخرجت . توفيت في خلافة معاوية . ينظر طبقات ابن سعد ، ٣٤/٨ والاصابة ، ٤٧٩/٧ ، والدرالمنثور ، ص٢٥ .

(٢) الدر المنثور ، ص٢٥ .

(٣) ينظر المستطرف في كل فن مستظرف : للأبشيهي ، ٤٠/١ .

(٤) روضة المحبين ونزهة المشتاقين : لابن قيم الجوزية ، ص٣١٤ .

فأما ليلتي عند هند بنت المهلب فليلة فتىً بين فتيان ، يلعب ويلعبون . وأما ليلتي عند هِند بنت أسماء ، فليلة ملك بين الملوك ، وأما لَيلتي عند أم الجُلاس فليلة أعرابّي مع إعراب في حديثهم واشعارهم . وأما ليلتي عند أمة الله بنت عبد الرحمن بن جرير ، فليلةُ عالم بين العلماء والفقهاء))[(١)] .

ومما حدثوا به عن النساء اللواتي نبغن في الأدب عن عائشة بنت طلحة ، انها وفدت ذات يوم على هشام بن عبد الملك ، فقال لها : ما أوفدك ؟ قالت : حبست السماء المطر ومنع السلطان الحق . فقال : إني سأعرفك حقك . ثم بعث الى مشايخ بني أمية ، فقال لهم : إن عائشة عندي ، فأسمروا عندي الليلة ، فحضروا ، فما تذكروا شيئاً في أخبار العرب وأشعارهم وأيامهم إلاّ أفاضت معهم فيه ، وماطلع نجم ولا أنار إلاّ سمته . فقال لها هشام : أما الأول فلا أنكره ، وأما النجوم فمن أين لكِ ؟ قالت : أخذتها عن خالتي عائشة[(٢)] .

وكل ذلك يُعَدُّ عامل تنبيه قويّ مَنَحُه الإسلام للمرأة العربية ، إذ بوأها مكانةً أستطاعت من خلالها أن تمثل تجاربها وخبراتها التي صقلتها ظروف الحياة ، وأن تواجه بعض الرجال مواجهةً لايقف صداها عند حد الفصاحة القولية بل تتعداهُ الى طرفٍ من الشجاعة الأدبية قَلّ أن نجَدَهُ عند غيرها ، وأن تَحِدّ من كبرياء وجبروت بعض الخلفاء وأصحاب المكانة في أدقِّ المواقِفِ وأصعبها ، ومن ذلك ماروي عن أمِّ البنين بنت عبد العزيز زوجة الوليد بن عبد الملك التي قرعت بجوابها حُجَّة الحجاج وأفحَمَتْهُ بكلامٍ مبين ، بعدما أحسَّتْ يتحريضِهِ الوليد بعدم مفاكهة النساء بزخرف القول ، والأمتناع عن مشاورتهن في الأمور ، فما كان منها إلاّ أن أستدعتهُ فمضى إليها ، فحجبتهُ طويلاً ثم أذِنَتْ لَهُ فأقرتهُ قائماً ولم تأذن له في الجلوس ثم قالت : إيه ياحجاج أنت الممتن على أمير المؤمنين بقتل أبن الزبير ، وأبن الأشعث ؟ وكنتَ المولّى غيرَ المستعلى ، أما والله لولا أن الله جعلك أهون خلقهماابتلاك برمي

---

(١) العقد الفريد ، ١٠٤/٦-١٠٥ .

(٢) نساء لهن في التاريخ الأسلامي نصيب : علي إبراهيم حسن ، ص٧٦ . وينظر عائشة بنت طلحة : للأصبهاني ، ص٩١-٩٢ . وهي عائشة بنت طلحة بن عُبَيْد الله بن سعد بن تَيْم . وأمّها أمّ كُلثوم بنت أبي بكر الصّديِّق . كانت أشبه الناس بخالتها عائشة وأحبهم اليها وأطبعهم على علمها وأدبها ، ومن أجل ذلك زوجتها من أبن أخيها عبد الله بن عبد الرحمن بن أبي بكر فولدت له عمران وعبد الرحمن وأبا بكر وطلحة ونفيسة ، وكان ابنها طلحة أجود قرشي في عهده . ولما مات عنها عبد الله تزوجها مصعب بن الزبير وساق إليها ألف ألف درهم حتى إذا قتل عنها خلف عليها عمر بن عبيد الله بن معمر وساق اليها ألف ألف درهم فأقامت معه ثمان سنين ثم مات عنها فتأيمت بعده ودفعت عنها كل خاطب . كانت أجمل نساء قريش وأدلهن على أزواجها وأحظاهن عندهم . أما علمها وأدبها وأجزال مثوبتها للشعراء فمما لا شبيه لها فيه إلاّ سكينة بنت الحسين . ينظر المرأة العربية ، ١٤٣/٢ ، وينظر عائشة بنت طلحة ، ص٨٠،٧٣ .

الكعبة ولابقتل أبن ذات النطاقين وأول مولود ولدَ في الأسلام . فأمّا ابن الأشعث فلعمري لقد استعلى عليك حتى عجعجت ، ووالى عليك الهزائم حتى غوّثت . فلولا أنّ أميرَ المؤمنين نادى في أهل اليمن ، وأنت في أضيق من القرن فاظلتك رمامهم ، وعلاك وكفاحُهم لكنت مأسوراً فيهم ، قد أُخذ الذي فيه عيناك ، ومع هذا فإنّ نساءَ أمير المؤمنين قد نفضْنَ العِطْر عن غدائرهنّ وبعنه في أعطيةٍ أوليائه ، وأمّا ما أشرتَ به على أمير المؤمنين من ترك لذّاته والأمتناع من بلوغ أوطاره من نسائه فان كن ينفرجن عن مثل ماانفرجت به عنك أمك فما أحقه بالأخذ عنك والقبول منك وإن كن ينفرجن عن مثل أمير المؤمنين فإنه غير قابل منك ولا مصغ إلى نصيحتك . قاتل الله الشاعر وقد نظر إليك وسنان غزالة الحرورية بين كتفيك حيث يقول :

أَسَدٌ عليَّ وفي الحروبِ نعامةٌ ابداء تنفُر عن صفير الصافرِ
هَلاّ برزت إلى غزالة في الوغى أم كان قلبك في جناحي طائرِ
صَدَعت غزالةُ قلبهُ بفوارسٍ تركتْ نواظرَه كأمسِ الدابرِ

ثم أمرت جاريةً لها فأخرجته ، عندها دخل من فوره الى الوليد والذي سألهُ قائلاً : يا أبا محمد ماكُنتَ فيه ؟ فقال : والله يا أمير المؤمنين ماسكتَتْ حتى كان بطنُ الأرضِ أحبَّ إليَّ من ظاهرها ، فضحك الوليد حتى فحص برجله ثم قال : يا أبا محمد أنها بنت عبد العزيز(١) .

وهكذا منح الإسلامُ المرأةَ جرعةً من الكرامةِ والثقةِ جعلت منها أديبة تنطق بسحر القول ، فقد نبغ عددٌ من النساء ضربن بسهمٍ وافرٍ في الأدب ، وكُنَّ أمثلةً تُحتَذَى في قوة البيان وفصاحة اللسان ، ودليلنا على ذلك ماكان للمرأةِ العربية في صدر الإسلام وبني أميّة من نشاطٍ ملحوظ ومواقفٍ بليغة في فنون الآداب النثرية ونقدها ، والتي يفتخرُ بها التراث العربي ويحفظها لها التاريخ ، ومن بين تلك الفنون .

---

(١) ينظر الأخبار الموفقيّات : للزبير بن بكار ، ص٤٧٧-٤٧٩ ، وينظر أعلام النساء ، ١٢٧/١-١٢٨ وقد وردت ترجمة أم البنين في الفصل السابق أغراض المرأة الشعرية ، الأبيات الشعرية لعمران بن حطان وهو من الخوارج ، وغزالة هي غزالة الشيبانية زوج شبيب بن يزيد الخارجي الشيباني ، كانت من الشجاعة والفروسية بالموضع العظيم ، كان زوجها شبيب قد خرج بالموصل وبعث إليه الحجاج خمسة قواد فقتلهم واحداً بعد واحد ، وفي إحدى حروبه نفر بِهِ فرسه على نهر دجيل الأهواز فغرق فيه . وكانت تشترك معه زوجه غزالة وأمُّهُ جهيزة في مقاومة الحجاج . ولما دخل هو وزوجه غزالة على الحجاج في الكوفة تحصّن الحجاج منها وأغلق عليه قصره ، فكتب اليه عمران بن حطان يُعيِّرهُ : أسدٌ عَلَيَّ .... - وكان الحجاج قد لجَّ في طلبه - ينظر الأعلام : للزركلي ، ٣٠٩/٥-٣١٠ .

المبحث الاول : الخطابة

أستطاعت المرأة العربية في صدر الإسلام وبني أُميّة ، وفي ظل العِزَّة الإسلامية الجديدة التي اكتسبتها أن تُصوِّر لنا أدبها مُتَّسِماً بالبلاغةِ والفصاحةِ والبيان وسرعة البديهة وسِعَة الحيلة ، ومن ذلك ماجاء في خطبها الرنَّانة وألفاظها البليغة الفصيحة ، والتي قد توجهها في إلهابِ مشاعر المقاتلين وتحميسهم أثناء المعارك الحربية [1] .

أو إنَّها قَدْ تَفِدُ بها سفيرةً لقومها في بلاط الخلفاء ، فلم تأبه أن تجادل أصحاب القوة والسلطان بالحق لرباطة جأشها معتمدة على عمق العقيدة وسمو المبدأ[2] ، فتأتي خطبها غايةً في البلاغة ، لأن آلة البلاغة وكما يصفها أبو هلال العسكري بقولِهِ هي رباطة الجأش فان الحَيْرَةَ والدَّهَش يُورِثان الحُبْسَة والحَصَر وهما سببُ الإرْتاج والإجبال[3] .

أما عندما تخطب أمام خليفة لعرضِ شكوى أو لغرضٍ قضائي فإنَّا نجدها تُحسِنُ المحادثة والإحتجاج ، وتجيد القول والاستدلال وتنتصِرُ في الجدِل مع أقوى الناسِ شكيمةً وأملكهم لزمامِ الأُمور[4] .

لذا فقد استطاعت المرأة بقدرتها الخطابية تلك أن تتقلد مايسمى بالفن العملي أو الفن الكامل وذلك ((لجمعهِ- في الإلقاء - بين شخصيتي الخطيب الحسية والمعنوية ، ولاستخدامه جميع مواهب السامعين . فإن الخطيب يستخدم جسمه في الخطابة ، فيشير بيديه ويحرك رأسَهُ ويشكل أسارير وجهه ، وكل هذه الحركات عنصر هام في التأثير الخطابي . حتى إذا قرئت الخطابة مكتوبة كانت فاقدة هذا العنصر الجثماني ، مع صوت الخطيب ، وحُسنِ إلقائِهِ ، فيذهب شيء من روعتها وقوتها الإنشائية))[5] .

ولعل في موقف الوافدات اللواتي حَضَرنَ أمام معاوية بعد وقعة صِفّين وحوار كل واحدة منهن في فيضٍ من الفصاحةِ والشجاعةِ واللباقةِ وحُسنُ البيان لشاهدٍ عدل على مكانة المرأة الأدبية اللامعة في مُجتَمِعها الجديد .

وعليه فإننا نجدها قد تناولت فن الخطابة بأصنافِهِ وفنونِهِ المتنوعة .

أ - الخطابة السياسية الاجتماعية :

---

(١) ينظر خطبة أسماء بنت ياسر في فتوح أفريقيا : للواقدي ، ٧٢/١ .وينظر خطبة خولة بنت الازور في النساء العربيات ، ص١٩٠ .

(٢) ينظر خطبة سودة بنت عمارة في بلاغات النساء ، ص٣٠ . وجمهرة خطب العرب ، ٣٥٦/٢ . وأدب النساء ، ص١٤١ ، وينظر خطبة أروى بنت الحارث بن عبد المطلب في بلاغات النساء ، ص٢٧ وجمهرة خطب العرب ،٣٦٣/٢ ، وثمرات الأوراق : للحموي ، بهامش ج١ من كتاب المستطرف : للأبشيهي ، ص١٣٢-١٣٤

(٣) كتاب الصناعتين : لأبي هلال العسكري ، ص٢١ .

(٤) ينظر خطبة امرأة أبي الأسود الدؤلي في بلاغات النساء ، ص٤٧-٤٩ .

(٥) الأسلوب : أحمد الشايب ، ص١١٨ . وينظر فن الخطابة : للحوفي ، ص١٨٤ .

لم تكن الخطيبة بمعزلٍ عن الحياة السياسية ، فقد جاءت خطبها متضمنةً الأحداث السياسية الإجتماعية ، التي تعرضُ فيها أمراً من الأمور التي تعترضها ، أو قد تدافع فيها عن حَقّها أمام الخليفة ، أو أنها تُبدي رأيها فتجادل أصحاب القوة والمكانة .

مُدعِمَةً خطبها بأدلةٍ عقلية ونقلية . إذ تستشهد بآياتٍ من القرآن الكريم ، وأحياناً بالشعر ومأثور الكلام من حكمةٍ ومثل ، فتقوم خطبها على الإقناع والتأثير في النفوس .

ومن بين تلك الخطب خطبتان للسيدة فاطمة الزهراء عليها السلام ، الأولى كانت أمام الخليفة أبو بكر الصديق تطالبه بحقها الذي منَعَهُ في قرية فدك والثانية لنساء المهاجرين والأنصار تشكو إليهن عدول رجالاتهن عن خلافة علي بن أبي طالب الى غيره . وخطبتان للسيدة زينب عليها السلام ، كانت الأولى لأهل الكوفة تقريعاً لهم وتأنيباً ، والثانية أمام يزيد بن معاوية تستوعدهُ وتستصغر شأنه إذ رأته يضرب ثنايا أخيها الحسين بمخصرتِهِ .

وخطبة للسيدة عائشة بنت ابي بكر تدافع فيها عن أبيها بعد وفاته وتفخر به بعد أنْ بلغها أنَّ أناساً ينالون منهُ .

فاطمة بنت محمد (ﷺ)

هي فاطمةُ بنتُ رسول الله ، محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم صلى الله على أبيها وآله وسلم ورضى عنها ، وأُمُّها خديجةُ بنتُ خويلد بن أسد بن عبد العزّي بن قصيّ (رض) ، وقد أُختُلِفَ في سنة ولادتها ، فقد قيل في رواية أنها وِلِدَتْ وقُريش تبني البيت ، وذلك قبل أن نُبيء رسول الله (ﷺ) بخمس سنين وهو ابن خمس وثلاثين سنة[١] .

وفي رواية أنَّها وِلدَتْ سنة إحدى وأربعين من مولد النبي (ﷺ) ، وكان مولدها قبل البعثة بقليل[٢] . وفي أُخرى أنَّها ولدَتْ في جمادي الآخرة يوم العشرين منه سنة خمسٍ وأربعين من مولد النبي (ﷺ)[٣] . قيل أنّ لفاطمة عليها السلام تسعة أسماء هُنّ : فاطمة ، والصدِّيقَة ، والمباركة ، والطاهرة ، والزكية ، والراضية ، والرضيّة ، والمحدّثة ، والزهراء[٤] . وتكنّى أُمُّ أبيها ، وهي أصغرُ بناتُ النبي وأحبّهُنَّ إليه ، إذ كانت أكبرهُنّ زينب ثم رقية ، ثم أُمُّ كلثوم ثم فاطمة[٥] .

ويروى أنَّ أبا بكر خطب فاطمة الى النبي (ﷺ) فقال : يا أبا بكر أنتظر بها

---

(١) ينظر الطبقات ، ١١/٨ ، وينظر تاريخ الطبري ، ٥٩٧/١١ .
(٢) ينظر الإصابة ، ٥٤/٨ .
(٣) ينظر دلائل الإمامة ، ص١٠ .
(٤) المصدر نفسه .
(٥) ينظر الأصابة ، ٥٣/٨ .

القضاء ، وخطبها عمر فقال لَهُ الرسول مثل ذلك ، ثم إنّ أهل عليّ قالوا لَهُ أُخطب فاطمة الى رسول الله (ص) فقال بعد أبي بكر وعمر فذكروا لَهُ قرابته من النبي فخطبها فَزَوّجَهُ النبي[1] .

وقيل أنّ الرسول (ص) ، كان قد سأل علياً ، هل عندك من شيء ؟ فقال : لا ، قال : وأين درعك الحطمية التي أصبتها - يعني من مغانم بدر - قال : عندي ، قال : أصدِقها إيّاها ، قيل فأصدَقَها ، وتزوجها في رجب سنة مقدم النبي (ص) المدينة بخمسة أشهر ، وبنى بها مرجعَهُ من بدر ، ولفاطمة عليها السلام يومئذٍ ثمانِ عشرة سنة[2] .

وقد أُختُلِفَ في وقت وفاتها بعد الرسول (ص) ، فقال بعضهم : أنَّها توفيت بعدَهُ بستة أشهر ، وقيل بثلاث ؟ أو بأربع ؟[3] .

ويروى أن فاطمة (ع) هي أولُ من جُعِلَ لها النعش . عملتهُ لها أسماء بنت عُميس ، وكانت قد رأتهُ يُصنَع بأرض الحبشة .

توفيت فاطمة عليها السلام ليلة الثلاثاء لثلاث خلون من شهر رمضان سنة إحدى عشرة وهي بنت تسع وعشرين سنة أو نحوها[4] .

كانت للسيدة فاطمة خطب وأشعار بليغة في بعض المناسبات ، نذكر منها خطبتين .

خطبة السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام
حول (قرية فدك)

خطبت السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام بعد وفاة أبيها رسول الله (ص) مطالبة بحقها في (قرية فدك) التي منعها الخليفة أبو بكر من أن ترثها وفي ذلك يقول سليمان كتاني : ((يكفي أن تقود فاطمة قدميها الى باحة المسجد - أن تقف امام الخليفة بجبة وخمار - ان ترمي اليه نظرة شزراء - ان تحرك يداً بمعصم نحيل - ان تومي - ان تقف لحظة ثم ينسحب الظل . ولقد فعلت - ان التاريخ يشهد انها فعلت - ان صوتها ، وهي تلقي خطابها ، لم يسمعه الا نفر قليل - ان ماسمع من خطابها ليس كلامها المنطوق - ان مادونه التاريخ من ذلك الخطاب ، هو المعنى - هو الفكر - هو التمرد على كل ماهو ظلم وجور ... لقد شرحت في الخطاب رسالة أبيها - لالتشرح الرسالة - بل لتُعيِّن مركزها من الرسالة - مركز علي منها - ولقد طالبت بالإرث ، مثبتة أنّ لها حقاً فيه كما لكل البنين من وراء آبائهم))[5] .

وفي خطبتها أفتتحت الكلام بحمد الله والثناء عليه والصلاة على رسول الله

(١) ينظر الطبقات ، ١١/٨-١٢ .
(٢) ينظر الطبقات ، ١٢/٨ ، وينظر الإصابة ، ٥٤/٨-٥٥ .
(٣) ينظر الأصابة ، ٥٧/٨ .
(٤) ينظر تاريخ الطبري ، ٥٩٨/١١ .
(٥) فاطمة الزهراء وترفي غِمد : سليمان كتاني ص، ١٣١-١٣٢ .

(ﷺ) ثم قالت[1] :

{ لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ماعنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم }[2] فان تعرفوه تجدوهُ[3] أبي دون آبائكم ، وأخا ابنِ عمي دون رجالكم فبلغ النذارة صادعاً بالرسالة[4] مائلاً على مدرجة[5] المشركين ،ضارباً لثبجهم[6] آخذاً بكظمهم[7] يهشم[8] الاصنام وينكث الهام حتى هزم الجمع وولّوا الدبُر وتَغرَّى[9] الليل عن صبحه وأسفر الحقّ عن محضهِ ونطقَ زعيمُ الدين[10] وخرستْ شقاشقُ الشياطين[11] وكنتم على شفا حفرةٍ من النار[12] مذقة الشارب ونهزةَ الطامع وقبسة العجلان وموطىءَ الأقدام تشربون الطَرْقَ وتقتاتون الورق[13] أذلَّةً خاشعين[14] تخافون أنْ يتخطَّفكم الناسُ من حولكم فانقذكُم الله [15] برسولِهِ (ﷺ) بعد اللتيا والتي وبعد مامنى ببهم الرجال وذؤبان العرب ومردة أهل

---

(١) بلاغات النساء ، ص١٣-١٤ ، دلائل الإمامة : للطبري ، ص٣٣-٣٥ ، الزهراء (ع) في السُنّة والتاريخ : للكفائي ، ص٥٢٤-٥٢٥ ، فضائل آل الرسول (ﷺ) في المعقول والمنقول : حسّون ملاّ رجّي الدُلفي ، ص٢٢-٢٤ .

(٢) سورة التوبة : الآية ، ١٣٨ . وفي دلائل الإمامة ، والزهراء في السُنّة ، وفضائل آل الرسول (يسبق الآية هذه العبارة) : أيها الناس إعلموا أنيّ فاطمة وأبي محمد (ﷺ) أقولها عوداً على بدءٍ ، وما أقولها إذ أقول سرفاً ولاشططاً لقد جاءكم رسولٌ ... الآية .

(٣) في دلائل الامامة والزهراء في السنة : ان تعزوه ... دون نسائكم ، وفي فضائل آل الرسول : تعزوه وتعرفوه ... دون نسائكم .

(٤) في فضائل آل الرسول : ولنعم المعزي إليه (ﷺ) فبلغ الرسالة صادعاً بالنذارة .

(٥) في دلائل الإمامة والزهراء في السُنّة : ناكباً عن سنن ... وفي فضائل آل الرسول : ... عن مدرجة المشتركين .

(٦) في دلائل الإمامة والزهراء في السُنّة : ضارباً لأثباجهم .

(٧) في دلائل الإمامة والزهراء في السُنّة وفضائل آل الرسول : آخذا باكظامهم .

(٨) في دلائل الإمامة والزهراء في السُنّة : داعياً الى سبيل ربه بالحكمة والموعظة الحسنة يجدّ الإصنام . وفي فضائل آل الرسول : داعياً الى سبيل ربه بالحكمة والموعظة الحسنة يجف الأصنام .

(٩) في دلائل الإمامة والزهراء في السُنّة وفضائل آل الرسول : وحتى تفرّى الليل ....

(١٠) في دلائل الإمامة والزهراء في السُنّة يعقبها : ... الدين وهدأت فورة الكفر وخرست ...

(١١) في دلائل الإمامة والزهراء في السُنّة يعقبها : ... الشياطين وفهتم بكلمة الأخلاص وكنتم على .. وفي فضائل آل الرسول يعقبها : ... الشياطين وطاح وسيط النفاق وانحلّتْ عقد الكفر والشقاق وفهتم بكلمة الأخلاص في نفر من البيض الخماص وكنتم على ...

(١٢) في دلائل الإمامة والزهراء في السُنّة يعقبها : ... النار فأنقذكم منها نبيّه تعبدون الإصنام وتستقسمون بالإزلام مذقة ....

(١٣) في دلائل الإمامة والزهراء في السُنّة : تشربون الرنق وتقتاتون القِدّة وفي فضائل آل الرسول : ...وتقتاتون القد والورق .

(١٤) في فضائل آل الرسول : ... خاسئين .

(١٥) في دلائل الإمامة والزهراء في السُنّة : فأنقذكم به بحذف (الله برسوله (ﷺ)) .وفي فضائل آل الرسول : .... بمحمد وآله .

الكتاب[١] كلما حَشَوْا[٢] ناراً للحرب أطفأها ونجم قرن للضلال[٣] وفغرت فاغرة من المشركين[٤] قذف باخيه[٥] في لَهواتِها فلا ينكفىءُ حتى يطأ صماخها[٦] بأخمصه ويخمد لهبها بحده[٧] مكدوداً في ذات الله قريباً من رسول الله سيداً في أولياء الله وأنتم في بُلَهْنيَةٍ وادِعونَ آمنون[٨] ، حتى إذا اختار الله لنبيه دار أنبيائه[٩] ظهرت خلةُ النفاق[١٠] وسُمِلَ جلبابُ[١١] الدين ونطق كاظم الغاوين ونبغ خامل الآفلين وهدر فنيقُ[١٢] المبطلين فخطرَ[١٣] في عرصاتكم وأطلَعَ الشيطان رأسهُ من مغرزهِ صارخاً بكم[١٤] فوجدكم[١٥] لدعائِهِ مُستجيبين وللغرّة فيه ملاحظين فاستنهضكم[١٦] فوجدكم خفافاً وأجمشكم فألفاكم غضاباً فوسمتم[١٧] غير إبلكم وأوردتموها[١٨] غيرَ شربِكُم[١٩] هذا والعهدُ قريب والكلمُ رحيب والجُرح لّما يندملْ بدارٍ[٢٠] زعمتم خوفَ الفتنة ألا في الفتنة سَقطوُا وإنَّ جهنَّم لمحيطةٌ[١]

---

(١) في دلائل الإمامة والزهراء في السُنّة : بحذف (ومردة أهل الكتاب) .

(٢) في دلائل الإمامة والزهراء في السُنّة وفضائل آل الرسول : كلّما أوقدوا ... أطفأها الله ...

(٣) في دلائل الإمامة والزهراء في السُنّة : وكلّما نجم قرن الضلالة .وفي فضائل آل الرسول : أو نجم قرن الشيطان .

(٤) في دلائل الإمامة والزهراء في السُنّة : أوفغرت فاغرة للمشركين .

(٥) في دلائل الإمامة والزهراء في السُنّة وفضائل آل الرسول : أخاه .

(٦) في فضائل آل الرسول : ... جناحها .

(٧) في فضائل آل الرسول : ... بسيفه .

(٨) في دلائل الإمامة والزهراء في السُنّة : ... آمنون وادعون فرحون تتوكفون الإخبار وتنكصون عند النزال على الإعقاب . وفي فضائل آل الرسول : ... مشمراً ناصحاً مجداً كادحاً ، وأنتم في رفاهية العيش وادعون فاكهون آمنون ، تتربصون بنا الدوائر وتتوكفون الإخبار وتنكصون عند النزال وتفرون من القتال .

(٩) في دلائل الإمامة والزهراء في السُنّة : حتى أقام الله بمحمّد عمود الدين ولمّا اختار له الله عزّ وجلّ دار أنبيائِهِ ومأوى أصفيائه . وفي فضائل آل الرسول : فلما اختار ... ومأوى أصفيائه .

(١٠) في دلائل الإمامة والزهراء في السُنّة : ... حسيكة النفاق . وفي فضائل آل الرسول : ظهر فيكم حسيكة النفاق .

(١١) في فضائل آل الرسول : وأشمل ...

(١٢) في دلائل الإمامة والزهراء في السُنّة : ... وأخلق ثوبه ونحل عظمه وأودَتْ رُمَّتهُ وظهر نابغ ونبغ خامل ونطق كاظم وهدر فنيق الباطل .

(١٣) في دلائل الإمامة والزهراء في السُنّة : يخطر ...

(١٤) في فضائل آل الرسول : ... هاتفاً بكم .

(١٥) في دلائل الإمامة والزهراء في السُنّة : بحذف (فوجدكم لدعائه مستجبين وللغرّة فيه ملاحظين فاستنهضكم فوجدكم خفافاً وأجمشكم) . وفي فضائل آل الرسول : فألفاكم لدعوته .

(١٦) في فضائل آل الرسول : ثم استنهضكم .

(١٧) في دلائل الإمامة والزهراء في السُنّة : .... فخطمتم .....

(١٨) في فضائل آل الرسول : ووردتم .

(١٩) في فضائل آل الرسول : مشربكم .

(٢٠) في دلائل الامامة والزهراء في السنة : أي : غير شربكم بداراً زعتم خوفَ ... هذا والعهد قريب ...

بالكافرين فهيهاتَ منكم وإني[٢] بكم ، وأنىّ تؤفكون ، وهذا [٣] كتابُ الله بينِ أظهركم وزواجره بيّنةٌ[٤] وشواهدُه لائحةٌ[٥] وأوامرهُ واضحةٌ[٦] أرغبةً عنه تُدْبِرون[٧] أم بغيرهِ تحكمون[٨] بئسَ[٩] للظالمين بدلاً ومن يبتغِ غيَر الإسلامِ ديناً فلن يُقبل منه وهو في الآخرةِ من الخاسرين ثم لم تريثوا [١٠] إلاّ ريثَ أنْ تسكنَ نغرتها[١١] تشربون حَسْواً وتسرون في ارتغاءٍ[١٢] ونصبر[١٣] منكم على مثلِ حز المدى[١٤] وأنتم الآن تزعمون[١٥] أنْ لاإرثَ لنا { أفحكم الجاهلية تبغون ومن أحسن من الله حكماً لقومٍ يوقنون }[١٦] ويهاً معشر المهاجرين[١٧] أأبتزّ إرث أبي[١٨] أفي الكتاب[١٩] أن تَرِثَ أباك ولاأَرِثَ أبي { لقد جئت شيئاً فرياً }[٢٠] فدونكها[١] مخطومة

---

(١) في دلائل الإمامة والزهراء في السُنّة : ... لمحيط بالكافرين .
(٢) في دلائل الامامة والزهراء في السنة : .... وأين بكم .وفي فضائل آل الرسول : وكيف بكم .
(٣) في دلائل الامامة والزهراء في السنة وفضائل آل الرسول : بحذف هذا .
(٤) في دلائل الامامة والزهراء في السنة : ... لائحة .وفي فضائل آل الرسول : أُمورهُ ظاهرة .
(٥) في دلائل الامامة والزهراء في السنة : وأوامره لامحة . وفي فضائل آل الرسول : وأحكامهُ زاهرة .
(٦) في دلائل الامامة والزهراء في السنة : ودلائِلهُ واضحة وأعلامه بيّنة . وفي فضائل آل الرسول : وأعلامَهُ باهرة وزواجرهُ لايحه وأوامرهُ واضحة .
(٧) في دلائل الإمامة والزهراء في السُنّة : وقد خالفتموه رغبةً عنه . وفي فضائل آل الرسول : قد خلفتموه وراء ظهوركم أرغبة عنه ...
(٨) في دلائل الامامة والزهراء في السنة : بحذف ام بغيره تحكمون .
(٩) في دلائل الامامة والزهراء في السنة : فبئس ...
(١٠) في دلائل الامامة والزهراء في السنة : ... تريثوا شعمها ... وفي فضائل آل الرسول : ... تلبثوا ...
(١١) في دلائل الامامة والزهراء في السنة وفضائل آل الرسول : ... نفرتها ويسلس قيادها .
(١٢) في دلائل الامامة والزهراء في السنة : تسرون حسواً بارتغاء . وفي فضائل آل الرسول : ثم اخذتم تورون وقدتها وتهيجون جمرتها وتستجيبون لهتاف الشيطان الغوي وإطفاء أنوار الدين الجلي وإهماد سنن النبي الصفي ، تشربون حسواً في ارتغاء وتمشون لأهله وولده في الخمراء والضراء ، ونصبر منكم ...
(١٣) في دلائل الإمامة والزهراء في السُنّة : أو نصبر .
(١٤) في فضائل آل الرسول : ... المدى ووخز السنان في الحشا ...
(١٥) في دلائل الامامة والزهراء في السنة : ... وزعمتم ...
(١٦) سورة المائدة : الآية ،٥٠ . ويعقبها في دلائل الإمامة والزهراء في السُنّة : ومن يتبغ غير الإسلام ديناً فلنُ يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين . ويعقبها في فضائل آل الرسول : ... أفلا تعلمون ، بلى تجلّى لكم كالشمس الضاحية إنّي إبنته.
(١٧) في دلائل الإمامة والزهراء في السُنّة : إيهاً معشر المسلمين . وفي فضائل آل الرسول : أيها المسلمون .
(١٨) في دلائل الإمامة والزهراء في السُنّة : ... أبي يابن قحافة ؟ وفي فضائل آل الرسول : أغلب على إرثي يابن أبي قحافة .
(١٩) في دلائل الإمامة والزهراء في السُنّة : أبى الله ... وفي فضائل آل الرسول : أفي كتاب الله ترث ...
(٢٠) سورة مريم : الآية ،٢٧ . ويعقبها في دلائل الأمامة والزهراء في السُنّة : ... جرأةً منكم على قطيعة الرحم ونكث العهد فعلى عمد ماتركتم كتاب الله بين أظهركم ونبذتموه إذ يقول :

مرحولة[٢] تلقاك يوم حشرك[٣] فنعم الحكم الله والزعيم[٤] محمد والموعد القيامة[٥] وعند الساعة[٦] يخسر المبطلون[٧] { ولكل نبأ مستقر }[٨] وسوف تعلمون[٩] .

خطبة السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام
لنساء المهاجرين والأنصار

يروى أن السيدة فاطمة سلام الله عليها ، عندما مرضت المرضة التي توفيت فيها دخلت عليها نساء المهاجرين والأنصار يعدنها ، فقلن لها : كيف أصبحتِ من علتك يابنت رسول الله ؟ فحمدت الله ، وصلّت على أبيها ، ثم قالت[١٠] :

أصبحتُ[١١] والله عائفةً لدنياكنّ ، قاليةً لرجالكن ، لفظتهم[١٢] بعد أن عجمتهم[١٣] وسئمتهم[١٤] بعد أن سبرتهم فقبحاً لفلول الحد ، واللعب بعد الجدَّ ،

{ وَوَرِثَ سُلَيمانُ دَاوُد } سورة النمل : الآية ، ١٦ - وفيما قصّ من خبر يحيى وزكريا إذ يقول : { فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ولِيّاً يَرِثُنِي وَيَرِث مِنْ آلِ يَعْقوبَ وَاجْعَلهُ رَبّ رَضِيّاً } - سورة مريم : الآية ، ٥-٦ . وقال عزّ وجلّ : { يُوصيكُمْ اللهُ في أوْلادكُمْ لِلذكر مِثْلُ حَظّ الأُنْثيَين } - سورة النساء : الآية ،١١ - وقال تعالى : { إنْ تركَ خَيْراً الوصيَّةُ للوالدَيْنِ والأقربينَ } - سورة البقرة : الآية ،١٨٠ - وزعمتم أن لاحظّ لي ولاأرثُ من أبي أفخصتّكم الله بآيةٍ أخرج أبي منها ؟ أم تقولون أهل ملّتين لايتوارثان ؟ ألستُ أنا وأبي من ملّةٍ واحدة ؟ أم أنتم بخصوص القرآن وعمومه أعلم مّمن جاءَ بهِ . ويعقبها في فضائل ال الرسول : ... افعلى عمدٍ تركتم كتاب الله ونبذتموه وراء ظهوركم اذ يقول : { وورث سليمان ... الآية ، وقال فيما اقتص من خبر يحيى بن زكريا (□) اذ قال : { فهب لي من لدنك ... الآية ، وقال : { وأولوا الإرحام بعضهم أولى ببعضٍ في كتاب الله } - سورة : الأنفال الآية ، ٧٥ - وقال : { يوصيكم الله في أولادكم ... الآية ، وقال : { ان ترك خيراً ... الآية ، وزعمتم ان لاحظوة لي ولاأرث من أبي ولارحم بيننا أفخصتّكم الله بآيةٍ أخرج أبي (ﺻ) منها أم تقولون أهل ملّتين لايتوارثان ؟ أو لست أنا وأبي أهل ملّة واحدة ؟ أم أنتم أعلم بخصوص القرآن وعمومِهِ من أبي وأمي وابن عمي .

(١) في دلائل الإمامة والزهراء في السُنّة : فدونكموها .

(٢) في دلائل الإمامة والزهراء في السُنّة : مرحولة مزمومة .

(٣) في دلائل الإمامة والزهراء في السُنّة : تلقاكم يوم حشركم .

(٤) في دلائل الإمامة والزهراء في السُنّة : ... ونعم الخصيم ....

(٥) في دلائل الإمامة والزهراء في السُنّة :... القيامة وعّما قليل تؤفكون ....

(٦) في دلائل الإمامة : ماتحسرون . وفي الزهراء في السُنّة : ماتخسرون .

(٧) في دلائل الإمامة والزهراء في السُنّة: بحذف المبطلون. وفي فضائل آل الرسول يعقبها : .... ولاينفعكم إذ تندمون ....

(٨) سورة الانعام : الآية ،٦٦ .

(٩) في دلائل الإمامة والزهراء في السُنّة وفضائل آل الرسول : يعقبها : وسوف تعلمون من يأتيه عذابٌ يخزيه ويحل عليه عذاب مقيم .

(١٠) الإحتجاج : للطبرسي ،١٤٧/١-١٤٩ . فاطمة الزهراء (ع) أم أبيها : فاضل الحسيني الميلاني ، ص٩٩-١٠٢ . الزهراء فاطمة بنت محمد (ﺻ) : عبد الزهراء عثمان ، ص١٤٣-١٤٦ .

(١١) في فاطمة الزهراء : أصبت ...،

(١٢) لفظتهم : رميت بهم .

(١٣) عجمتهم : خبرتهم .

(١٤) سئمتهم : مللتِهم ، وفي الزهراء : .... شنأتهم ....

وقرع الصفات وصدع القناة ، وختل[1] الآراء وزلل الأهواء ، { **ولبئس ماقدمت لهم أنفسهم : أن سخط الله عليهم ، وفي العذاب هم خالدون** }[2] لاجرمَ[3] لقد قلدتُهم ربقَتَها وحملتهم أوقتها[4] وشننت[5] عليهم غاراتها[6] ،فجدعاً ، وعقراً وبُعداً ، للقوم الظالمين . ويحهم أنى زعزعوها عن رواسي الرسالة ، وقواعد النبوة والدلالة ، ومهبط الروح الأمين ، والطبين[7] بأمور الدنيا والدين[8] ؟ ! { **ألا ذلك هو الخسران المبين** }[9] وما الذي نقموا من ابي الحسن (□)[10] ؟! نقموا والله منه[11] نكير سيفه وقلة مبالاته لحتفه[12] ، وشدّة وطأته ، ونكال وقعته ، وتمزهُ[13] في ذات الله[14] وتالله لو مالوا عن المحجة اللايحة ، وزالوا عن قبول الحجة الواضحة ، لرّدهم اليها ، وحملهم عليها ولساربهم سيراً سُجماً[15] لايُكلم حشاشهُ[16] ولايكلّ سائرهُ ولايملّ راكبه ، ولاوردهم منهلاً نميراً صافياً ، روّياً[17] ، تطفح ضفتاه ولايترنق جانباه ولاصدرهم بطاناً[18] ، ونصح لهم سراً وأعلاناً ،ولم يكن يتحلى من الدنيا بطائل ، ولايحظى منها بنائل[19] ، غير ريّ المناهل[20] ، وشبعة الكافل ، ولبانَ لهم : الزاهدُ من الراغب والصادق من الكاذب ، { **ولو أنَّ اهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركاتٍ من السماء والارض ، ولكن كذبوا فأخذناهم بما كانوا يكسبون والذين ظلموا من هؤلاء سيصيبهم سيئات ماكسبوا وماهم بمعجزين** }[21] ألا هلمَّ فاسمع[1] ؟ وماعشت

---

(١) ختَلَ الآراء : زيفها وخدعها ، وفي الزهراء : ... وخطل ...
(٢) سورة المائدة ، الآية : ٨٠ .
(٣) وفي الزهراء يعقبها : ... والله . ...
(٤) الأوقة : الثقل .
(٥) وفي فاطمة الزهراء : ... وشنت ...
(٦) وفي الزهراء : ... غارَتها ...
(٧) الطبين : الفطن الحاذق بالأمور .
(٨) في فاطمة الزهراء : ... بأمور الدين والدنيا ...
(٩) سورة الزمر ، الآية :١٥ .
(١٠) في فاطمة الزهراء والزهراء : بحذف عليه السلام .
(١١) في الزهراء : ... نَقِموا منه - والله -
(١٢) في الزهراء : ... بحتفه ...
(١٣) التنمر : الغضب .
(١٤) في فاطمة الزهراء : ... في ذات الحق ... وفي الزهراء يعقبها : عزوجل .....
(١٥) سُجُحاً : بضمتين - ليناً سهلاً - .
(١٦) الكلم : الجرح ، وفي الزهراء : ... لايُكلم خشاشة ، والخِشاش- بالكسر - مايجعل في أنف البعير .
(١٧) في الزهراء يعقبها : ... فضفاضاً ....
(١٨) أي عظمت بطونهم من الشراب .
(١٩) في الزهراء : ... يَحليَ من الغنى بطائل ... من الدنيا بنائل ...
(٢٠) في فاطمة الزهراء والزهراء : ... الناهل ...
(٢١) سورة الأعراف ، الآية :٩٦ .

وماعشت أراك الدهرُ عجباً !! وان تعجب فعجبٌ قولهم !! ليت شعري الى أي اسناد[٢] استندوا ؟ والى ايَّ عمادٍ اعتمدوا ؟ وبأية عروة تمسكوا[٣] ؟ وعلى اية ذرية اقدموا واحتنكوا[٤] { **لبئس المولى ولبئس العشير ، وبئس للظالمين بدلا**}[٥] أستبدلوا والله الذنابى بالقوادم[٦] ، والعجز بالكاهل[٧] فرغماً لمعاطس[٨] قومٍ { **يحسبون انهم يحسنون صنعاً**}[٩] ألا أنهم هم المفسدون ولكن لايشعرون ويحهم { **أفمن يهدي الى الحق أحقّ ان يتبع أمن لايهدي الاّ ان يهدى فمالكم كيف تحكمون**}[١٠] أما لعمري لقد لقحت ، فنظرةً ريثما تنتج[١١] ثم احتلبوا ملاء القُعب[١٢] دماً عبيطاً وزعافاً مبيداً[١٣] ، هنالك يخسر المبطلون ، ويعرف البطالون[١٤] غبّ[١٥] ما أسَّس الأولون ، ثم طيبوا عن دنياكم أنفساً ، واطمأنوا للفتنة جأشاً[١٦] ، وأبشروا بسيفٍ صارمٍ ، وسطوة معتدٍ غاشمٍ ، وبَهرَجٍ[١٧] شامل ، واستبدادٍ من الظالمين ، يدع فيئكم زهيداً ، وجمعكم حصيداً ، فياحسرةً لكم ! وأنّى بكم[١٨] وقد عُمّيتْ عليكم { **أنلزمكموها وأنتم لها كارهون**}[١٩] .

زينب بنت علي بن أبي طالب (□)

وهي زينب بنت علي بن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصيّ ، وأمُّها فاطمة بنت الرسول محمد (f)[٢٠] . وشقيقة الحسن والحسين ، كانت

---

(١) في الزهراء : ... فاستمع ...
(٢) في الزهراء : ..سنادٍ ...
(٣) في الزهراء : بحذف وبأيةِ عروةٍ تمسكوا ؟
(٤) أحتنكوا : أستولوا .
(٥) سورة الحج ، الآية :١٣ .
(٦) الذُنابى : -بالضم - : ذنب الطائر ، القوادم : الريشات العشر من مقدم الجناح .
(٧) العجز : مؤخر الشيء ، الكاهل : مقدم أعلى الظهر ممايلي العنق .
(٨) معاطس : جمع معطس ، وهو الأنف .
(٩) سورة الكهف ، الآية :١٠٤ .
(١٠) سورة يونس ، الآية :٣٥ .
(١١) في الزهراء : ... ريث ماتنتج ...
(١٢) القعب : القدح .
(١٣) في الزهراء : ... ودُعافاً ممقراً ...، والدُعاف : السُّم .
(١٤) في الزهراء : ... التالونَ ...
(١٥) الغب : العاقبة .
(١٦) الجأش : النفس والقلب .
(١٧) في الزهراء :... وهرج ...
(١٨) في الزهراء : ... وأنّى لكم ...
(١٩) سورة هود ، الآية :٢٨ .
(٢٠) ينظر الطبقات ، ٣٤١/٨ .

عاقلة لبيبة جزلة . ولدت قبل وفاة جدها محمد (ﷺ) بخمس سنين[١] .

تزوَّجها ابن عمِّها عبد الله بن جعفر الطيّار بن أبي طالب بن عبد المطلب ، فَوَلَدتْ لَهُ علياً وعوناً ويدعى بالأكبر وعبّاساً ومحمداً وأُمُّ كلثوم[٢] .

شهدت مقتل أخيها الحسين (ع) في وقعةِ كربلاء ، وحُمِلَتْ مع السبايا الى الكوفة ثم الى الشام ، وكانت ثابتة الجِنان رفيعة القدر ، وكلامها عندما حضرت عند يزيد بن معاوية ، إنما يدلُّ على عقلٍ راجح ورأي وثباتِ عزيمة وينمُّ عن فصاحةٍ وبلاغةٍ في القول .

حدَّثتْ زينب (ع) عن أُمِّها فاطمة بنت محمد وأسماء بنت عُميس ، وتوفيت نحو سنة ٦٥ هـ ، ودُفِنَتْ بقناطر السِباع بمصر ، وقد روى عنها محمد بن عمرو وعطاء بن السايب وفاطمة بنت الحسين بن علي[٣] .وللسيدة زينب مقامين أحدهما بدمشق والآخر بمصر وهو أشهر من الأول[٤] .

خطبة السيدة زينب بنت علي بن أبي طالب (ع)

بحضرة أهل الكوفة تقريعاً لهم وتأنيباً

أومأت زينب بنت علي بن أبي طالب عليهما السلام الى الناس بالسكوت ، وأشارت إليهم بأن إنصتوا ، فارتدَّت الأنفاس ، وسكنت الأجراس ، ثم قالت - بعد حمد الله تعالى والصلاة على رسوله (ﷺ)[٥] - :

أما بعد يا أهل الكوفة ياأهل الختل[٦] والغدر ،والخذل[٧] !!ألا[٨] فلا رقأت العبرة[٩] ، ولاهدأت الزفرة[١٠] ، إنّما مثلكم كمثل التي نقضت غزلها من بعد قوّةٍ أنكاثاً[١١] ، تتخذون أيمانكم دخلاً بينكم[١٢] ، هل فيكم[١٣] إلاّ الصلف[١٤] ،

---

(١) ينظر أعلام النساء ، ٥٠١/١ . وفي الإصابة ،٦٨٤/٧ رواية عن ابن الأثير أنّها ولدت في حياة النبي .

(٢) ينظر الطبقات ، ٣٤١/٨ . وينظر الدر المنثور ، ص٢٣٣ .

(٣) ينظر أعلام النساء ٥٠٨/١ .

(٤) ينظر الدر المنثور ،ص٢٣٥ .

(٥) الإحتجاج : للطبرسي ، ٢٩/٢-٣١ ، الدر المنثور : زينب العاملي ، ص٢٣٣ . وقد نُسبَتْ هذه الخُطبة في بلاغات النساء ، ص٢٣ وفي المرأة العربية ،١٥٦/٢ ، وفي أدب النساء ، ص١١٦ وفي جمهرة خطب العرب ، ٢/ ١٢٤ إلى أُمُّ كلثوم مع التغيير في بعض العبارات .

(٦) الختل : الخداع .

(٧) في الدر المنثور : ... ياأهل كوفة الختل والخذل أتبكون . ...

(٨) في الدر المنثور : بحذف ألا .

(٩) في الدر المنثور : سكنت العبرة ...

(١٠) في الدر المنثور : ولاهدأت الرنّة .

(١١) أنكاثاً : أي حلّتهُ وأفسدته بعد إبرام .

(١٢) دخلاً بينكم : أي خيانة وخديعة .

(١٣) في الدر المنثور :... ألا وأن فيكم ...

(١٤) الصلف : الذي يمتدح بماليس عنده .

والعجب[١] ،والشنف[٢] ، والكذب[٣] ، وملق الأماء[٤] ، وغمز الأعداء[٥] ، أو كمرعى على دمنة[٦] ، أو كفضة على ملحودة[٧] ، ألا بئس ماقدَّمتْ لكم أنفسكم[٨] أن سخط الله عليكم وفي العذاب أنتم خالدون[٩] أتبكون أخي ؟! أجل والله فابكوا فانكم أحرى بالبكاء ، فابكوا كثيراً ، واضحكوا قليلاً ، فقد أبليتُم بعارها ، ومُنيتُم بشنارها[١٠] ، ولن ترحضوها ابداً [١١] ، وأنّى ترحضون قتل سليل خاتم النبوة ، ومعدن الرسالة ، وسيد شباب أهل الجنة ، وملاذ حربكم ، ومعاذ حزبكم ، ومقر سلمكم ، وأسى كلمكم[١٢] ، ومفزّع نازلتكم ، والمرجع إليه عند مقاتلتكم ومدرة حججكم[١٣] ، ومنار محجتكم ، ألا ساء ماقدمت لكم أنفسكم ، وساء ماتزرون ليوم بعثكم ، فتُعساً تُعساً ! ونكساً نكساً ! لقد خاب السعي ، وتبت الأيدي ، وخسرت الصفقة ، وبُؤتِمْ بغضبٍ من الله ، وضُرِبَتْ عليكم الذّلة والمسكنة ، أتدرون ويلكم أي كبد لمحمد (f) فريتم ؟! وأي عهدٍ نكثتم ؟! وأي كريمةٍ لهُ أبرزتم ؟! وأي حُرمةٍ لهُ هتكتم ؟! وأي دمٍ لهُ سفكتم ؟! لقد جئتم شيئاً إدّاً تكاد السماوات يتفطرن منه وتنشقُّ الأرض وتخرُّ الجبال هذا ! لقد جئتم بها شوهاء ، صلعاء ، عنقاء ، سوداء ، فقماء ، خرقاء[١٤] ، كطلاع الأرض ، أو ملأ السماء[١٥] أفعجبتم أن تمطر السماء دماً ، ولعذاب الآخرة أخزى وهم لاينصرون ، فلا يستَخفنَّكم المهل ، فإنه عزوجل لايحفزهُ البدار[١٦] ، ولايخشى عليه فوت الثار ، كلا إنّ ربّك لنا ولهم لبالمرصاد[١٧] .

---

(١) في الدر المنثور : .... والضفف ...
(٢) في الدر المنثور : ... وداء الصدر الشنف ، والشنف : هو البغض بغير حق .
(٣) في الدر المنثور : بحذف والكذب .
(٤) في الدر المنثور : ... وملق الأمة .
(٥) في الدر المنثور : ... وحجز الأعداء ...
(٦) الدمنة : المزبلة .
(٧) الفضة : الجص ، والملحودة : القبر .
(٨) في الدر المنثور : .... ألا ساء ماتزرون .
(٩) في الدر المنثور : ... بحذف ،أن سخط الله عليكم وفي العذاب أنتم خالدون .
(١٠) الشنار : العار .
(١١) أي لن تغسلوها .
(١٢) أي دواء جرحكم .
(١٣) المدرة : زعيم القوم ولسانهم المتكلم عنهم .
(١٤) الشوهاء : القبيحة ، والفقماء : إذا كانت ثناياها العليا الى الخارج فلا تقع على السفلى ، والخرقاء : الحمقاء .
(١٥) طلاع الأرض : ملؤها .
(١٦) يحفزهُ : يدفعه .
(١٧) أما تكملة الخطبة في الدر المنثور فكالآتي : ... أي والله فابكوا كثيراً واضحكوا قليلاً ، فقد ذهبتم بعارها وشنارها ، فلن تدحضوها بغسلٍ أبداً ، وإنما تدحضون قتل سليل خاتم النبوة ، ومعدن الرسالة ، ومدار حجتكم ، ومنار محجتكم وسيد شباب أهل الجنة ، ويلكم يا أهل الكوفة ألا ساء ماسوّلت لكم أنفسكم أن سخط الله عليكم ، وفي

خطبة السيدة زينب بنت علي بن أبي طالب (□)
أمام يزيد آبن معاوية

لمّا دخلت زينب بنت علي بن أبي طالب عليهما السلام ، على يزيد آبن معاوية ، وجيء برأس أخيها الحسين (□) ، وأخذ يزيد يضرب ثناياه بمخصرة كانت في يدِهِ ، نادت زينب بصوتٍ حزين ، تقرع القلوب ، فأبكت كل من كان ، ثم قامت على قدميها ، وأشرفت على المجلس ، وشرعت في الخطبة ، إظهاراً لكمالات محمد (f) ، وإعلاناً بأنَّا نصبر لرضاء الله ، لالخوفٍ ولادهشةٍ ، فقامت إليه وقالت[١] :

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة على جدي سيد المرسلين ، صدق الله سبحانه كذلك يقول : { **ثم كان عاقبة الذين أساؤا السوء أن كذَّبوا بآياتِ الله وكانوا بها يستهزؤن** }[٢] . أظننت يايزيد حين أخذت علينا أقطارالأرض ، وضَيّقتَ علينا آفاق السماء ، فأصبحنا لك في أسار ، نُساقُ إليكَ سوقاً في قطار ، وأنت علينا ذو اقتدار ، أنّ بنا من الله هواناً وعليك منه كرامة[٣] وامتناناً ، وإنّ ذلك لعظم خطرك ، وجلالة قدرك ، فشمخت بأنفك ، ونظرت في عطفك[٤] ،تضرب أصدريك فرحاً[٥] ، وتنفض مذرويك مرحاً[٦] ، حين رأيت الدنيا لك مستوسِقَة[٧] ، والأمور لديك مُتَّسِقَة[٨] ، وحين صفا لك مُلكنا ، وخلص لك سلطاننا ، فمهلا مهلا لاتطش جهلاً ، أنسيت قول الله عزوجل : { **ولايحسبن الذين كفروا إنما نُملي لهم خيراً لانفسهم انما نُملي لهم ليزدادوا إثماً ولهم عذابٌ مهين** }[٩] أمِنَ العدلِ ياآبن الطلقاء ؟! تخديرك حرائرك وإماءك ، وسوقك بنات رسول الله سبايا ، قد هتكت ستورهن ،

العذاب أنتم خالدون ، أتدرون أيّ كبد الرسول (f) فريتم ، وأيّ دمٍ لهُ سفكتم ، وأي كريمة لهُ أبرزتم ، لقد جئتم شيئاً اذاً تكاد السماوات يتفطرن منه ، وتنشق الأرض وتخر الجبال هذا ، ولقد أتيتم بها خرقاء شوهاء طلاع الأرض ، أفعجبتم أن أمطرت السماء دماً فلعذاب الآخرة أخزى ، وأنتم لاتنصرون ، فلا يستخفنكم المهل فلا يحقره البدار ، ولايخاف عليه فوت الثار ، كلا إنّ ربي وربكم لبالمرصاد .

(١) الإحتجاج : للطبرسي ، ٢/٣٥-٣٧ ، أعلام النساء ، ١/٥٠٥ -٥٠٦ .

(٢) سورة الروم ، الآية : ١٠ .

(٣) في أعلام النساء : يايزيد ثم ((كان عاقبة الذين أساؤا السوء أن كذَّبوا بآياتِ الله وكانوا بها يستهزؤن)) ، أظننت يايزيد أنهُ حين أُخِذَ علينا بأطراف الأرض وأكناف السماء فأصبحنا نساق كما يساق الأسارى ، أن بنا هواناً على الله وبك عليه كرامة ....

(٤) نظر في عطِفهِ : أخذَهُ العجب .

(٥) الأصدران : عرقان تحت الصدغين .

(٦) المذروان : أطراف الآليتين .

(٧) مستوسقة : مجتمعة .

(٨) مُتَّسِقَة : مستوية .

(٩) سورة آل عمران ، الآية : ١٧٨ .

وأبديت وجوههن ، تحدو بهن الأعداء من بلدٍ الى بلدٍ ، وتستشرفهن المناقل[١] ، ويُبرِزْنَ لأهل المناهل[٢] ، وحسبك بالله وليّاً وحاكماً ، وبرسول الله خصماً ، وبجبرئيل ظهيراً ، وسيعلم من بوأكَ ومكّنَكَ من رقاب المسلمين إنّ بئسَ للظالمين بدلاً ، وأيّكُم شَرًّ مكاناً ، وأضلّ سبيلاً ، وما استصغاري قدرك ، ولااستعظامي تقريعك[٣] توهماً لانتجاع الخطاب فيك[٤] بعد ان تركت عيون المسلمين بِهِ عبرى ، وصدورهم عند ذكرهِ حَرّا ، فتلك قلوبٌ قاسية ، ونفوسٌ طاغية ، وأجسامٌ محشوّة بسخط الله ولعنة الرسول ، قد عشّش فيه الشيطان وفرخ ، ومن هناك مثلك مادرج ، فالعجب كل العجب لقتلِ الأتقياء ، وأسباط الأنبياء ، وسليل الأوصياء ، بأيدي الطُلَقَاء الخبيثة ، ونسل العهرة الفجرة ، تنظف أكفهم من دمائِنا[٥] ، وتخلب أفواههم من لحومنا[٦] ، تلك الجثث الزاكية على الجيوب الضاحية ، تنتابها العواسِل[٧] ، وتُعَفّرُها أُمهات الفواعل[٨] ، فلئن اتخذتنا مغنماً لِتَجِدْ بنا وشيكاً مغرماً ، حين لاتجدُ إلاّ ماقدَّمَتْ يداك ، ومالله بِظلاّمٍ للعبيد[٩] ، فإلى الله المُشتكى والمعول ، وإليه الملجأ والمؤمل ، ثم كد كَيَدك ، واجهد جهدك فوالله الذي شرَّفنا بالوحي والكتاب ، والنبوّة والإنتخاب ، لاتدرك أمدنا ، ولاتبلغ غايتنا ، ولاتمحو ذكرنا ، ولايرحض عنك عارنا ، وهل رأيك الاّ فند ، وأيامك إلاّ عَدَدْ ،

---

(١) تستشرف : تنظر .

(٢) المناهل : مواضع شرب الماء في الطريق ، وفي أعلام النساء : ... وإنّ هذا لعظيم خطرك ، فشمخت بأنفك ، ونظرت في عطفيك جذلان فرحاً حين رأيت الدنيا مستوسقة لك ، والأمور مُتَّسِقَة عليك ، وقد أمهلت ، ونَفّست وهو قول الله تبارك وتعالى { **لايحسبن الذين كفروا إنما نملي لهم خيراً لانفسهم إنما نُمِلي لهُم ليزدادوا إثماً ولهم عذابٌ مهين** } . أمِنَ العدلِ يا آبن الطلقاء ، تخديرك نساءك وإماءك وسوقك بنات رسول الله (f) قد هُتِكَتْ ستورهن ، وأصحلت صوتهن مكتئبات تحدي بهنّ الأباعِر ، ويحدو بهنّ الأعادي من بلدٍ الى بلد ، لايراقبن ولايؤوين ....

(٣) التقريع : التعنيف .

(٤) الإنتجاع : الإنتفاع .

(٥) تنظف : أي تقطر .

(٦) تخلب : تسيل .

(٧) تنتابها العواسل : تأتي مرةً بعد أُخرى ، والعواسل : الذئاب .

(٨) تعفرها : تمرغها في التراب ، والفواعل : أولاد الضباع .

(٩) وفي أعلام النساء : ... وسيعلم من بوأكَ ومكّنَك من رقاب المؤمنين إذا كان الحكم الله ، والخصم محمد (f) ، وجوارحك شاهدٌة عليك ، فبئس للظالمين بدلاً أيكم شر مكاناً ، وأضعف جنداً مع أني والله ياعدوَّ الله ، وابن عدوِّه أستصغر قدرك ، وأستعظم تقريعك ، غير أنّ العيون عبَرى ، والصدور حرَّى ، ومايجزي ذلك أو يُغنِي عنّا ، وقد قُتل الحسين (□) ، وحزب الشيطان يُقرِّبُنا الى حزب السفهاء ليعطوهم أموال الله على انتهاك محارم الله ، فهذه الأيدي تنطف من دمائنا ، وهذهِ الأفواه تتحلب من لحومنا ، وتلك الجثث الزواكي يعتامها عسلان الفلوات ، فلئن اتخذتنا مغنماً ، لتتخذن مغرماً حين لاتجد إلاّ ماقدَّمَتْ يداك تستصرخ يا ابن مرجانة ويُستصرخ بك وتتعاوى وأتباعك عند الميزان ....

وجمعك إلاّ بَدَدْ ، يوم ينادِ المُنادي ألاَ لعن الله الظالم العادي . والحمد لله الذي حكم لأوليائه بالسعادة ، وختم لأصفيائِهِ بالشهادة ، ببلوغ الإرادة ، نقلهم الى الرحمة والرأفة ، والرضوان والمغفرة ، ولم يشقِ بهم غيرك ، ولا ابتلى بهم سواك ، ونسألهُ أن يُكمِل لهم الأجر ، ويجزِ لهم الثواب والذخر ، ونسألَهُ حُسن الخلافة ، وجميل الانابة ، إنّهُ رحيمٌ ودود[1] .

ويتصفح وجوههن القريب والبعيد ، والغائب والشهيد ، والشريف والوضيع ، والدني والرفيع ، ليس معهن من رجالهن ولي ، ولا من حماتهن حمي ، عتواً منك على الله[2] ، وجحوداً لرسول الله ، ودفعاً لما جاء به من عند الله ، ولاغرو منك ولاعجب من فعلك ، وأنّى يُرتَجَى مراقبة مَنْ لَفَظَ فوهَ أكباد الشهداء ونَبَتَ لحمهُ بدماءِ السُعدَاء ، ونَصَبَ الحرب لسيد الأنبياء ، وجمع الأحزاب ، وشهر الحراب ، وهزَّ السيوف في وجه رسول الله (ﷺ) ، أشدَّ العرب جحوداً ، وأنكرهم لهُ رسولاً ، وأظهرهم لهُ عدواناً ، وأعتاهم على الربِّ كُفراً وطغياناً ، إلاّ أنّها نتيجة خلال الكفر ، وصب يجرجر في الصدر لقتلى يوم بدر ، فلا يستبطىء في بغضنا أهل البيت من كان نظرهُ الينا شنفاً ، وأحناً ، وأظغاناً ، يظهر كفرَهُ برسول الله ، ويفصح ذلك بلسانِهِ ، وهو يقول : فرحاً بقتل ولدهِ وسبي ذريته ، غير مُتحوِّب ولامُستعظِم -

لأهلُّوا واستَهلُّوا فَرَحَاً ولَقالُوا يايزيدَ لاتَسَلْ

مُنحنياً على ثنايا أبي عبد الله - وكان مقبل رسول الله (ﷺ) - ينكتها بمخصرتِهِ ، قد التمع السرور بوجههِ ، لعمري لقد نكأت القرحة[3] ، واستأصلت الشأفة ، بإراقتِكَ دمَ سيد شباب أهل الجنّة ، وابن يعسوب دين العرب ، وشمسَ آل عبد المطلّب[4] ، وهتفتَ بأشياخِكَ ، وتقربت بدمِهِ الى الكفرة من أسلافِكَ ، ثم صرخت بندائِكَ ولعمري لقد ناديتهم لو شهدوك ! ووشيكاً تشهدهم ، ولن يشهدوك ، ولتود يمينك كما زعمت شلّت بك عن مرفقها وجدت ، وأحببتَ أُمُّك لم تحملك وأياك لم يلد ، أو حين تصير الى سخط الله ، ومخاصمك سول الله (ﷺ) .

---

(١) وفي أعلام النساء : ..... وقد وجدتُ أفضل زادٍ زوّدك معاوية قتل ذرية محمد (ﷺ) ، فو الله ما اتقيت غير الله ولاشكواي إلاّ الى الله فكِد كَيدَك ، واسعَ سَعيَك ، وناصِب جُهَدك ، فو الله لايرحض عنك عار ما أتيت إلينا أبداً .

والحمد للهِ الذي ختم بالسعادةِ والمغفرةِ لسادات شبُّان الجنة ، فأوجبَ لَهُم الجنة .

أسأل الله أن يرفع لهم الدرجات وأن يوجِب لهم المزيد من فضلِهِ فإنّهُ وليٌّ قدير .

(٢) عُتُّواً : عِناداً .

(٣) نكأت : قشَّرت قبل أن تبرأ .

(٤) وفي أعلام النساء : ... يتشوفهن القريب والبعيد ، ليس معهن ولي من رجالهن ، وكيف يستبطأ في بغضتنا من نظر إلينا بالشفق والشنآن والإحَنْ والأضغان . أتقول ليت أشياخي ببدرٍ شهدوا ، غير مُتأثِم ، ولامُستعِظم ، وأنت تنكث ثنايا أبي عبد الله بمخصرتك . ولِمَ لاتكون كذلك وقد نكأت القرحة ، واستأصلت الشأفة بإهراقك دماء ذرية رسول الله (ﷺ) ونجوم الأرض من آل عبد المطلب .....

اللهم خُذْ بحقنا ، وانتقم من ظالِمنا ، واحلل غضبك على من سفك دمائنا ، ونقض ذمارنا ، وقتل حُماتنا وهتك عنّا سدولنا ، وفعلت فعلتك التي فعلت ، ومافريت إلاّ جلدك ، وما جززت إلاّ لحمك ، وسترد على رسول الله بما تحملت من دمِ ذُرّيتِهِ ، ، وانتهَكتَ من حُرمتِهِ ، وسفكتَ من دماءِ عترته ولحمته ، حيث يجمع بِهِ شملهم ، ويلم بِهِ شعثهم ، وينتقم من ظالمهم ، ويأخذ لهم بحقهم من أعدائِهِم فلا يستفزنك الفرح بقتلهم ، { وَلاَ تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ }[١] ، فرحين بما آتاهم الله من فضلِهِ[٢] .

عائشة أم المؤمنين

هي عائشة بنت أول الخلفاء ، أبي بكر عبد الله بن أبي قحافة عثمان بن عامر بن كعب بن سعد بن تيم القرشي[٣] . وأمُّها أم رُومان بنت عمير بن عامر من بني دُهمان ابن الحارث بن غَنْم بن مالك بن كنانة[٤] .

ولدت في السنة الرابعة أو الخامسة بعد البعثة ، تزوجها الرسول (ﷺ) بعد وفاة زوجتهُ الأُولى خديجة ، وقبل الهجرة بسنتين أو بثلاث وهي إبنة سِت وقيل سبع ، وبنى بها وهي إبنة تِسع ومات عنها وهي إبنة ثماني عشرة[٥] .

كُنيتها أمُّ عبد الله ، فقد تَكَنَّتْ بابن أُختها أسماء من الزبير ، إذ يروى أنّها قالت للرسول (ﷺ) : يارسول الله كنيت نسائك فاكنني ، قال : إكتني بابن أُختك عبد الله بن الزبير ، فكانت تُكَنَّى بأُمِّ عبد الله[٦] .

أحب الرسول عائشة حُبّاً جمّاً ، وكانت لها عندهُ مكانةٌ عظيمة . عن مسروق أنّهُ كان إذا حَدَّث عن عائشة قال : ((حدّثتني الصدِّيقة بنت الصدِّيق حبيبة حبيب الله المبُرأة))[٧] .

وقد كان لعائشة من الفصاحة ، والرواية الشيء الكثير قال هشام بن عروة عن أبيه : ((مارأيتُ أحداً أعلمُ بفِقهٍ ولابطبٍ ولابشعرٍ من عائشة))[٨] .

وكانت إذا ذُكِرَتْ أمام عطاء بن أبي رباح ، قال : ((كانت عائشة أفقه الناس ،

---

(١) سورة آل عمران ، الآية :١٦٩ .

(٢) وفي أعلام النساء : .... ولتردن على الله وشيكاً موردهم ، ولتودن أنك عميت وبكمت وإنّك لم تقل فاستهلّوا وأهلّوا فرحاً . اللهم خُذ بحقنا ، وانتقم لنا ممّن ظلمنا ، والله مافريت إلاّ في جلدك ، ولاحززت إلاّ في لحمك ، وسترد على رسول الله (ﷺ) برغمك وعترتِهِ ولحمتهِ في حظيرة القدس ، يوم يجمع الله شملهم ملمومين من الشعث وهو قول الله تبارك وتعالى : { **ولاتحسبن الذين قُتِلوا في سبيل الله أمواتاً ، بل أحياءٌ عند ربهم يُرزَقون** } ....

(٣) أحاديث أُم المؤمنين عائشة : مرتضى العسكري ، ص٩ .

(٤) الطبقات : لابن سعد ، ٣٩/٨ ، تاريخ الطبري ، ٦٠١/١١ .

(٥) الإصابة : للعسقلاني ، ١٦/٨ ، الطبقات ، ٤١/٨ .

(٦) الطبقات ، ٤٥/٨ .

(٧) المصدر نفسه ، ٤٥/٨ .

(٨) الإصابة ، ١٨/٨ ، شهيرات النساء في العالم الإسلامي : قدرية حسين ، ص٧٤ .

وأعلم الناس ، وأحسن الناس رأياً في العامة))[1] .

ظلّتْ عائشة من المؤيدين للحكم القائم في خلافة أبي بكر وعمر وصدر من خلافة عثمان ، حتى انحرفت عن عثمان ، وترأست المعارضين ، فلَمَّا قُتِلَ قادة مناوئي ابن أبي طالب وخصومه الى حربه - حرب الجمل - في البصرة ، وبعد أن غُلِبَتْ في الحرب أعادها ابن أبي طالب مُكرَّمَة من المدينة[2] .

توفيت عائشة أُمُّ المؤمنين في المدينة المنورة ليلة الثلاثاء لسبع عشرة خلون من شهر رمضان من السنة السابعة أو الثامنة أو التاسعة والخمسين ، فأمرت أن تُدفَن من ليلتها فاجتمع الناس وحضروا فلم ترَ ليلةً أكثر ناساً منها ، فدُفِنَتْ بعد الوتر بالبقيع وهي بنت ست وستين سنة ، وصلّى عليها أبو هريرة وهو يومذاك خليفة مروان على المدينة[3] .

خطبة عائشة (رض) في أبيها

يروى أنَّهُ بَلَغَ عائشة أن أُناساً ينالون من أبي بكر ، فأرسلت إليهم ، فلمّا حضروا ، أسدلت أستارها ، وعلت وسادها ، فعذلت وقرعت ، ثم قالت[4] :

أبي وماأبيَه! أبي والله لاتعطوه الأيدي ، ذاك والله حصنٌ منيف[5] ، وظلٌّ مديد[6] ، أنجح[7] إذ أكديتُم ، وسَبَقَ إذْ ونَيتُم سَبْقَ الجَوادِ ، إذا استولى على الأمَد ، فَتَى قُرَيشٍ نَاشِئاً وكهفُها كهلاً ، يَريش مُملقَها ، ويفكّ عانيها[8] ، ويرأب صدعها[9] ، ويلمّ شَعثَها ، حتى حلّته قلوبُها[10] ، واستشرى في دينِهِ[11] ، فما بَرِحَتْ شكيمتُهُ في ذاتِ الله ، عزّوجلّ ، حتى اتخذ بفنائهِ مَسجِداً ، يُحيي فيه ما أمَاتَ الُمبْطِلوُن ، وكان رحمه الله غزيرَ الدَّمعة[12] ، وَقِيذَ الجَوَانِح ، شَجِيَّ النَّشيج

---

(١) المصدر نفسه ، ١٨/٨ .
(٢) ينظر أعلام النساء ، ٨٤٦/٢ ، أحاديث أُمُّ المؤمنين عائشة ، ص٩ .
(٣) ينظر الطبقات ، ٥٣/٨ ، الإصابة ، ٢٠/٨-٢١ ، أعلام النساء ،٨٧٨/٢ .
(٤) بلاغات النساء ، ص٣-٤ ، وشرح خطبة عائشة أم المؤمنين في أبيها : لمحمد بن القاسم الأنباري ، ص٨-١٠ وجمهرة خطب العرب ، ١٢٣/١-١٢٥ ، وأدب النساء ، ص١٠١-١٠٤ .
(٥) في شرح الخطبة وجمهرة الخطب وأدب النساء : .... ذاك طودٌ منيف ...
(٦) في شرح الخطبة ، يعقبها : ... والله ....
(٧) في جمهرة الخطب وأدب النساء : ... وَفَرْعٌ مديد ، ثم يعقبها : هيهات كذبت الظنون ...، وفي شرح الخطبة : ... هيهات بَعُدَت الظنون ....
(٨) في شرح الخطبة : .. ويرأب شعبها .. ، وفي جمهرة الخطب وأدب النساء : .. يفك عانيها ويريش مملقها ...
(٩) في شرح الخطبة وجمهرة الخطب وأدب النساء : .. ويرأب شعبها ....
(١٠) في شرح الخطبة ، بحذف : حتى حليته قلوبها ، وفي جمهرة الخطب وأدب النساء : ... حَليته ...
(١١) في شرح الخطبة : ثم استشرى ...، وفي جمهرة الخطب وأدب النساء : ثم استشرى في دين الله ...
(١٢) في شرح الخطبة : ... كان والله ....

فانصفقت عليه نسوان أهل مكة وولدانها[1] ، يسخرون منه ، ويستهزؤن بهِ { **والله يستهزىء بهم ، ويمدّهم في طغيانهم يعمهون** }[2] ، وأكبرت ذلك رجالاتُ قريش فحنَتْ لهُ قِسيِّها[3] ، وفوَّقت إليه سهامها[4] ، فامتثلوه غرضا[5] ،فما فَلُّوا لهُ صَفَاةً ، ولاقصَفُوا لهُ قناةً ، ومرَّ على سيسائهِ[6] ، حتى إذا ضرب الدين بجرانهِ ، وَرَستْ أوتادَهُ[7] ، ودخل النَّاسُ فيه أفواجاً ومِنْ كل فرقةٍ أرْسَالاً وأشتاتاً[8] ، أختار الله لنبيِّهِ (ﷺ) ماعنده ، فلمّا قبض رسول الله (ﷺ) ضرب الشيطان برواقِهِ[9] ، وشدّ طنُبه[10] ، ونصب حبائله ، وأجلب بخيلِهِ ورجله ، وألقى بركبه[11] ، واضطرب حبل الدين والإسلام ، ومرج عهده ، وماج أهله ، وعاد مبرمه أنكاساً[12] وبغى الغوائلُ[13] ، وظن رجالٌ أن قد اكثبت أطماعهم نهزتها[14] ، ولات حين الذي يرجون[15] ، وإنَّي والصِّدِّيقُ بين أظْهُرِهِم ، فقام حاسراً ، مُشَمِّراً ، قد رفع حاشيتيه ، وجمع قُطْريه[16] ، فرد نشر الدين على غرّهِ[17] ، ولمّ شعثه بطيّه ، وأقام أودهُ بثقافِهِ ، فابذقر النفاق بوطأتِهِ[18] ، وانتاش

---

(١) في شرح الخطبة : فأقصفت ... ، وفي جمهرة الخطب وأدب النساء : فانْقَضَّت إليه ....

(٢) سورة البقرة ، الآية :١٥ .

(٣) في شرح الخطبة : ... فحنَتْ قِسيِّها وفوَّقت سِهامَهاً وامتثلته ، وفي جمهرة الخطب وأدب النساء : ... فحنتْ قِسيِّها ، وفوَّقت سهامها ، وامتثلوه ...

(٤) في شرح الخطبة : فحنَتْ قسيِّها وفوَّقت سِهامها وآمتثلته ... وفي جمهرة الخطب وأدب النساء : ... فحنتْ قِسيَّها وفَوَّقتْ سِهَامَها وآمتثلوه ...

(٥) المصدر نفسه .

(٦) في شرح الخطبة : ... ومضى ... ، السيساء : عظم الظهر والعرب تضربه مثلاً لشدة الأمر .

(٧) في شرح الخطبة : ... أطوادَهُ ....

(٨) في شرح الخطبة : ... وأشياعاً ...

(٩) في شرح الخطبة : ... الله نبيَّهُ(ﷺ) ، أضطرب حبل الدين ، وفي جمهرة الخطب وأدب النساء : ... الله نبيَّهُ (ﷺ) .....

(١٠) في شرح الخطبة ، بحذف : وشدّ طنبه ، وفي جمهرة الخطب وأدب النساء : ... ومَدَّ ..،الطنب : الحبل أو الوتد تُشَدُّ بهِ الخيمة .

(١١) في شرح الخطبة ، بحذف : ونصب حبائله ، وأجلب بخيلهِ ورجله ، وألقى بركبهِ ، وفي جمهرة الخطب وأدب النساء ، بحذف : وألقى بركبه ، أجلب : صاح .

(١٢) في شرح الخطبة وجمهرة الخطب وأدب النساء ، بحذف : وعاد مبرمه أنكاساً .

(١٣) في شرح الخطبة ، يعقبها : ... ونصبت الحبائل .

(١٤) في شرح الخطبة : وظنّتْ رجالٌ .. أكْثب نَهْزُها ، وفي جمهرة الخطب وأدب النساء : فظنّتْ رجالٌ .. أطماعهم .

(١٥) في شرح الخطبة : .... يُظنُّون .

(١٦) في شرح الخطبة : ... فرفع ...، حاشية كل شيء : جانبه وطرفه ، والقطر : الناحية .

(١٧) في شرح الخطبة ، بحذف : فرد نشر الدين على غرّهِ ، وفي جمهرة الخطب وأدب النساء : فردَ رسَن الإسلام على غَربه .

(١٨) في شرح الخطبة : ... حتى إمذ قرّ النفاق بوطئهِ ، وفي جمهرة الخطب وأدب النساء ، بحذف : وأقام أوده بثقافِهِ ، فابذقر النفاق بوطأته .

الدين[١] فنعشه ، فلما أراح[٢] الحقَّ على أهلِهِ ، وأقرّ الرؤوس[٣] على كواهِلِها ، وحقن الدماء في أهبِهَا ، وحضرته[٤] منيَّتهُ ، نضرَ الله وجهَه[٥] ، فسد ثلمتهُ بشقيقه في المرحمة[٦] ، ونظيره في السيرة والمعدلة[٧] ، ذاك ابن الخطاب لله درّ أمٍّ حفلتْ لهُ[٨] ، ودرَّتْ عليه ، لقد أوحدتْ[٩] ، ففنَّخ الكفرة وديَّخها[١٠] ، وشَرَّدَ الشِّرك شَذَرَ مَذَرَ ، وبعج الأرض ونَخَعها[١١] ، فقاءت أُكُلَهَا[١٢] ، ولفظت خبيئها[١٣] ، ترأمُهُ ويصدّ عنها[١٤] ، وتصدَّى لهُ ويأباها ، ثم وزع فيئها فيها[١٥] ، وتركها كما صحبها[١٦] فأروني ماذا ترتأون[١٧] ، وأيّ يومَيْ أبي تنقِمون ؟ أيوم إقامته[١٨] إذ عدل فيكم ؟ أو يوم[١٩] ظَعنَه إذ نظر لكم ، أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم .

ب ـ خطيبات صفين

لقد كان للأضطرابات السياسية التي شهدها عصر بني أميّة حيث ظهور الطوائف والفرق واشتداد المنافرات والمفاخرات ، الى أحتدام الصراع وآتساع دائرة الخلاف بين طائفةٍ وأخرى ، أو حزبٍ وآخر . وبالأخص بعد أن وجدوا في

---

(١) في شرح الخطبة : فلمّا انتاش ...
(٢) في شرح الخطبة : وأراح ...
(٣) في شرح الخطبة وجمهرة الخطب وأدب النساء : وقرّر الرؤوس ...
(٤) في شرح الخطبة : فلما ... ، وفي جمهرة الخطب وأدب النساء : أتتهُ ....
(٥) في شرح الخطبة وجمهرة الخطب وأدب النساء ، بحذف : نضّر الله وجهَهُ
(٦) في شرح الخطبة : ... بنظيرهِ في المعدِلة ، وفي جمهرة الخطب وأدب النساء : ... بنظيرهِ في الرحمة .
(٧) في شرح الخطبة : وشقيقه في ... والمرحمة ، وفي جمهرة الخطب وادب النساء : وشقيقه في ... والمعدِلَة .
(٨) في جمهرة الخطب وأدب النساء : .... حملت بهِ .
(٩) في شرح الخطبة : ... وأوحدت بهِ ، أوحدت المرأة : ولدت واحداً ، أي جاءت بهِ منفرداً لانظير لهُ .
(١٠) في شرح الخطبة : ففَتحَ ... ودَنَّخها ، وديَّخها : قهرها واستولى على أهلِها .
(١١) في شرح الخطبة : ... وبخعَ ... فنخعها ، تفرّقوا شَذَرَ مَذَرَ : ذهبوا في كل وجه .
(١٢) في شرح الخطبة : حتى قاءَت ...، وفي جمهرة الخطب وأدب النساء : فقاءَت ...
(١٣) في شرح الخطبة : ... خبيَّها ... ، وفي جمهرة الخطب وأدب النساء : ... خَبْأها ...
(١٤) في شرح الخطبة : ... ويصلدُ ...، وفي جمهرة الخطب وأدب النساء : ... ويَصدِف ...
(١٥) في شرح الخطبة : ثم ظعن عنها على ذلك ، وفي جمهرة الخطب وأدب النساء : ... فيها فيئها .
(١٦) في شرح الخطبة ، بحذف : وتركها كما صحبها ، وفي جمهرة الخطب وأدب النساء : وودّعها ...
(١٧) في شرح الخطبة : ... ماترتأون ...
(١٨) في شرح الخطبة : ... مُقامهِ ...
(١٩) في شرح الخطبة وجمهرة الخطب وأدب النساء : ... أم ....

تسلُم بني أُميّة الخلافة ـ من غير وصية أو مشورة ـ ميداناً فسيحاً للمناظرة والمحاورة ، وقد أتَّسَعَتْ وأمتدت أطرافها حتى نشأت خطب المناظرات والمحاورات لتقنع كل فرقة خصمها بما تدعو إليه وتدحض حُجَجَهُ ، وإننا لو أردنا أن نُدرِج هذه الخطب ضمن الخطب التي صنفَها آرسطو فإننا ندخلها ضمن نطاق الخطابة الإستدلالية التي تعتمد على المدح والذم وتتجه الى الحُسنِ والقُبح أو الفضيلةِ والرذيلة(١) .

ويمكن أن نعد خطب النساء الوافدات أمام معاوية أمثال أُم الخير بنت الحريش والزرقاء بنت عدي ، وعكرشة بنت الأطرش من هذا النوع من الخطب .

فلقد ((كان للحركة الشيعية فضلٌ في إظهار بعض الشخصيات النسوية المحاربة الموالية لعلي ـ رض- ولأهل البيت وقد أمتاز هؤلاء الأديبات الشيعيات فوق جرأتهن وبلائهن في سبيل العقيدة بمقدرة خطابية لعلها كانت ثمرة ضرورية من ثمار ذلك العهد المقاتل المتنازع الذي أعتمد على قوة السيف من ناحية ، وعلى قوة البيان من ناحية أُخرى))(٢) .

وفي ذلك يقول مصطفى الشكعة : ((ولعل الحركات السياسية الإسلامية لم تظفر بعددٍ من خطيبات النساء المفوّهات مثل ماظفرت الحركة الشيعية ، أو بعبارةٍ أصح مثلما ظفرت حركة عليّ بن أبي طالب ضد خصومه بصفةٍ عامة ، وضد بني أُميّة ممثلين في معاوية بصفةٍ خاصة))(٣) .

وفيما يأتي نسوقُ بعض ماقالته أُم الخير البارقية والزرقاء بنت عدي وعكرشة بنت الأطرش ، بعد أن نقف عند موجز ترجمة كل واحدةٍ منهن :

أُم الخير بنتُ الحريش البارقية

وهي أُمُّ الخير بنت الحُرَيْش بن سُرَاقة البارقية ، خطيبةٌ من ربّاتِ الفصاحة والبلاغة ، وهي من أنصار الإمام علي بن أبي طالب (□) ، قدمت من الكوفة الى معاوية بن أبي سفيان بعد أن كتب الى والي الكوفة ، أن يوفدها إليه في دمشق . أُدخِلَتْ على معاوية رابَع يومٍ من وصولها ، وعندهُ جلساؤه ، فكان حوارها معهُ عن وقعة صفّين حواراً جريئاً صريحاً ، يَنمُّ عن شجاعةٍ في الرأي ، ورصانةٍ في القول ، ولباقةٍ في التصرف ، وكانت تجيب عن أسئِلَته في رجالٍ أكثرهم من خصوم معاوية مثل طلحة والزُبَير ، فلم تُبالي بأن تقولَ فيهم كلمة الحق الجريئة ، حتى إنّ معاوية كان يصغي إليها مُعجباً ببلاغتها ، ومستمعاً الى تقريعها لَهُ ، وتعنيفها لأصحابِهِ ، ومنهم عثمان بن عفّان قريبُ معاوية والذي سألها معاوية عن رأيها فيه ، فأجابت بشجاعةٍ وإيمان : أستخلَفهُ الناسُ وهم به راضون ، وقتلوهُ وهم لهُ كارهون(٤) .

---

(١) ينظر فن الخطابة : للحوفي ، ص٦٦-٦٧ . وينظر الخطابة : آرسطو ، ص٣٨-٤٥ .
(٢) أدب النساء في الجاهلية والإسلام : محمد بدر معبدي ، ص١٢٠ .
(٣) الأدب في موكب الحضارة الإسلامية : مصطفى الشكعة ، ص١٥١ .
(٤) ينظر بلاغات النساء ، ص٣٦ . وأعلام النساء ، ٣٣٢/١ . وأدب النساء ، ص١٢٢ .

خطبة أمُّ الخير البارقية

وقفت أمُّ الخير بنت الحُرَيش على رأس جنود علي في وقعة صفين ، على جملٍ رماديّ اللون ، مُمسكة بيدها سوطاً منتشر الضفيرة ، تهدر كما يهدر الفحل في شقشقتِهِ[١] ، وهي تحرض القوم ضد معاوية وأنصارهِ ، وتظهر فضائل علي ، مُفصلةً مآثرهُ وكفاحهُ في سبيل الدين والعقيدة ، إذ تقول[٢] :

يا أيُّها الناس أتقوا ربكم إن زلزلة الساعة شيءٌ عظيم ، إنّ الله قد أوضح الحق[٣] ، وأبان الدليل ، ونوّر السبيل[٤] ورفع العِلْم[٥] ، فلم[٦] يدعكم في عمياء مبهمة[٧] ولا سوداء مدلهمة[٨] فإلى أين[٩] تريدون رحمكم الله ؟ أفراراً عن أمير المؤمنين ، أم فراراً من الزحف ، أم رغبةً عن الإسلام ، أم ارتداداً عن الحق ؟ أما سمعتم الله عز وجل[١٠] يقول : { **ولنبلونَّكمْ حتى نَعلَمَ المجاهدينَ مِنكمْ والصّابرين ونبلوا أخباركمْ** }[١١] ثم رفعت رأسها الى السماء وهي تقول : اللهم قد عِيلَ الصبرُ وضَعُفَ اليقين ، وأنتشر الرعب[١٢] ، وبيدك يارب أزمة القلوب ، فاجمع إليه[١٣] الكلمة على التقوى وألّف القلوب على الهدى ، واردُد الحقَّ الى أهلهِ ، هلُّموا - رحمكم الله - الى الإمام العادل ، والوصي الوفي[١٤] ، والصديق الاكبر ، إنها إحَنٌ[١٥] بدرية ، وأحقادٌ جاهلية ، وضغائِن أُحُديَّة[١٦] وثبَ بها معاوية[١٧] حين الغفلة ، ليدرك بها[١٨] ثارات

والمرأة العربية ، ١٦٠/٢ . والدر المنثور ، ص٥٧ .

(١) الشَّقْشِقةُ : شيء كالرئة يخرجه البعير من فيه إذا هاج .

(٢) ينظر بلاغات النساء ، ص٣٧-٣٨ ، وجمهرة خطب العرب : أحمد زكي صفوت ، ١/ ١٩٤-١٩٥ ، وطبائع النساء : لابن عبد ربه الأندلسي ، ص٢٣٦-٢٣٧ .

(٣) في جمهرة الخطب وطبائع النساء : ... أوضح لكم الحق .

(٤) في جمهرة الخطب وطبائع النساء : .... وبيَّن السبيل

(٥) في طبائع النساء : ... القلم ....

(٦) في جمهرة الخطب : ... ولم ....

(٧) في جمهرة الخطب وطبائع النساء ... مُدْلهِمَّة .

(٨) في جمهرة الخطب وطبائع النساء : بحذف ولاسوداء مدلهمة .

(٩) في جمهرة الخطب وطبائع النساء : ... فأين ...

(١٠) في جمهرة الخطب وطبائع النساء : ... جلّ ثناؤه ...

(١١) سورة محمد ، الآية : ٣١ .

(١٢) في جمهرة الخطب : .. وانتشرت الرغبة ...، وفي طبائع النساء : ... وانتشرت الرعبة ...

(١٣) في جمهرة الخطب : بحذف اليه ، وفي طبائع النساء : ... اللهم بها ....

(١٤) في جمهرة الخطب وطبائع النساء ، ... والرضي التقي ...

(١٥) الإحَنْ : جمع إحنة وهي الضغينة والحقد ، وبدرية نسبة الى بدر وهي أول الوقائع بين المسلمين والمشركين . تريد أن معاوية بإثارته الحرب على عليّ إنما ينتقم لمن قُتلَ من آلهِ يوم بدر .

(١٦) تشير الى ماحدث من هند زوج أبي سفيان (أمُّ معاوية) في غزوة أُحُد اذ بقرت بطن حمزة عمّ النبي (ﷺ) بعد قتله وأخذت كبده لتأكلها فلاكتها ثم أرسلتها .

(١٧) في طبائع النساء : ... واثب ...

(١٨) في جمهرة الخطب وطبائع النساء : بحذف بها .

بني عبد شمس ، ثم قالت { **فقاتِلوا أئمةَ الكفرْ إنهمُ لا إيمانَ لهمْ لعلهم ينتهونَ**}[١] صبراً معشر الأنصار والمهاجرين[٢] قاتلوا على بصيرةٍ من ربكم ، وثباتٍ من دينكم وكأني[٣] بكم غداً ، لقد[٤] لقيتم أهل الشام كحُمُرٍ ستنفرة[٥] لاتدري أين يُسلَكُ بها من فجاج الأرض ، باعوا الآخرة بالدنيا ، واشتروا الضلالة بالهُدى وباعوا البصيرة بالعُمى[٦] عمّا[٧] قليل ليصبحن نادمين ، حتى تحل بهم الندامة ، فيطلبون الإقالة[٨] إنهُ والله من ضَلّ عن الحق[٩] وقع في الباطل ومن لم يسكن الجنة نزل النار [١٠] ، أيُّها الناس إن الأكياس[١١] استقصروا عمر الدنيا فرفضوها واستبطؤا مدة الآخرة[١٢] فسعوا لها والله[١٣] أيها الناس لولا أن[١٤] تبطل الحقوق ، وتُعطَّل الحدود ، ويظهر الظالمون[١٥] وتقوى كلمة الشيطان ، لما آخترنا ورود المنايا على خفض العيش وطيبه[١٦] فإلى أين تريدون رحمكم الله عن ابن عمَّ رسول الله (ﷺ) ، وزوج ابنته[١٧] وأبى ابنيه[١٨] خُلِقَ من طينته وتفرَّعَ من نبعتهِ وخصّهُ بسرّهِ[١٩] وجعلهُ باب مدينته[٢٠] وعلم المسلمين[٢١] وأبان ببغضِهِ المنافقين فلم يزل كذلك يؤيدهُ الله عز وجل بمعونته ويمضي على سُنَنَ آستقامته لايعرج لراحة الدأب[٢٢] هاهو[١] مُفلّق الهام ، ومُكسِّر

---

(١) سورة التوبة ، الآية : ١٢ .

(٢) في جمهرة الخطب وطبائع النساء : .... يامعشر المهاجرين والأنصار ...

(٣) في جمهرة الخطب وطبائع النساء : ... فكأني ...

(٤) في جمهرة الخطب وطبائع النساء : ... وقد ....

(٥) في جمهرة الخطب وطبائع النساء ، يعقبها : ... فرّت من قَسْوَرَة ، والقسورة هي الأسد والرماة من الصيادين ، والواحد قسوَر .

(٦) في جمهرة الخطب : بحذف وباعوا البصيرة بالعمى .

(٧) في جمهرة الخطب وطبائع النساء : ... وعّما ...

(٨) في جمهرة الخطب وطبائع النساء ، يعقبها : ... ولات حين مناص ...

(٩) في جمهرة الخطب وطبائع النساء : ... إنه من ضلِّ والله ...

(١٠) في جمهرة الخطب وطبائع النساء : بحذف ، ومن لم يسكن الجنة نزل النار .

(١١) في جمهرة الخطب وطبائع النساء : ... ألا إنّ أولياء الله ...

(١٢) في جمهرة الخطب وطبائع النساء : ... وآستطابوا الآخرة ...

(١٣) في جمهرة الخطب وطبائع النساء : ... فالله الله ....

(١٤) في جمهرة الخطب وطبائع النساء : ... قبل أن ..

(١٥) في جمهرة الخطب : بحذف ، ويظهر الظالمون .

(١٦) في جمهرة الخطب وطبائع النساء : بحذف لما أخترنا ورود المنايا على خفض العيش وطيبه .

(١٧) في جمهرة الخطب وطبائع النساء : ... وصهره

(١٨) في جمهرة الخطب وطبائع النساء : وأبى سبطيه ...

(١٩) في جمهرة الخطب : بحذف ، وخصّهُ بسرّه .

(٢٠) في جمهرة الخطب : ... باب دينه

(٢١) في جمهرة الخطب : بحذف ، وعلم المسلمين ، وفي طبائع النساء : ... وأعلم بحبه المسلمين ، ...

(٢٢) في جمهرة الخطب وطبائع النساء : بحذف ، فلم يزل كذلك يؤيده الله عز وجل بمعونته ويمضي على سنن استقامته لايعرج لراحة الدأب .

الأصنام ، إذ [٢] صلّى والناس مشركون وأطاع والناس مرتابون[٣] ، فلم يزل كذلك[٤] حتى قتل مبارزي بدر ، وأفنى أهل أُحُدٍ[٥] ، وفَرَّقَ جمع هوازن[٦] ، فيالها من وقائع زَرَعَت في قلوبِ قومٍ نفاقاً وردّةً وشِقَاقاً [٧] ، قد آجتهدتُ في القول ، وبالغت في النصيحة وبالله التوفيق وعليكم السلام[٨] ورحمة الله وبركاته .

---

(١) في جمهرة الخطب : وهاهو ذا ...، وفي طبائع النساء ، يعقبها : ذا .
(٢) في جمهرة الخطب وطبائع النساء : بحذف ، إذ .
(٣) في جمهرة الخطب وطبائع النساء : ... كارهون ..
(٤) في جمهرة الخطب وطبائع النساء : ... في ذلك ....
(٥) في جمهرة الخطب وطبائع النساء ، يعقبها : ... وهزَمَ الأحزاب ، وقتل اللهُ بهِ أهل خيبر .
(٦) في جمهرة الخطب وطبائع النساء : وفَرّقَ به جمع هوازن ، وهي تريد بذلك يوم حنين .
(٧) في جمهرة الخطب وطبائع النساء ، يعقبها : ... وزادت المؤمنين إيماناً ...
(٨) في جمهرة الخطب وطبائع النساء : ... والسلام عليكم .

الزرقاء بنت عدي الهمدانية

وهي الزرقاء بنت عدي بن غالب بن قيس ، إمرأة من أهل الكوفة ، شهدت مع قومها وقعة صفّين ، وكانت مِمّن يُعينُ علياً (□) ، وينصرهُ بكلماتها التي فعلت في صفوف أعداء الإمام علي (□) فعل السيوف البواتر ، حتى إنَّ معاوية أستشار أصحابَهُ في أمرها ، بعد خطبتها تلك ، فأشاروا عليه بقتلها ، ولكن معاوية أجابهم قائلاً : بئس الرأي أيحسِنُ بمثلي أن يقتل إمرأة بعد ماملكتُ وصار الأمرُ لي ، وتُعدُّ الزرقاء من الخطيبات الوافدات على معاوية ، بعد أن دعا هو كاتِبَهُ في الليل ، فكتب الى عامله في الكوفة أن أوفِدِ إليَّ الزرقاء إبنةُ عدي ، فأُحْضِرَتْ إليه وحاورته ، وكان مُعجباً ببلاغتها وفصاحتها ثم عادت الى قومها ، وقد ردّها والذين معها مكرمين[١] .

خطبة الزرقاء بنت عدي الهمدانية

قالت الزرقاء تخطب يوم صفّين[٢] :

أيُّها الناس : أرعَوُوا وارجعُوا ، إنكم[٣] في فتنة غَشَّتكم[٤] جَلابِيبَ الظُّلم ، وجارت بكم عن قصد المحجَّة[٥] ، فيالها من[٦] فتنةٍ عمياء صمّاء بكماء ، لاتسمع لناعقها[٧] ، ولاتنساق لقائدها ، إن المصباح لايُضيءُ في الشمس ، ولاتُنير الكواكبُ مع القمر ، ولايقطعُ الحديدَ إلاّ الحديد ، ألا مَنْ آسترشَدَنا أرشدناه ، ومنْ سألنا أخبرناه . أيُّها الناس : إنّ الحقَّ كانَ يطلب ضالَّته فأصابها ، فصبراً يامعشر المهاجرين والأنصار على الغُصَص ، فكأنْ قد أندمل شَعْبُ الشَّتات ، والتأمت كلمة الحق[٨] ، ودفع[٩] الحق الظُّلمة[١٠] ، فلا يجهلن أحدٌ فيقول : كيف وأنَّى[١١] ؟ ! ليقضي الله أمراً كان مفعولاً ، ألاّ وإنّ خِضاب النساء الِحنَّاء ، وخِضاب الرجال الدِّماء ، ولهذا اليوم مابعده ، والصبُر خيرٌ في الأمور عواقباً . إيهاً في الحرب قُدُماً غير ناكصين ، ولامتشاكسين .

---

(١) ينظر بلاغات النساء ، ص٣٢ ، وأعلام النساء ، ٤٤٤/١ ، وأدب النساء ، ص١٢٦ ، والمرأة العربية ، ١٦٤/٢ ، وحرمة المرأة في الإسلام ، ص٣٦ .

(٢) صبح الأعشى : للقلقشندي ، ٢٥٢/١ ، جمهرة خطب العرب ، ١٩٧/١-١٩٨ ، طبائع النساء ، ص٢٢٧-٢٢٨ ، الادب في موكب الحضارة الإسلامية ، ص١٥٤ .

(٣) في جمهرة الخطب وطبائع النساء ، يعقبها : ... قد أصبحتم ...

(٤) غشَّتكم : أي غطتكم وألبستكم ، وجلابيب : جمع جلباب وهو مايُلبَس وتقصد أن هذه الفتنة قد لفَّتهُم بظلامها .

(٥) المحجّة : أي جادة الطريق .

(٦) في جمهرة الخطب وطبائع النساء : بحذف من .

(٧) في طبائع النساء : ... لنا عقيها ...

(٨) في طبائع النساء : ... كلمة العدل .

(٩) في جمهرة الخطب : ... ودمغ الحق ...

(١٠) في طبائع النساء : ودمغ الحق باطله ...

(١١) في طبائع النساء : ... كيف العدل وأنَّى ...

عكرشة بنت الأطرش

هي عكرشة بنت الإطرش[١] بن رواحة[٢] ، من ربّات الفصاحة والبلاغة والبيان وقوة الحُجّة[٣] ، وهي من النساء اللواتي شَهدنَ وقعة صفّين ، وكُنَّ من أنصار الإمام علي (□) ، فخطبت في الناس تدعوهم لنُصرتِهِ ، وللإلتفاف حولهُ ، وتُحرِّضهُم على أعدائهِ ، وفدت على معاوية بن أبي سفيان بعد وقعة صِفّين ، إذ دخلت عليه وبيدها عُكّاز ، فسلّمتْ عليه بالخلافة وجلست ، فقال لها معاوية : ((ياعكرشة الآن صرت أمير المؤمنين قالت نعم إذ لاعليٌّ حيّ قال ألَستِ صاحبة الكور المسدول والوسيط المشدود والمتقلّدة بحمائل السيف وأنتِ واقفة بين الصفين يوم صفين))[٤] .

ثم ذكّرها بقولها آنذاك ، وموقفها ضِدّهُ ، فلم يُضعِفَها ذلك أو يُثنِها عن الجُرأةِ في الإجابة أو البراعة في الجدل أمام الخليفة وجُلساؤهُ حتى رَدَّها الى قومها عزيزةً مُكرَّمةً .

خطبة عكرشة بنت الأطرش

وقفت عكرشة بنت الأطرش في معركة صفّين بين الصفين ، متقلّدةً حمائل السيف ، خطيبةً تدعو لنصرة علي (□) وتُحرِّض على أعدائه فتقول[٥] : أيُّها الناس : عليكم أنفسكم لايضُرُّكم من ضَلَّ إذا اهتديتم ، إنّ الجنة لايرحَلُ من أوطنِها ، ولايَهْرَم من سَكَنَها ، ولايموت من دخلها ، فابتاعوها بدارٍ لايدوم نعيمها ، ولاتنصرم همومها ، وكونوا قوماً مستبصرين في دينهم ، مستظهرين[٦] بالصبر على طلب حقهم ، إنّ معاوية دَلَفَ[٧] إليكم بعجم العرب ، غُلْفِ[٨] القلوب ، لايَفقَهُونَ الإيمان ، ولايدرون الحكمة[٩] ، دعاهم الى الدنيا فأجابوه ، واستدعاهم الى الباطل فلبّوه ، فالله اللهَ عبادَ الله في دين الله ، إياكم والتواكل فإن ذلك ينقضُ عُرا الإسلام ، ويُطفِىءُ نور الحق ، هذهِ بدر الصغرى ، والعَقَبَة الأخرى ، يامعشر المهاجرين والإنصار ، أمضوا على بصيرتكم ، واصبروا على عزيمتكم ، فكأنّي بكم غداً ، وقد لقيتم أهل الشام كالحُمُر الناهقة ، تَقْصَعُ قَصْعَ[١٠] البعير[١] .

---

(١) في بلاغات النساء ، ص٧٠ هي عكرشة بنت الأطش . وفي المرأة العربية ، ١٦٧/٢ ، هي عكرشة بنت الأطروُش .

(٢) جمهرة خطب العرب ، ١٩٢/١ ، وطبائع النساء ، ص٢٣١ .

(٣) أعلام النساء ،١٠٦٠/٢ .

(٤) بلاغات النساء ، ص٧١ .

(٥) صبح الأعشى : ٢٥٣/١ ، جمهرة خطب العرب ،١٩١/١-١٩٢ ، طبائع النساء ، ص٢٣١ .

(٦) مستظهرين : مستعينين .

(٧) دلفَ : مشى مشي المقيّد ، وفي التعبير بهِ إيماء الى ضعف معاوية ووهن قوتَهُ .

(٨) غُلْف : جمع أغلَف ، والقلب الأغلف ، كأنما غشى غلافاً ، فهو لايعي .

(٩) في طبائع النساء : ... ماالحكمة ...

(١٠) في جمهرة الخطب : ... تَصْقَعُ صَقْعَ ...، وفي طبائع النساء : ... تَصْقَعُ صَقْعَ البقر ،

ج - خطب التأبين :

تُلقيها الخطيبة على قبر الراحل ، إذ تتَّجِهُ بكلامِها الى الفقيد فتصوِّر ماتركتهُ الفاجعةُ والإسَى ، وتُبيّن عظيم الرزيّة ، وتعدد مناقَبهُ وتُجلّي آثارهُ ، وتشيد بما كان لَهُ من فضائلٍ ومآثر .

وتتميز عّما سواها من أضرُب الخطابة ، بحرارة العاطفة وصدق الشعور لأن الخطيبة غالباً ماتكون من ذوي الفقيد أو من المقرّبين إليه . ومن بين تلك الخطب ، خطبة صفية بنت هشام المنقرية تؤبن فيها زوجها الأحنف بن قيس ، وخطبة عائشة بنت عثمان بن عفان تؤبن فيها أباها ، وخطبة عائشة بنت أبي بكر لمّا قُبِضَ رسول الله (ﷺ) .

صفية بنت هشام المنقرية

وهي من ربّات الفصاحة والبلاغة ، أقبلت لمّا دُفِنَ ابن عمها وزوجها الأحنف بن قيس حتى وقفت على قبرهِ فقالت حتى تعجّب الناسُ من كلامها وقال فُصحاؤهم : تالله مارأينا كاليوم قط ولاسمعنا أفصح ولاأبلغ من هذهِ . ويروى أن مصعب بن الزبير خطبها الى نفسهِ ، وكان أميراً على الكوفة من قبل أخيه عبد الله بن الزبير فأبت عليه ، فما زال يتعاهدها ببرِّه حتى قُتِل[٢] .

صفية بنت هشام المنقرية تؤبن زوجها الأحنف آبن قيس

توفّى الأحنف بن قيس بالكوفة ، وكان مصعب بن الزبير آنذاك أميراً عليها فمشى في جنازتِهِ بغير رداء ، قائلاً : اليوم مات سرُّ العرب ، فلما دُفِنَ أقبلت صفية بنت هشام المنقرية ، وكانت بنت عم الأحنف وزوجته حتى وقفَتْ على قبرِهِ فقالت[٣] :

لله دَرُّكَ من مُجَنٍّ[٤] في جُنَنٍ ، ومُدْ رَجٍ[٥] في كَفَنٍ[٦] ، نسألُ[٧] الذي فَجَعَنَا بموتك ، وابتلانا بِفَقْدِكَ ، أن[٨] يجعلَ سبيلَ الخيرِ سبيلَك ، ودليلَ الرُّشد[٩] دَليلَك ، وأن يوسِّع لك في قبرك ، ويغفر لك يوم حَشْرِك ، فو الله لقد كُنتَ في المحافلِ شريفاً ، وعلى الأراملِ عَطُوفاً ، ولقد كنت في الحيّ مُسَوَّداً ، والى الخليفة مُوفِداً ، ولقد كانوا لقولك

والصقع : رفع الصوت أما تقصع من (قصع الجمل) ، فتقول قصع الجمل بجرِّته أي رَدَّها الى جوفهِ .

(١) في طبائع النساء ، يعقبها : ... ، وتروث روث العتاق .

(٢) ينظر بلاغات النساء ، ص٥٠ ، أعلام النساء ، ٧٣٥/٢ .

(٣) زهر الآداب ، ٧٠١/٣-٧٠٢ . جمهرة خطب العرب ، ٣٤٣/٢ .

(٤) مجن : مستور ، والجنن : القبر والكفن .

(٥) مدرج : مُطوىّ .

(٦) وفي جمهرة الخطب ، يعقبها : ... إنّا لله وإنا إليه راجعون ! ....

(٧) وفي جمهرة الخطب : نسأل الله الذي ..

(٨) وفي جمهرة الخطب : .... يُوسِع لك في قبرك ، وأن يغفر لك يوم حَشْرك ، وأن ...

(٩) وفي جمهرة الخطب : .... الرشاد ...

مُستَمِعِين ، ولرأيك مُتَّبِعين[1] .

ثم أقبلت بوجههَا على الناس ، فقالت :

ألاَ إن أولياء الله في بلادهِ ، شهود على عبادهِ ، وإني لقائِلة حقّاً ، ومثنيةٌ صِدْقاً ، وهو أهلٌ لحُسنِ الثناء ، وطيب النّثا ، أما والذي كنتَ من أجلِهِ في عُدَّة ، ومن الحياة الى مُدَّة ، ومن المقدار الى غاية ، ومن الإياب الى نهاية ، الذي رفع عملك ، لمّا قَضَى أجَلَكَ ، لقد عِشت حميداً مودوداً ، ومُتَّ سعيداً مفقوداً[2] .

عائشة بنت عثمان بن عقان

من ربّات الفصاحة والبلاغة ، قالت في أبان بن سعيد بن العاص ، حين خطبها : لا أتزوج بهِ والله أبداً . فقيل لها : ولِمَ ذاك ؟ قالت : لأنه أحمق لهُ برذونان أشهبان فهو يتحمل مؤونة إثنين واللون واحد[3] .

وقالت فيه لمّا نزلَ بأيلة[4] وترك المدينة :

نزلتَ ببيت الضبّ لاأنتَ ضائر عدواً ولا مُستنفعاً أنتَ نافعُ[5]

لها خطبة تؤبن فيها أباها ، لمّا قُتِلَ وبويع علي بن أبي طالب (□) ولمّا قَدِمَ معاوية المدينة بعد عام الجماعة أي بعد سنة ٤١هـ ، ودخل دارَ عثمان بن عفان ، صاحت عائشة بنتُ عثمان : وا أبتاه وبكت ، فقال معاوية : ياآبنة أخي إنَّ الناس أعطونا طاعةً وأعطيناهم أماناً ، وأظهَرْنا لهم حِلماً تحتهُ غَضَب ، وأظهروا لنا طاعةً تحتها حِقد ، ومع كلّ إنسان سيفُه ، وهو يرى موضع أنصاره ، فإنْ نكثنا بهمْ نكثوا بنا ، ولاندري أعلينا تكون أم لنا ، ولأنْ تكوني بنتَ عم أمير المؤمنين خيرٌ من أن تكوني إمرأةً من عُرض المسلمين[6] .

عائشة بنت عثمان بن عفان تؤبن أباها

---

(١) وفي جمهرة الخطب ، بحذف : فو الله ...... مُتَّبِعين .

(٢) وفي جمهرة الخطب الآتي : ((مَعْشَر الناس ، إنّ أولياء الله في بلاده ، شُهودٌ على عبادِهِ ، وإنّا قائلون حقاً ، ومُثنون صِدقاً ، وهو أهل لحُسن الثناء ، وطيِّب الدعاء ، أما والذي كنتَ من أجلِهِ في عِدَّة ، ومن المضمار الى غاية ، ومن الحياة الى نهاية ، الذي رفع عَمَلَك ، عند انقضاء أجلك ، لقد عِشْتَ حميداً موَدوداً ، ولقد مِتَّ فقيداً سعيداً ، وإنْ كنتَ لعظيم السِّلم ، فاضِلَ الحِلْم ، صحيح الإديم ، مَنيع الحَريم ، وَاري الزِّناد ، رفيع العماد ، وإن كنتَ في المحافل لشريفاً وعلى الأرامِل لعَطوُفاً ، وفي العشيرة مُسَوّداً ، والى الخلفاء مُوفَداً ، ولقد كانوا لقولك مستمعين ، ولرأيك مُتَّبعين)) .

(٣) أعلام النساء ، ٩٠٨/٢ .

(٤) أيلة ، بالفتح : مدينة على ساحل بحر القلزم مما يلي الشام ، وقيل : هي آخر الحجاز وأول الشام . وقيل غير ذلك .

(٥) المصدر نفسه .

(٦) ينظر البيان والتبيين : للجاحظ ، ٣٠٠/٣ ومن عُرضهم ، بضم العين أي من عامتهم .

لمّا قُتلَ عثمان بن عفان ، خَرَجَ نفرٌ من الناس يتسارعون الى علي بن أبي طالب (□) فرحين ، حتى قدموا بهِ فبايعوه ، فلمّا بلغ ذلك عائشة ابنة عثمان صاحت قائلة[١] :

ياثارات عثمان ، إنّا لله وإنّا إليهِ راجعون ، أفيت نفسه[٢] ، وطل دمه في حرم رسول الله (ﷺ) ، ومنع من دفنهِ ، اللهم ولو يشاء لامتنع ، ووجد من الله عزوجل حاكماً ، ومن المسلمين ناصراً ، ومن المهاجرين شاهداً ، حتى يفي الى الحقَ منْ صدَّ عنه[٣] ، أو تطيح هامات ، وتفرى غلاصم[٤] ، وتخاض دماء ، ولكن استوحش مما آنستم بهِ ، واستوخم مااستمرأتموه يامن استحل حرم الله ورسوله ، واستباح حماه[٥] ، لقد نقمتم عليه أقلّ مما أتيتم اليه ، فراجع فلم تراجعوه ، واستقال فلم تقيلوه ، رحمة الله عليك يا ابتاه ، أحتسبت نفسك ، وصبرت لامر ربك حتى لحقت بهِ[٦] .

قول عائشة بنت أبي بكر (رض)
لَمّا قُبِضَ رسول الله (ﷺ)

قالت عائشة ، لما قُبِضَ رسول الله (ﷺ)[٧] :

قُبِضَ رسول الله (ﷺ) ، فلو نزل بالجبال الراسيات مانزل بأبي لهاضها[٨] ، أشرأب النفاق بالمدينة ، وارتدَّتْ العرب ، فو الله ما اختلف المسلمون في لفظةٍ إلاّ طار أبي بحظها وغنائها في الإسلام ، ومن رأى بن الخطاب علم أنّهُ خُلِقَ غناء للإسلام،كان والله أحوذياً نسيج وحده[٩] ، قد أعدّ للأمورِ أقرانها

---

(١) بلاغات النساء ، ٦٧ ـ٦٨ ، نساء لهن في التاريخ الاسلامي نصيب ص٧٥ .
(٢) في نساء : .... أفنى نفسه ...
(٣) في نساء : ... سدر عنه ...
(٤) في نساء ، بحذف : وتفرى غلاصم .
(٥) في نساء ، ويعقبها : ... لقد كره عثمان ماقدمتم عليه ، ولقد ....
(٦) في نساء ، ويعقبها : ... ، وهؤلاء الآن قد ظهر منهم تراوض الباطل وكوامن الأحقاد .
(٧) بلاغات النساء ، ص٦ـ٧ . زهر الآداب ،٦٩/١ .
(٨) هاضها : دگها وحطّمها .
(٩) أحوذي : حاذق ، قاهر للأمور ، نسيج وحدهِ : لانظير لهُ ، كأنما نُسِجَ على نولٍ لم يُنسَج عليه سواه .
وقد روي قول عائشة في زهر الآداب كالآتي :
((نجم النِّفاق ، وارتدَّت العرب ، وكان المسلمون كالغنم الشاردة في الليلة الماطرة ، فحمل أبي مالو حملته الجبال لهاضها ، فو الله ان اختلفوا في معظم الأ ذهب بحظّه ورشده ، وغنائهِ وكنتُ إذا نظرتُ الى عمر علمتُ أنّه إنما خُلِقَ للإسلام ، فكان والله أحوذياً نسيج وحدِهِ قد أعدّ للأمورِ أقرانها)) .

المبحث الثاني : الكتب والرسائل

شهدت مرحلة الكتابة والمراسلة ، منذ ظهور الإسلام والدولة الأموية ، تغيراً ملحوظاً من حيث الأسلوب والمضمون ، والشكل ، فبعد أن كانت تميل الى البساطة والسهولة في التعبير عن المضمون ، والبعد عن أصصناع أساليب الزخرف وفن البيان ، والنفاذ الى القصد مباشرة في السنوات الأولى من الهجرة ، إذ لم يكنَ همها سوى الأداء والتبليغ ، وهي أقرب الى المحادثة والمخاطبة(١) . إلاّ أن أساليبها الفنية أخذت بالتطور مع الحفاظ على طابعها العام في البساطة وقلّة المحاولات الفنية ، حتى حظيت في العصر الأموي بمكانةٍ مرموقة بين فنون الأدب ، حيث أتَّسعَتْ مجالاتها ، وتجددت أفكارها وتنوعت موضوعاتها ، تبعاً لتطور الحياة الإسلامية(٢) .

ومن النُصفَة للإدب العربي ، وللمرأة العربية ، ألاّ نغفل دورها في هذا اللون من الأدب ، فعلى الرغم من قِلّة الرسائل النسوية في العصر الإسلامي ، إلاّ أنها تُعدُّ صفحة من الصفحات التي سجلّها لها التاريخ الأدبي كونها مقدرةً أدبيةً وإبداعيةً لم تتطرق إليها المرأة سابقاً ، وقد دعتْ إليها متطلبات الحياة الجديدة .

وقد تختلف الرسائل النسوية من حيث الشكل والمضمون ، فمنها الرسائل الطويلة ، ومنها القصيرة ، ومنها ماعالجت موضوعات سياسية أو إجتماعية أو دينية وماسنوردهُ في هذا المبحث ثلاث رسائل ،إحداهن تُعدُّ أطول رسالة نسوية وهي رسالة السيدة عائشة التي أرسلتها الى أهل الكوفة ، أما الأخرى فهي رسالة لاتخلو من النُصح والإرشاد ، والتذكير ، وبين طرفين متساويين في المنزلة وهي رسالة أُمُّ سلمة الى عائشة ، بعد خروجها من المدينة الى البصرة .

والأخيرة هي رسالة للسيدة نائلة بنت الفرافصة الى معاوية بن أبي سفيان تشكو فيها إليه ، قصة مقتل زوجها عثمان بن عفان ، وغدر المعتدين ، وتدنيسهم حُرمة الخليفة .

أمُّ سَلَمَة

وهي أم المؤمنين هند بنت أبي أُميّة بن المغيرة بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم القرشية المخزومية ، ويُقال أسمها رملة وأبيها حُذيفة ويُقال سهيل ، عُرِف أبوها بالجود والكرم إذ كان إذا خرج في سفرٍ كفى أصحابه من زادهُ ، وإذا صَحِبَ ركباً لم يدع أحداً منهم يحمل طعاماً أو يتزود بزادٍ بل يطعمهم

---

(١) ينظر الادب في عصر النبوّة والراشدين ، ص١٤٢-١٤٣ ، وينظر تطور الأساليب النثرية في الأدب العربي : أنيس ، ص٣٦ .

(٢) ينظر المصدر نفسه ، ص١٤٤-١٤٥ . وينظر الفن ومذاهبه في النثر العربي : شوقي ضيف ، ص٩٩ .

هو من طعامهِ ويزوِّدهم من زادهِ ، فكان من ذلك أن عُرِفَ واشتهر بين الناس باسم : زاد الرّكب ، وأمُّها هي عاتكة بنت عامر بن ربيعة بن مالك الكنانية من بني خراس ، وأول مازُوِّجت من ابن عمِّها أبي سلمة ، وآسمه عبد الله بن عبد الأسد بن هلال بن مخزوم ، وهو أحد السابقين الأولين من المهاجرين ، وقد صحبتهُ في هجرتهِ الى الحبشة ثم تبعتهُ الى المدينة ، فكانت أسبق النساء جميعاً الى الهجرتين .

مات عنها أبو سلمة سنة أربع من الهجرة وقد انحسرت منه على أربعةٍ من الولد هم عمر وسلمة ودُرّة وزينب ، وكان آخر ما أوصاها بهِ أن تبتغي الزوج الصالح من بعده[١] .

ولمّا انقضت عدّتها خطبها أبو بكر فردّته ثم خطبها عمر فردّته ، ثم أقبل عليها الرسول (ﷺ) فخطبها وكان بينهما حجاب فقالت : أي رسول الله وماتريد إلي ؟ ما أقول هذا إلاّ رغبةً لك عن نفسي ، إني امرأة قد أدبر منّي سِنّي ، وإني أم أيتام ، وشديدة الغيرة ، فقال رسول الله (ﷺ) : فلا يمنعك ذلك . أمّا ماذكرتِ من غيرتك فيُذهبها الله ، وأمّا ماذكرتِ من سِنِّكِ فأنا أكبرُ منكِ سِنّاً وأمّا ماذكرتِ من أيتامكِ فعلى الله ورسوله ، فأذنت لهُ فتزوجها[٢] .

وكانت أم سلمة جميلةً ذكيةً ، على قدرٍ من الفصاحة والبلاغة ، وتتمتع بقوة الشخصية وصواب الرأي ، إذ كان لحكمتها وكمال رأيها أن فرَّجَ الله بهما عن رسولهِ موقفاً من أشدِّ المواقف وقعاً على رسول الله (ﷺ) ، بعد أن ذكر لها الرسول مالقيَ من أصحابه ومخالفتهم لأمرهِ بعد صُلح الحديبية ، إذ دعاهم الى أن يقوموا فينحروا أضاحيهم ويحلقوا رؤوسهم ، فما كان منها إلاّ أن أشارت عليه أن يخرج ولايكلم أحداً منهم وينحر بدنته ويدعو حالِقَهُ فيحلق رأسهُ فخرج الرسول ، وفعل ما أشارتِ بهِ أم سلمة ، فلما رأى المسلمون ذلك قاموا فنحروا وجعل بعضهم يحلق بعضاً[٣] .

وقد كان لأم سلمة منزلةً كبيرةً عند رسول الله (ﷺ) ، فقد كانه الرسول يقول عن عائشة قبل أن يتزوج بأمِّ سلمة : أن لعائشة مني شعبةً مانزلها مني أحد فلما تزوج أمُّ سلمة ، سُئِلَ الرسول فقيل : يارسول الله ، مافعلة الشعبة ؟

فسكت رسول الله ، فعُرِفَ أن أمُّ سَلَمَة قد حظيت لديهِ بحظٍ وافرٍ ، وشغلت من قلبه مكاناً[٤] .

وقد أُختُلِفَ في سنة وفاتها ، فقد قيل توفيت سنة إحدى وخمسين ، وقيل إحدى قبل احى وستين ومنهم من يقول أنها توفيت في خلافة يزيد بن معاوية ، وكانت خلافته

---

(١) ينظر الطبقات : لابن سعد ، ٦٠/٨-٦١ . ينظر الإصابة : للعسقلاني ، ٢٢١/٨-٢٢٢ ، ينظر تاريخ الطبري ، ٦٠٣/١١ .
(٢) ينظر الطبقات ، ٦٣/٨ .
(٣) ينظر نساء لهن في التاريخ الإسلامي نصيب : علي إبراهيم حسن ، ص٣٨ .
(٤) ينظر أم المساكين وأم سَلَمَة : بإشراف محمد أحمد برانق ، ص١٩ .

في أواخر سنة ستين ، وهي من آخر أُمهات المؤمنين موتاً ، وكان لها يوم ماتت أربعٍ وثمانون سنة(١) .

كتابُ السيدة أمُّ سلَمة الى عائشة

كانت السيدة عائشة قد خرجت الى مكة للحجّ في العام الذي قُتلَ فيه عثمان ، فلَمّا قَضتْ حجّها ، بَلغها وهي عائدة مقتل عثمان ، فارتَّدتْ الى مكة ن وأزمعتْ أن تطلب بدمهِ ، وجاءتْ الى السيدة أمُّ سلمة زوج رسول الله (ﷺ) - وكانت أمُّ سلمة بمكة في هذا العام - تغْريها بالخروج معها للطلب بدم عثمان ، فأبتْ أن تُجيبها ، وأظهرتْ موالاة عليّ (□) ، ونصرتهِ .

فكتبت الى السيدة عائشة إذ عزمت على الخروج الى البصرة(٢) :

أمّا بعد(٣) : فإنكِ سُدّة(٤) بين رسول الله وبين أُمتّه ، وحجابك مضروبٌ على حُرمتهِ(٥) ، قد جمع القرآن الكريم ذيلكِ ، فلا تندحيه(٦) ، وسَكن عقيدتكِ(٧) ، فلا تُصحِرِيها ، الله من وراءِ هذه الأمّة(٨) ، قد علم رسول الله مكانكِ ، لو أراد أن يعهد إليكِ ، وقد عَلمتِ(٩) أن عمود الدين لايثبت(١٠) بالنساء إن مال ، ولايُرْأبُ بهنّ إنْ انصدع(١١) ، حُمَادَيات النساء(١٢) غض الأبصار(١٣) ، وضمُّ الذيول(١٤) ، ماكنت قائلة لرسول الله (ﷺ) لو عارَضَكِ بأطرافِ الجبال والفلواتِ(١٥) ، على قعودٍ من الإبل(١٦) ، من منهلٍ الى منهل(١٧) ، إن بعين الله مهواكِ ، وعلى رسول الله (ﷺ)

---

(١) ينظر الطبقات ،٦٧/٨ ، الإصابة ،٢٢٥/٨ .

(٢) الإمامة والسياسة : لابن قتيبة الدينوري ، ٥٥/١ . جمهرة رسائل العرب : أحمد زكي صفوت ، ٣٥٣/١-٣٥٦ .

(٣) في جمهرة الرسائل يسبقها : ((من أمّ سلمة زوج النبي (ﷺ) الى عائشة أمُّ المؤمنين : سلامٌ عليكِ فإني أحمَدُ إليكِ اللهَ الذي لاإله إلاّهو ، ....

(٤) السدّة : الباب ، والمعنى . أنتِ باب بين رسول الله وبين أمتّهِ ، فمتى أُصيَب ذلك الباب بشيء ، فقد دُخِلَ على رسول الله في حرمهِ وحوزتهِ واستُبيحَ حِمَاهُ .

(٥) الحُرمة : مالايحلَّ انتهاكهُ .

(٦) لاتندحيه : أي لاتفتحيه ولاتوسعيه بالحركة وخروجكِ الى البصرة .

(٧) في جمهرة الرسائل : ... عُقيراكِ ... ، والعقيرة : الصوت ، وتصحريها ترفعيها .

(٨) أي محيط بهم وحافظ لهم .

(٩) في جمهرة الرسائل : .... لو عَلِمَ رسول الله (ﷺ) أنّ النساء يحتمِلنَ الجهاد عَهِدَ إليكِ ، عُلْتِ ! بل قد نهاكِ عن الفُرطة في البلاد .

(١٠) في جمهرة الرسائل : ... لايُثابُ ....

(١١) رأب الصدع : أصلَحَهُ ، والصدع : الشق .

(١٢) حُماديات : جمع حُمادي أي محَامِدُ النساء .

(١٣) في جمهرة الرسائل : غض الأطراف ، ويعقبها : ... وخفضُ الأصوات ، وخَفَر الأعراض ، ....

(١٤) في جمهرة الرسائل ، يعقبها : ... وقِصرُ الوَهَازةَ ...، (أي قصر الخطى)

(١٥) في جمهرة الرسائل : ... ببعض الفلوات .

(١٦) في جمهرة الرسائل : ناصَّةً قعُوداً ...

(١٧) في جمهرة الرسائل ، يعقبها ، الآتي : ....قد وجَّهْتِ سِدَا فته ، وتركتِ عُهَّيدَاهُ ، إنَّ بعينِ الله

تردين ، وقد هتكت حجابهِ الذي ضرب الله عليك ، وتركت عهيداه . ولو أتيتُ الذي تريدين ، ثم قيل لي إدخلي الجنة لاستحييت إن ألقى الله هاتكةً حجاباً قد ضَربهُ عليّ ، فاجعلي حجابكِ الذي ضُربَ عليكِ حصنكِ ، فابغيه منزلاً لكِ حتى تلقيه ، فإنّ أطوع ماتكونين إذا مالزمته ، وأنصح ماتكونين إذا ماقعدتِ فيه ، ولو ذكّرتكِ كلاماً قالهُ رسول الله (ﷺ) لنهشتني نهش الحية ، والسلام .

فكتبت إليها السيدة عائشة تجيبها :

((ما أقبلني لوعظكِ ، وأعلمني بنصحكِ ، وليس مسيري على ماتظنين ، ولنعم المطلع مطلع فَزَعَتْ فيهِ إليّ فِئتان مُتناجزتان ، فإنّ أقدر ففي غير حرج ، وإن أحرج مالي مالا غنى بي عن الإزدياد منه ، والسلام))[1] .

نائلة بنت الفرافصة

وهي نائلة بنت الفرافصة بن الأحوص الكلبية ، أبوها سيد بني كلب ، وزوجها الخليفة الراشد الثالث عثمان بن عفان ، إذ كان سعيد بن العاص قد تزوج أختها هند بنت الفرافصة ، فأرسل إليه عثمان بأن يصفها لهُ ، فكتب إليه يصفها قائلاً : ((أما بعد فإن نسبها إنها بنت الفرافصة ابن الأحوص وجمالها إنّها بيضاء مديدة)) فطلب منه عثمان أن يخطب لهُ أُختها نائلة[2] .

فولدت لهُ مريم بنت عثمان ، وقيل ولدت لهُ عنبسة ،وكان لهُ منها أيضاً ابنة تدعى أُم البنين[3] .

وقد كانت نائلة مثالاً للزوجة الوفية ، فقد دافعتْ عن زوجها عثمان دفاع الإبطال ، لمّا تبادروهُ خصمهُ بالسيوف ، إذ ألقت بنفسها عليه لتُحيلَ بينه وبينهم ، ولمّا ضربوه بالسيف أمسكتهُ بيدها فحزَّ أصابعها ، ومضى السيف في بطن الخليفة فقتلهُ[4] ،

مهواكِ ، وعلى رسوله تَردينَ ، وأُقسِم لو سِرْتُ مَسيَركِ هذا ثم قيل لي : ياأمَّ سَلمة : إدخُلي الفِردوس ، لاستحييتُ أن ألقى محمداً (ﷺ) هاتِكةً حجاباً قد ضَربهُ عليَّ .

إجعلي بيتكِ حصنكِ ، ووقاعة السِّتر قبركِ ، حتى تَلقيه وأنتِ على تلك ، أَطوعُ ماتكونين لله إذا لزمتهِ ، وأنصَرُ ماتكونين للدين ماحللتِ فيه ، ولو ذكّرتُكِ قولاً من رسول الله (ﷺ) تعرفينهُ ، لنُهشتِ بِهِ نهشَ الرَّقشاءِ المُطرِقة ، والسلام .

(١) الإمامة والسياسة ، ٥٥/١ ، وفي جمهرة رسائل العرب ، ٣٥٦/١-٣٥٧

أجابتها السيدة عائشة :

((من عائشة أُمُّ المؤمنين الى أُمّ سَلَمَة :

سلامٌ عليكِ فإني أحمدُ إليكِ اللهَ الذي لاإله إلاّ هو ، أما بعد : فما أقبَلني لِوعظكِ ، وأعرَفَني لحقِّ نصحكِ ، وماأنا بِعَميَةٍ عن رأيكِ ، وليس مَسِيري على ماتظنّين ، ولنعم المسيرُ مسيرٌ فزعت فيه إليّ فِئتان متناجزتان من المسلمين ، فإن أقعُد ففي غير حَرَجَ ، وإن أمضِ فإلى مالا بُدّ لي من الإزدياد منه ، والسلام)) .

(٢) ينظر المرأة العربية : عبد الله عفيفي ، ١١٧/٢ .

(٣) ينظر الكامل في التاريخ : لابن الأثير ، ٩٥/٣ .

(٤) ينظر نساء لهن في التاريخ الإسلامي نصيب : علي إبراهيم حسن ، ص٦٣ . وينظر الأعلام : للزركلي ، ٣٠٣/٨-٣٠٤ .

وعندما قُتِلَ عثمان بعثت نائلة الى معاوية بن أبي سفيان بأصابعها المقطعّة وقميص عثمان المخضَّب بالدماء ، وأوحت إليه أن يعلقها في المسجد الجامع في دمشق وأن يقرأ على المجتمعين كتابها الذي أرسلته إليه[1] .

كتاب نائلة الى معاوية

يروى أن نائلة بنت الفرافصة زوج عثمان ، بعثت الى معاوية بقميص عثمان مع النُّعمان بن بشير ، أو عبد الرحمن بن حاطب بن أبي بلتعة مع كتاب كتبتْ فيهِ[2] :

من نائلة بنت الفرافصة الى معاوية بن ابي سفيان .

أما بعدُ : فإني أذكركم بالله الذي أنعم عليكم وعلَّمكم الإسلام ، وهداكم من الضَّلالة ، وانقذكم من الكفر ونصركم على العدو ، وأسبغ النعمة[3] ، وأنشُدُكم[4] بالله وأُذكِّرَكُم حقَّهُ وحقَّ خليفته الذي لم تنصروه ، وبعَزْمة الله عليكم فإنه قال : { **وإنْ طائِفتانِ مِنَ المُؤمِنين اقتتلُوا فأصلِحُوا بينْهمَا فإنْ بَغَتْ إحداهُمَا عَلَى الأخْرَى فقَاتلُوا الّتي تَبْغِي حتّى تَفِيء إلى أمرِ اللهِ** }[5] . وإن أمير المؤمنين بُغِيَ عليه ، ولو لم يكن لهُ عليكم حقٌ الاّ حق الولاية ، ثم أتي اليه ماأتي لحقّ على كل مسلم يرجو أيامَ الله أن ينصره ، لقَدَمِهِ في الإسلام ، وحُسْن بلائِهِ ، وأنه أجاب داعِيَ الله ، وصدّق رسولَه ، والله اعلم بهِ إذ انتحبهُ فأعطاه شرف الدنيا ، وشرف الآخرة ، وإني أقُصُّ عليكم خبره لأني كنتُ مُشاهِدَةً أمَرهُ كلّه حتى قضى الله عليه .

إن أهل المدينة حصروه في دارِهِ يحرسونه ليلهم ونهارهم ، قياماً على أبوابه بسلاحِهم ، يمنعونه كل شيء قدروا عليه حتى منعوه الماء ، يحُضِرِونه الأذى ، ويقولون لهُ الإفك[6] ، فمكث هو ومن معه خمسين ليلةً وأهلُ مصر قد أسندوا أمرهم الى محمد بن أبي بكر ، وعمّار بن ياسر ، وكان عليٌّ مع الحضريّين من أهل المدينة ، ولم يقاتل مع أمير المؤمنين ولم ينصره ، ولم يأمر بالعدل الذي أمر الله تبارك وتعالى بهِ . فظلَّت تُقاتِل خُزاعةُ وسعد بن بكر ، وهُذَيل ، وطوائِفُ من مُزَينَة ، وجُهَينَة ، وأنباطِ[7] يَثربَ ، ولاأدري سائرهم . ولكنّي سَميَّتُ لكم الذين كانوا أشدَّ الناس عليه في أول أمرهِ وآخرهِ . ثم إنهُ رُمَي بالنَّبل والحجارة فَقُتِلَ مّمن كان في الدار

---

(١) ينظر المرأة العربية ،٢/ ١١٧ .

(٢) الأغاني ،٣٥١/١٦-٣٥٢ ، وينظر جمهرة رسائل العرب ، ٣٢٥/١-٣٢٨ .

(٣) في جمهرة الرسائل : ... وأسبغ عليكم النعمة ...، وأسبغ الله النعمة : أي أتمها .

(٤) نشدتُّكَ الله وبالله : أي استحلفتُكَ بهِ .

(٥) سورة الحجرات ، الآية : ٩ .

(٦) الإفك : الكذب .

(٧) الأنباط : جيل كانوا ينزلون بالبطائح بين العراقين .

ثلاثةُ نَفَر ، فأتَوهُ يصرُخون إليه ليأذَنَ لهم في القِتال ، فنهاهم عنه وأمرهم أن يردّوا عليهم نبلهم فردوها إليهم ، فلم يزدهم ذلك على القتال الاّ جرأة ، وفي الأمر إلاّ إغراءً . ثم أحرقوا باب الدار فجاءهم ثلاثة نفرٍ من أصحابهِ فقالوا : إن في المسجد ناساً يريدون أن يأخذوا أمر الناس بالعدل فاخرج الى المسجد حتى يأتوك . فانطلق فجلس فيه ساعةً وأسلِحَةُ القوم مُظِلَّةٌ عليه من كل ناحية ، ومارأى أحداً يَعدِلُ ، فدخل الدار وقد كان نفرٌ من قريش على عامَّتهم السلاح ، فلبِسَ دِرْعَه وقال لأصحابه : لولا أنتم مالبِسْتُ درعاً . فوثبَ عليه القومُ فكلّمهم ابنُ الزبير وأخذ عليهم ميثاقاً في صحيفةٍ وبعث بها الى عثمان : أنّ عليكم عهد الله وميثاقه ألاّ تغزوه بشيء ، فكلموه وتحرَّجوا فوضَع السلاح فلم يكن إلا وضعه حتى دخل عليه القومُ يقدُمهُم[١] ابن أبي بكر ، حتى أخذوا بلحيتهِ ودعوه باللَّقب[٢] ، فقال :

أنا عبد الله وخليفته . فضربوه على رأسهِ ثلاثَ ضَرَبات ، وطعنوهُ في صدرهِ ثلاثَ طَعنَات ، وضربوه على مقدّم الجبين فوق الأنف ضربةً أسرَعَتْ في العظم فسَقَطَتُ عليه وقد أثخنوه[٣] وبه حياةٌ وهم يريدون قَطعَ رأسه ليذهبوا به ، فأتتني بنت شيبة بن ربيعة فألقت نفسها معي عليه ، فَتُوُطِّأنَا[٤] وَطأً شديداً وعُرِّينَا من ثيابِنَا ، وحُرمْةُ أمير المؤمنين أعظم ، فقتلوه رحمة الله عليه في بيته ، وعلى فراشهِ ، وقد أرسلتُ إليكم بثوبهِ وعليه دَمُهُ ، وإنه والله لئن كان أثِمَ مَنْ قَتَلَهُ لمَا سَلِمَ مَنْ خَذَلهُ ، فانظروا أين أنتم من الله جلّ وعزّ ، فإنا نشكي[٥] مامَسَّنا إليه ، ونستنصر وليّه وصالح عباده[٦] ، ورحمة الله على عثمان ، ولَعَن الله منْ قتلَهُ وصرعَهُمْ في الدنيا مَصارِعَ الخِزي والمذلّة ، وشَفَى منهم الصدور .

كتاب عائشة بنت أبي بكر الى أهل الكوفة

كتبت السيدة عائشة الى أهل الكوفة مع رسولِهم[٧] :

أمّا بعدُ فإني أذكّركم الله عزّ وجلّ والإسلام ، أقيموا كتاب الله بإقامة مافيه ، أتَّقوا الله واعتَصمِوا بحبلهِ ، وكونوا مع كتابهِ ، فإنّا قدِمنا البصرة فدعوناهم الى إقامةِ كتاب الله بإقامة حُدوده ، فأجابنا الصالحون إلى ذلك ، واستقبَلنَا مَنْ لاخَيَر فيه بالسلاح ، وقالوا : لنُتبِعَنّكم عثمانَ ، لَيزيدوا الحدودَ

---

(١) قدُمهُم : أي تقدَّمهُم .
(٢) اللقب الذي تشير إليه هو ((نعثل)) كجعفر ، وهو أسم رجل من أهل مصر ، كان طويل اللحية قيل : إنه كان يشبه عثمان ، فكان شاتموه يسمونه نعثلاً تشبيهاً بذلك الرجل .
(٣) أثخنه : أي أوهنه بالجراح وأضعفه .
(٤) وطأَهُ : داسَهُ .
(٥) في جمهرة الرسائل : ... نتشكّى .
(٦) في جمهرة الرسائل : ... وصالِحِي عباده ...
(٧) تاريخ الطبري ، ٤٧٢/٤- ٤٧٤ ، وينظر جمهرة رسائل العرب ، ٣٦٧/١ - ٣٦٩ .

تعطيلاً ، فعانَدُوا فشهدوا علينا بالكفر وقالوا لنا الُمنكَر ، فقرأنا عليهم : { **أَلَمْ تَرَ إلى الذَّينَ أُتُوا نَصِيباً مِنَ الكِتَاب يُدعَوْنَ إلى كِتَابِ اللهِ ليحْكُمَ بَيْنهُمْ** }[١] . فأذعن لي بعضُهم ، واختَلَفوا بينهم ، فتركناهم وذلك ، فلم يمنع ذلك من كان منهم على رأيِهِ الأول من وَضْع السلاح في أصحابي ، وعَزَمَ عليهم عثمان بن حُنَيف إلاّ قاتلوني حتى منعني الله عزّوجلّ بالصّالحين ، فردّ كيدهم في نحورهم ، فمكثنا سِتّاً وعشرين ليلةً ندعوهم إلى كتاب الله وإقامة حُدوده - وهو حَقنُ الدّماء أن تُهَرَاق[٢] دون من قد حَلّ دمُه - فأبوا واحتجُّوا بأشياءَ ، فاصطلَحنَا عليها ، فخافوا وغدروا وخَانُوا ، فجمع الله عزّ وجلّ لعثمان (رض) ثأرهم ، فأقادهم فلم يُفلِت منهم إلاّ رجلٌ ، وأرْدَ أنا[٣] الله ، ومنَعنَا منهم بعُمَيْربن مَرْثَد ، ومَرْثَد بن قيس ، ونفرٌمن قيس ، ونفرٌمن الرِّباب والأزْد . فألزَمُوا الرِّضا إلاّعن قَتَلةِ عثمان بن عفان حتى يأخذ الله حقَّه ، ولاتُخاصِموا الخائنين ولاتمنعوهم ، ولاترضَوا بذُوِيِّ حُدُودِ الله فتكونوا من الظالمين . فكتبتُ الى رجالٍ بأسمائهم . فثبَّطُوا[٤] الناس عن منع هؤلاء القوم ونُصرتهم ، وأجلسوا في بيوتكم ، فإنَّ هؤلاء القوم لم يرضَوا بما صنعوا بعثمان بن عفان (رض) ، وفرّقوا بين جماعة الأمة ، وخالفَوا الكتاب والسُنّة ، حتى شهدوا علينا - فيما أمرناهم بهِ ، وحثثناهم عليه من إقامة كتاب الله وإقامة حدوده - بالكفر ، وقالوا لنا المنكر ، فأنكر ذلك الصّالحون ، وعظّموا ماقالوا ، وقالوا : مارضيتم أنْ قتلتم الإمام حتى خرجتم على زوجة نبيّكم (ﷺ) ، أنْ أمَرَتكم بالحقّ لتقتلوها وأصحابَ رسول الله (ﷺ) ، وأئمة المسلمين : فعزموا وعثمان بن حُنيف معهم على مَنْ أطاعهم من جُهَّال الناس وغَوغائهم على زُطِّهم وسَيابجهم[٥] ، فُلذْنا منهم بطائفة من الفُسْطاط[٦] ، فكان ذلك الدّأب ستة وعشرينَ يوماً ندعوهم الى الحقّ وألاّ يَحوُلوا بيننا وبين الحقّ ، فغَدَروُا وخانوا فلم نُقايسْهُم[٧] ، وأحتجُّوا ببيعةِ طلحة والزُّبير ، فأبرَدُوا بريداً فجاءَهُم بالحجّة فلم يعرفوا الحقّ ، ولم يصبروا عليه ، فغَادَوْني في الغَلَس[٨] ليقتلوني ، والذي يحاربهم غيري ، فلم يبرحوا حتى بلغوا سُدَّةَ[٩] بيتي ومعهم هادٍ يهديهم إليّ ، فوجدوا نَفَراً على باب بيتي ، منهم عُمَيْر بن مَرْثَد ، ومَرْثَد بن قيس ، ويزيد بن عبد الله بن مَرْثَد ، ونفرٌ من قيس ، ونفرٌ

---

(١) سورة آل عمران ، الآية :٢٣ .
(٢) هَراق الماء يهريقه بفتح الهاء ، هِراقة بالكسر ، وأصلهُ أراق .
(٣) أردأه : أعانه ، والردء بالكسر : العون .
(٤) في جمهرة الرسائل ، يسبقها : ((أما بعد ...
(٥) في جمهرة الرسائل : ... وسَبَابجتهم ....
(٦) الفسطاط : مجتمع أهل الكورة .
(٧) لم نقايسهم : أي لم نجُارهِم ، ونقابل المثل بالمثل .
(٨) الغلس : ظلمة آخر الليل . وغاداهُ : باكرَهُ .
(٩) السَدَّة : كالظلة على الباب لتقي الباب من المطر ، وقيل : هي الباب نفسه .

من الرّباب والأزْد ، فدارت عليهم الرِّحَى ، فأطاف[١] بهم المسلمون فقتلوهم ، وجمع الله عزّ وجلّ كلمة أهل البصرة على ماأجمع عليه الزُّبير وطلحة ، فإذا قَتَلْنا بثأرنا وسِعَنا العذُر . وكانت الوقعة لخمس ليالٍ بقين من ربيع الآخر سنة ستٍ وثلاثين ، وكتب عُبيد بن كعب في ُجمادي .

المبحث الثالث : الوصف

إن الإبداع في التفصيل والتحليل ، وعذوبة الكلام ، ودِقَّة الوصف التي تثير السحر في النفوس ، وتُعظِّمَ الإقناع في الفكر ، إستطاعت أن تُظهِرهُ المرأة في وصفها .

فلأن إعتزَّ رجالُ العرب بقومٍ منهم من أصحاب القول وفرسان البيان ، فإن للنساءِ أنَ يعتززِنَ بفريقٍ منهُنَّ لايقلُّ عن اُولئك شأناً بل قد يعجز اُولئك عن بلوغ مابلغته إعرابية في الوصف مثل (أُمُّ معبد) التي وصفت الرسول (ﷺ) بكلامٍ ينمُّ عن قوة البلاغة وسحر البيان إذ أنّ للمرأة سمةً خاصة تُميِّزُها عَمّا يجتمع عليه الأُدباء من صفات فهي بِرِقةِ عاطفتها ورهافة حِسِّها تُضفي على أدبها تعبيراً آخر فضلاً عن التعبير الكلامي فيأتي أكثر جودة ، وفي ذلك يقول علي بن أبي طالب (ؑ) عندما سُئِلَ كيف لم يوصف النبي (ﷺ) كما وصفته أُمُّ معبد ؟ فقال : ((لأن النساء يصفن بأهوائِهِنْ فَيجِدْنَ في صفاتِهِن))[٢] .

أُمُّ معبَد الخُزاعيّة

وأسمُها عاتكة بنت خالد بن خُليف بن مُنقذ بن ربيعة الخزاعية ، وزوجها هو ابن عمِّها تميم بن عبد العزّي بن منقذ بن ربيعة من خزاعة ، وكان منزلها بقُدَيْد وهي التي نزل عندها رسول الله (ﷺ) وأصحابه ، حين هاجر الى المدينة[٣] .

وقد كانت إمرأةً برزةً جلدةً تحتبي بفناء الكعبة ثم تُسقِي وتُطعِم فسألوها لحماً وتمراً ليشتروه منها فلم يصيبوا عندها شيئاً من ذلك وكان القوم مرملين مسنتين[٤] فنظر رسول الله (ﷺ) الى شاةٍ في كسر الخيمة ، فقال : ماهذه ياأمَّ معبد ؟ قالت : شاةٌ خلَّفها الجهد عن الغنم ، قال : هل بها من لبن ؟ قالت : هي أجهدُ من ذلك ، قال : أتأذنين لي ان أحلبها ؟ قالت : بأَبي أنتَ وأُمي ، نعم إن رأيت بها من حلب فاحلبها فدعا رسول الله (ﷺ) بالشَّاة ، فمسح ضرعها ، وسمَّى الله ، ودعا لها في شاتِها ، فتفاجَّت عليه ، ودرَّت، واجترَّتْ [٥] .

---

(١) أطاف بهم : أي أحاط بهم .

(٢) بلاغات النساء ، ص٤٦ . وينظر أعلام النساء ، ٦٢/٥-٦٣ .

(٣) طبقات ابن سعد ، ٢١١/٨ .

(٤) مرملين مسنتين : الذين ذهب زادهم ، وقد دخلوا في الشتاء ، والشتاء هو وقت الجدب عند العرب .

(٥) تاريخ الإسلام وطبقات المشاهير والأعلام : للذهبي ، ٢٥٥/١ .

وفي ذلك تقول أمُّ معبد[1] :طلع علينا أربعة على راحلتين ، فنزلوا بي فجئتُ رسول الله (ﷺ) بشاةٍ ، أُريدُ أن أذبحها ، فإذا هي ذات دُرّ فأدنيتها منه فلمس ضرعها ، فقال : لاتذبحيها ، فأرسلتها ، قالت : وجئتُ بأُخرى فذبحتها ، فطحنت لهم ، فأكل هو وأصحابه ، قالت : وهم ابن أبي قُحافة ، ومولى ابن أبي قُحافة ، وإبن أُريقط وهو على شركهِ ، قالت : فتغدّى رسول الله منها وأصحابه وسفّرتهم منها ، ماوسِعَتْ سُفرتهم ، وبقي عندنا لحمها أو أكثره ، فبقيت الشاة التي لمَسَ رسول الله ضرعها عندنا ، حتى كان زمان الرمادة ، زمان عمر بن الخطاب ، وهي سنة ثماني عشرة من الهجرة قالت : وكُنّا نحلبها صَبوحاً وغَبوقاً ومافي الأرض قليلٌ ولا كثير ، وكانت أمُّ معبد يومئذٍ مُسلِمَة[2] .

وصف أمُّ معبد رسول الله (ﷺ)

لمّا جاء أبو معبد ، وهو يسوق أعنزاً عجافاً هزالاً ، مُخُّهُنَّ قليل ، وقد رأى اللبن عجب وقال : من أين هذا يا أمَّ معبد ، والشاةُ عازبة حيال ، ولا حلوبة في البيت ، فقالت ، لا والله ، ألا أنّهُ مَرّ بنا رجلٌ مُبارك ، كان من حديثهِ كذا وكذا ، قال : صِفيهِ لي ياأمَّ معبد ، فقالت[3] : رأيتُ رجلاً ظاهر الوضاءة أبلج الوجه ، حسن الخلق لم تِعبْهُ ثجلة ، ولم تُزرِيه صقلة[4] ، وسيماً ، قسيماً ، في عينيه دعج ، وفي أشفارهِ وطف ، وفي صوتهِ صحل ، وفي عنقه سطع وفي لحيته كثاثة[5] ، أحور ، أكحل[6] أزج ، أقرن إن صمت فعليه الوقار ، وإن تكلم سما وعلاهُ البهاء ، فهو[7] أجمل الناس ، وأبهاه من بعيد ، وأحلاهُ وأحسنَهُ من قريب[8] ، حلو المنطق ، فَصِلٌ لانِزرٌ ولاهذِرٌ ، كأن منطقهُ خرزات نُظُم ينحدرن ، ربعة لاتشنؤهُ من طول ، ولاتقتحِمَهُ العين من قُصرٍ[9] ، غصنٌ بين غُصنين ، فهو أنظرُ الثلاثةِ منظراً وأحسنَهُمْ قَدّاً[10] ، لهُ رُفَقَاءُ يَحُفّون بهِ ، إنْ قال أنصتوا لقولهِ ، وإنْ أمرَ تبادَرُوا الى أمرهِ ، محفودٌ محشود ، لاعابسٌ ولامُفَنِّد ، صلى الله عليه وسلم .

(١) طبقات ابن سعد ،٢١١/٨-٢١٢ .
(٢) ويقول ابن سعد إنها في رواية أُخرى ، قدمت بعد ذلك وأسلمت وبايعت .
(٣) بلاغات النساء ، ص٤٤ ، تاريخ الذهبي ، ٢٥٥/١ .
(٤) في تاريخ الذهبي : ... ولم تزرِ بهِ صعلة ....
(٥) في تاريخ الذهبي : ... كثافة ...
(٦) في تاريخ الذهبي ، بحذف : أحور أكحل .
(٧) في تاريخ الذهبي ، بحذف : فهو
(٨) في تاريخ الذهبي : ... وأحسنهُ وأحلاهُ ....
(٩) في تاريخ الذهبي : ... ولاتقتحمهُ عينٌ ...
(١٠) في تاريخ الذهبي : .... قدراً ....

المبحث الرابع : النقد

كان النقد في الشعر والكلام المنثور والمحاورات من متممِّات ماجاء الإسلام لتهذيبهِ وتصفيتهِ ، وقد كان لثقافة المرأه الُحجازية وفي ظل أعتزاز الإسلام بها والحرية التي منحها إيّاها دورٌ متميزٌ في ذلك النقد، الذي يكشف عن براعتها ومعرفتها بمواقع البلاغة ، وضع الكلام في موضعه ، فقد روي أنّهُ دخل أبوالرجح الخزاعي الى فاطمة بنت الحسين عليهما السلام فأنشدها مرثيه في أبيها الحسين :

أجالت على عيني سحائبَ عبرةٍ ... فلم تصح بعد الدمع حتى ارمعلتِ

تبكي على آل النبي محمدٍ ... وما اكثرت في الدمع لا بل أقلَّتِ

اولئك قومٌ لم يشيموا سيوفهم ... وقد نكأت اعداءهم حين سلّتِ

وإنّ قتيل الطف من آل هاشمِ ... أذلّ رقاباً من قريش فذلّتِ

فقالت فاطمة : يا أبا الرجح هكذا تقول ؟ قال : فكيف أقول جعلني الله فداكِ ؟ قالت : قل ، أذلّ رقاب المسلمين فذلّتِ ، فقال : لأنشدها بعد اليوم إلاّ هكذا[١] فمن براعتها بمواقع الكلام أنها وجدت في قوله أذلّ رقاباً من قريش لاتُقال في مثل الحسين (□) الذي هو خليفة أبيه وجدِّهِ عليهم الصلاة والسلام ، وإنّما تُقال لرئيس من رؤساء قريش ومشائخهم أمّا قولها أذلَّ رقاب المسلمين فهو المناسب بهِ ، لان قتلهِ أذلّ رقاب جميع المسلمين كونهُ إمامهم وقائدهم الى الهُدَى .

وقد يبلغ من شأن المرأة في النقد أن يحتكم إليها الشعراء في المفاضلة بين أشعارهم ، ومن ذلك ماورويَ عن أوس بن غلفاء الهجيمي والعجير السلولي ومزاحم العقيلي والعباس بن يزيد بن الأسود الكندي وحميد بن ثور الهلالي إذ احتكموا الى ليلى الأخيلية في وصف القطاة ، فحكمت للعجير السلولي ، ويروى أنّها قالت :

ألا كلَّ ماقال الرواة وأنشدوا ... بها غير ماقال السلوليّ بَهرَجُ[٢]

وهذا إنْ دلّ على شيء فهو يدل على مكانة المرأة المسلمة ونمو شخصيتها الأدبية واستقلالها بسبب الثقافة والثقة التي نالتها بفضل الإسلام ، ففي أخريات أيام الخلفاء الراشدين وعصر بني أُميّة وقد ظهرت في الحجاز طائِفةٌ من الشعراء الغزليين منهم عمر بن أبي ربيعة ، وجميل

---

(١) فاطمة بنت الحسين (□) : جعفر النقدي ، ص٣٢ . وهي فاطمة بنت الحسين بن علي بن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف وأُمُّها أمّ اسحاق بنت طلحة تزوجها ابن عمها حسن بن حسن بن علي بن أبي طالب فولدت له عبد الله وابراهيم وحسناً وزينب ثم مات عنها فخلف عليها عبد الله بن عمرو بن عثمان بن عفان فولدت له القاسم ومحمداً ورقية فمات عنها . ينظر الطبقات ، لابن سعد ، ٣٤٧/٨-٣٤٨ .

(٢) الشعراء نقاداً : عبد الجبار المطّلبي ، ص٤١ .

وكُثير ، وعبد الله بن قيس الرقيّات ، وغيرهم ، تناقل الرواة والحُفّاظ شعرهم وجرى على ألسن الغواني فاستحسن الشباب هذا الشعر واستساغوه ، وفاضلوا بين كُثير وجميل وعمر في كثير من قصائدهم واستعذب الفتيات مايُقال فيهن ، حتى برغت تلك الظاهرة الفريدة في التجمع النسائي التي لم يشهدها تاريخ النقد الأدبي العربي حتى في أبهى عصورهُ .

حيث توجه عددٌ من النسوة من صفوة نساء قريش وبعض نساء العرب الأخريات الى نقد شعر الغزل ، بل كُنّ يجلسنَ ليتحاكم الشعراء إليهن ومنهن :

سكينة بنت الحسين (□)

هي سكينة بنت الحسين بن علي بن أبي طالب بن عبد المطلب وأمُّها الرباب بنت امرىء القيس بن عديّ بن أوس ، تزوجت سكينة عِدّة أزواج ، مصعب بن الزبير بن العوّام إبتكرها[1] فولدت لَهُ فاطمة ثم قُتِلَ عنها فخلف عليها عبد الله بن عثمان بن عبد الله بن حكيم فولدت لَهُ عثمان الذي يُقال لَهُ قُرين وحكيماً وربيحة فهلك عنها فخلف عليها زيد بن عمرو بن عثمان بن عفان فهلك عنها فخلف عليها إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف الزهري[2] كانت ولّتهُ نفسها فتزوَّجها فأقامت مَعَهُ ثلاثة أشهر فكتب هشام بن عبد الملك الى واليه بالمدينة أن فرِّق بينهما ففرَّق بينهما وقال بعض أهل العلم هلك عنها زيد بن عمرو بن عثمان وتزوجها الأصبغ بن عبد العزيز بن مروان[3] .

---

(١) جاء في أعلام النساء ، ٦١٦/٢ أنّ عبد الله بن الحسن بن علي ابن عم سكينة ، هو أبو عذرتها .

ويقول عبد الرزاق المقرم في كتابهِ السيدة سكينة أبنة الإمام الشهيد أبي عبد الله الحسين (□) ، ص١١٠ : ((على أن علماء النسب والتاريخ يشهدون بأن زوجهاالأول عبد الله الأكبر ابن الإمام الحسن المجتبى سيد شباب أهل الجنة وهو أخو القاسم ، أمهما ((رملة)) أُستُشهدَ يوم الطف قبل القاسم)) . وقد ورد في كتابهِ مجموعة من العلماء النسّابة وكتبهم بصفحاتها .

(٢) وفي زواج سكينة من إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف تقول بنت الشاطيء في كتابها سكينة بنت الحسين ، ص٢١٤-٢١٦ ، بعد أن دحضت ماجاء بهِ أبو الفرج الأصفهاني في كتابهِ الأغاني من إفتراء بحق سكينة وذلك أنّها كانت تعقد مجالس الغناء والطرب تحت عنوان (كلمة يجب أن تُقال) فتقول : ((لاأدع الحديث عن بنت الحسين ، في أخبار الرواة والقصّاصين ، دون أن أُسَجِل هنا كلمة الشيعة في كل هذا الذي قيل عنها ونُسِّب إليها)) ، ثم تقول ناكرةً زواج سكينة من إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف معتبرة إيّاه أحد العوامل التي تنفي عن سكينة ماجاء به الأصفهاني بعد أن فصّلت القول عن العوامل الأخرى بالأدلة والبراهين ، فتقول : ((ثم حكاية إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف حين خطب سكينة ، فأنكر أهلوها وغضبوا وكانت معركة - رواها صاحب الأغاني نفسه - هذهِ الحكاية تكفي وحدها ، لدحض فرية مجالس الطرب التي كانت سكينة (رض) في دارها وتأذن إذناً عاماً لأهل المدينة ، وقومها الأطياب المناجيد الغيارى ساكتون)) .

(٣) ينظر طبقات ابن سعد ، ٣٤٨/٨-٣٤٩ . وأعلام النساء ، ٢/ ٦٠٢-٦١٦ .

واسم سكينة آمنة وقيل أمينة وقيل أُميمة ، أمّا سكينة فهو لقبٌ لها[١] .

كانت سيدة جليلة عفيفة برزة من النساء ذات نبل ومقام رفيع تُجالِس الأجِلّة من قريش ، وكانت عالمة أديبة يجتمع إليها الشعراء والأُدباء فيحتكمون إليها فيما أنتجتهُ قرائحهم ، فيجلسون بحيث تراهم ولايرونها وتسمع كلامهم فتفاضل بينهم وتناقشهم[٢] .

---

(١) ينظر نساء شهيرات : مبارك إبراهيم ، ص٩ .

(٢) وعن مجالس سكينة الأدبية يقول توفيق الفكيكي في كتابه سكينة بنت الحسين ، ص١١٥-١١٧ : ((حدثونا عن مجالس أدبية كانت تُعقَد في دارها تحت إشرافها فكانت تجلس للأديبات والأُدباء بحيث تراهم ولايرونها وتسمع كلامهم ولايسمعون كلامها ، ثم تنيب عنها إحدى جواريها الأديبات البارعات برواية الشعر ، لتؤدي عنها فصل الخصومات الأدبية وتقدم للبارزين منهم الجوائز . حدثنا عن هذه المجالس البريئة صاحب الأغاني كما تحدث بها مدونو الأدب غيره لكن طريقهم واحد فيما نرى ولانريد أن نقف منها موقف المُنكِر ، كما وإنّا لانريد أن نقف موقف المُثبِت لها ، لأنها لاتزال في حاجة الى التمحيص والتحقيق فلا مساغ لنقلها كما هي ، لأن صاحب الأغاني كان مسرفاً الإسراف كله في إتّباع شهواته وميوله بعيداً عن التحقيق العلمي ، متجهاً الى ناحية خاصة من وزر الإثم والغواية ، لذلك ظهر التناقض في رواياته وبدا فيها التناكر ......

ونحن في هذا الكتيب لم نقصد الى الكلام عن السيدة سكينة من جميع نواحيها لنقوم بتحقيق هذهِ المجالس الأدبية وإن كان ليس فيها مايشين مقام السيدة الجليلة أو يحط من مقامها السامي الرفيع فانها اختصَّت من بين العقائل الهاشميات بالادب وفنونه والحكمة البارعة لأداء رسالتها الأدبية وخدمة لغة القرآن كما أختصّت العقيلة عمتها زينب الكبرى بالحكمة السياسية والأدب السياسي لمقاومة السياسة الشاذة بعد حادثة الطف الموجعة ... ومهما يكن من شيء فان هذه المجالس المنسوبة إليها سواء صحت أم لم تصح فانها تعطينا صورة واضحة عن أدبها السامي واطّلاعها على مذاهب الشعر وفنون الكلام وتعمقها باللغة وأسرارها .

ولولا مكانتها من قريش ، ومنزلتها من البيت الهاشمي وجمال أدبها ، ولو لم تكن سيدة الأدباء في عصرها ، وأعلاهم كعباً في فن القول وأكثرهم إطّلاعاً على مذاهب الشعر والحكمة وأوسعهم علماً بالكلام المعجز ، وأمهرهم بأفانين اللغة لما دان لها شيوخ الأدب والشعر ، أو على أقل تقدير لما استطاع الرواة أن يفرضوا على فحول شعراء عصرها أمثال الفرزدق . وجرير وكُثّير وجميل ونصيب والأحوص الخضوع لحكمها)) . ☜

☜ وعن إبتعاد الأصفهاني عن التحقيق العلمي وإسرافهِ في إتّباع ميولهِ ماتحدَّثَ بِهِ عبد الرزاق المقرّم في كتابهِ السيدة سكينة ، ص١٠٥-١٠٦ . مُتَّخِذاً من رواية الأصفهاني عن حديث (الصورين) دليلاً على ذلك ، إذ قال :

((ويتحدث أبو الفرج عن مجلس ((الصورين)) معتمداً على رواية مصعب الزبيري الذي عرفت بغضهُ لأهل بيت النبي (ﷺ) وروايتهُ فيما يحط من مقامهم)) ثم يتطرق الى ذكر الأبيات الشعرية التي نقلها الأصفهاني وحديث النسوة اللواتي إجتمعن فذكرن عمر بن أبي ربيعة وكان بينهن أمراة تدعى (سكينة) فيقول :

((هذا نص ماذكره في الأغاني وصفق لها غيره ممن أراد الطعن في مقام البيت العلوي ونسب (سكينة) الموجودة في الحديث الى الحسين (□) من دون أيةِ قرينة تشهد بهذه النسبة فان العبارة الموجودة خالية عن نسبتها الى الحسين (□) فمن أين صح الحكم على هذه المسماة بهذا الاسم انها من هذا البيت العلوي فلعلها سكينة ابنة خالد بن مصعب بن الزبير الذي يروي أبو الفرج

توفيت السيدة سكينة بنت الحسين بالمدينة لخمس خلون من ربيع الأول سنة ١١٧ هـ وعلى المدينة خالد بن عبد الله بن الحارث في خلافة هشام . وقيل توفيت بمكة في ٥ ربيع الأول سنة ١٢٦هـ[١] .

نقد سكينة

يحدثنا صاحب الأغاني أنّ في إحدى مجالس النقد فَضَّلتَ سكينة أبياتاً من الغزل للشاعر جرير على أخرى للفرزدق إذِ قال : ((خرج الفرزدق حاجّاً ، فلما قضى حجه عدل الى المدينة فدخل الى سكينة بنت الحسين ، فسلّم . فقالت له : يافرزدق من أشعر الناس ؟
قال : أنا . قالت : كذبت ! أشعر منك الذي يقول :

بنفسي من تجنّبه عزيز علي ومن زيارته لِمَام
ومن أمسي وأصبح لاأراهُ ويطرقني إذا هَجِعَ النِيَام

فقال : أما والله لوأذنِت لي لأسمعتُكِ أحسن منه . فقالت : أقيموه ، فأخرج ثم عاد إليها من الغد))[٢] .
ففضّلت عليه في المجلس الثاني جريراً أيضاً بقوله في الرثاء :

لولا الحياء لعادني استعبارُ ولزرت قبركِ ، والحبيب يُزَارُ
لايلبث القرناء أن يتفرقوا ليل بكر عليهم ونهَارُ
كانت إذا هجرالضجيج فراشها كتم الحديث ، وعقّتْ الأسرَارُ

ولمّا عاد إليها في اليوم الثالث قالت لَهُ مفضلةً جريراً أيضاً في الغزل : صاحبك أشعر منك حيث يقول :

إنّ العيون التي في طرفها مرضٌ قتلتنا ثم لم يحيينَ قتلانا
يصرعنَ ذا الُلبِ حتى لاحَراكَ وهُنّ أضعفُ خلق الله أركانا[٣]

اجتماعها مع عمر بن أبي ربيعة والجواري يغنين لهم أو الأخرى وهي سكينة إبنة مصعب التي امها فاطمة بنت عبد الله بن السائب)) .
ثم قال : ((وليس في الأبيات اسم سكينة كما ليس في نص الحديث نسبتها الى الحسين (□) والباحث في الأغاني لم يجد التصريح بسكينة ابنة الحسين في شعر عمر بن ابي ربيعة أصلاً وكلما وجد لفظ (سكين) أو (سكينة) لم يحصل معه الجزم بأنها إبنة الحسين خصوصاً بعد أن عرفنا من نص الأغاني ان التي تجتمع مع ابن ابي ربيعة هي سكينة بنت خالد بن مصعب الزبيري)) .
(١) أعلام النساء ، ٦٢٢/٢ .
(٢) الأغاني ، ٣٦٨/١٠-٣٦٩ .
(٣) ينظر الأغاني ، ٣٦٩/١٠.

وقد كشفت سكينة عن رغبة الفرزدق المريضة بالتشهير والتشقّي في بعض أبياتِهِ وأدركت أن نُظُم مثل هذه الفضائح لاتدخل في باب الشعر الغزلي وإنما هي تُهمٌ وعيوب عُقِدَت بأوزان وقوافٍ ، ولعل ذلك مُتأتٍ من خشونة طبع الشاعر البدوي وصراحتِهِ القاسية ، فقد كان الفرزدق من نمط الرجال الذين يتخذون من ضعف المرأة أو عطفها عليهم وسيلةً للتشهير بها والسخرية منها ولذلك فقد كان يُقابَلُ بالجفاء والرفض[1] حيث سألتهُ وأنت القائل :

هما دلتاني من ثمانين قامةً   كما انحطّ بازٌ أقتم الريشِ كاسرهُ

فلما استوت رجلاي في الأرضِ   أحيٌ يرجّى أم قتيلٌ نُحاذِرهُ

قالت :

قال : نعم ، فقالت : سوءةً لك ، فما دعاك الى إفشاء سرِّها وسرِّك هَلاّ سترتَ عليها وعلى نفسك ؟ فضربَ بيدهِ على جبهتِهِ وقال : نعم فسوءةً لي[2] .

وفي نصٍ آخر : ((ما أحسنت ، هتكت ستركما ، وقد ستر الله عليكما)) وروي القول أيضاً : ((سوأةً لك ، أما استحيت من الفحش تُظهرهُ في شعرك الا سترت عليك أفَسدتَ شعرك))[3] . ومن الواضح أن سكينة قد عالجت في قولها هذا قضيةً أدبيةً أخلاقية إبتعدت فيها عن أهانة المرأة أو التقليل من شأنها بعد أن عزّها الإسلام ورفع مكانتها ، إلاّ أنّ ذلك لم يمنع الناقدة من استحسان بعض غزلهِ البدوي الذي يدلّ على عاطفةٍ دفينةٍ وإحساسٍ متسامٍ غير صريح ، ففي أحد مجالسها مع الشعراء ، سألت جاريتها : ((أيكم الفرزدق ؟ فقال : هأنذا . قالت : أنت الذي يقول :

أبيت أُمنّي النفسَ أنْ سوفَ نلتقي   وهل هو مقدورٌ لنفسي لِقاؤُهَا

فإن ألقِهَا أو يجمع الدهرُ بيننا   ففيها شفاءُ النفسِ أو هو دَاؤُهَا

قال : نعم . قالت : قولك أحسن من منظرك ! وأنت القائل :

وَدعنني بإشارةٍ وتحيةٍ   وتركنني بين الديار قتيلا

لم أستطع ردَّ الجواب   عند الوداع وماشفينَ غليلا

لوْ كنتَ أملكهم إذن لم   حتى أُدِّع قلبي المخبولا

قال : نعم . قالت : أحسنت ، أحسن الله اليك))[4] .

وعلى الرغم من ان سكينة قد قبلت من جرير ماحرّمته الفرزدق من تقدير وإعجاب لأبياتِهِ الشعرية ، إلاّ أنّها كان لها رأيٌ آخر في أحد أبياتِهِ الذي عَدَّتهُ من

---

(١) ينظر المرأة في أُفُق الأدب العربي : داود سلّوم ، ص٦٣ .
(٢) ينظر الأغاني ، ١٧٠/١٦ .
(٣) الموشح : للمرزباني ، ص ٢٠١-٢٠٢ .
(٤) الأغاني ، ١٦٩/١٦ .

ضعف جرير وتعثُّره وربما كان لرأيها هذا الأثر في أن يوقف عند هذا البيت ويُشار إليه كثيراً في كتب النقد ففي مجلس من مجالس سكينة ، دخلت مولاتها ثم خرجت وقالت : أيّكم جرير ؟ فقال : هأنذا . قالت : أنت القائل :

سرت الهموم فبتن غيرَ ينام وأخو الهموم يدوم كلَّ مرامِ
ذم المنازل بعد منزلة اللوى والعيش بعد اولئك الايامِ
طرقتكِ صائدة القلوب وليس ذا حين الزيارة فارجعي بسلامِ
تجري السَّواك على أغرّ كأنه بردَ تحدر من متونِ غمامِ
لو كان عهدكِ كالذي حدثتني لوصلت ذاك فكان غير رمامِ

قال : نعم . قالت : سوءة لك ، جعلتها صائدة القلوب حتى إذا أناخت ببابك جعلت دونها حجاباً . ألا قلت :

طرقتك صائدة القلوب فمرحباً نفسي فداؤك فادخلي بسلامِ!

قال : نعم . فسوءة لي[1] .

وفي رواية الموشح ((قال جرير : أنا قُلتَهُ . قالت : أفلا أخذت بيدها وَرَحبّتَ بها وقلت : فادخلي بسلامِ . أنت رجلٌ عفيف (وقيل ضعيف) خذه هذه الألفين والحق بأهلك))[2] .

وفي تعليق آخر في الموشح :

((قالت : ما أحسنت ولاسلكت طريقة الشعراء . أيكون وقت لاتصلُح فيه زيارة الحبيب . ألاّ رَحَّبت وَقَرَّبت وقُلت : فادخلي بسلام))[3] .

وكأن في قول الناقدة إرهاصاً مبكراً في العلاقة بين الفن والأخلاق ، فهي تريد من الشاعر أن يغلب خيالَهُ وعاطفتَهُ على عِفّتهِ وعقلِهِ على الأقل في نطاق الشعر . فالشعر إبداع يغلب فيه الخيال على الواقع ، وكانَ للشاعر أنْ يتجاوز نظم الفضيلة في الشعر وليلتزم بها في نطاق الحياة .

وموقف الناقدة هذا من الشعر قد يتناقض مع بعض ماروي عنها مع كُثَير الشاعر ، فهي لاتريد منه أنَ يهبَ من يُحِب صورةً قد بالغ فيها في رسم خيالَهُ الشعري وهرب بها الى مالايمكن أن يكون ، وطلبت منه أن يُقصِر أبياتَهُ في نطاق الحياة العملية ، ففي مجلس من مجالسها مع الشعراء روي : ((أنّ سكينة بنت الحسين قالت لكُثَير حين أنشدها قصيدتَهُ التي أولها :

أشاقك برقٌ آخر الليل واهبُ تضمنَّهُ فَرْش أبحبا فالمساربُ

---

(١) الأغاني ، ١٦/١٧٠-١٧٣
(٢) الموشح ، ص٢٠١ .
(٣) المصدر نفسه ، ص٢٠٢ .

تألق واحمومى وخيّم بالرُّبى　　أحمُّ الدّرى ذو هَيْدبٍ متراكِبُ
إذا زعزته الريحُ أزرم جانبٌ　　بلا خُلفُ منه وأومض جانِبُ
وهبتُ لسُعدى ماءَهُ ونباتَهُ　　كما كل ذي وُد لمن ودّ واهِبُ
لتروى بهِ سُعدى ويروى صديقها　　ويُغدِقُ اعدادٌ لَهُ ومشارِبُ

(قالت) : أتهبُ غيثاً جعلك الله والناس فيه أُسوةً ؟ فقال : يابنتَ رسول الله (ﷺ) : وصفتُ غيثاً فأحسنتهُ وأمطرتُهُ وأنبتُّهُ وأكملْتهُ ثم وهبتهُ لها . فقالت : فهلاّ وهبت لها دنانير ودراهم ...))[1] .

إلاّ أنَّ هناك من الشعراء من يُبالغ في شعرهِ حتى يُعدُ عيباً في رسم صورهِ الشعرية ، ومنهم الحارث بن خالد المخزومي أحد شعراء الغزل في الحجاز والذي عابت عليه سكينة ماوصَفَ بهِ النساء وهُنّ يطُفْنَ في البيت الحرام ، إذ قال :

يَقعدن في التطواف آونة　　ويطفن أحياناً على فَتْرِ
فَفَرغْنَ من سبعٍ وقد　　أحشاؤهن موائلَ الخَمْرِ

فحين سمعت سكينة بنت الحسين قوله هذا قالت :

((والله لو طافت بهِ الأبل سبعاً لجُهِدَتْ أحشاؤها))[2] وفي رواية ((لو طاف الفيل ...)) وهي بذلك قد عابت على الشاعر وصف النساء بالخشونة والجلادة بحيث إنهن لم يجهدنَ إلاّ بعد التطواف بالبيت سبع مرات ، وهو أمرٌ لاتحتملَهُ حتى الرجال فما بالك بالمرأة التي وصفها العرب بالرِّقة والضعف واللين والتريُّث وعدم العجلة وكل ذلك أشبه بُبنية المرأة الحضرية المتنعمة المترفة والتي أبعدها الشاعر في وصفهِ .

عَزّة

هي عَزَّة بنت حُميل بن حفص بن إياس الحاجبية الغفارية الضمرية كانت غزيرة الأدب ، رقيقة الحديث ، من أهل المدينة ، إنتقلت الى مصر في أيام عبد الملك بن مروان فأمر بإدخالها على حرمِهِ ليتعلمن من أدبها . وكان يهيم بها كُثَيِّر الشاعر المشهور فكان يُنسَب بها ، توفيت سنة ٨٥هـ ، وقيل ماتت بمصر أيام عبد العزيز بن مروان . لها مواقفٌ في النقد[3] .

نقد عَزّة

وتُعَدُّ عَزَّة من النساء اللواتي تناول شعر كُثير - الشاعر الذي عُرِفَ بها - بالنقد ، فهي تبتغي الشهرة بشعر الشاعر ، وتؤكد على أبياتهِ في منعها العطاء ورفضها حُبَّهُ

---

(١) الموشح ، ص١٨٨ .
(٢) الأغاني ، ٣/ ٣٢٤ .
(٣) ينظر الأعلام : للزركلي ، ٥/٢٢-٢٣ ، وأعلام النساء ،٢/ ١٠٠٧ .

فهي قد تمتحنهُ في بعض أقوالهِ وعواطفه ، أو إنها قد تُعيبُ عليه بعض صورهِ إذا ماوجدت فيها مالايُليقُ بهما كعاشقين .

((قال كثير :

الا ليتنا ياعزُّ كُنّا لذي غِنى بعيرين نرعى في الخلاءِ
نكون لذي مالٍ كثير مُغفَّلٍ فلا هو يرعانا ، ولانحن نُطلَبُ
إذا ماوردنا منهلاً هاج أهلَهُ إلينا فلا ننفكُّ نرمى ونُضرَبُ

فقالت عزّة : أردت لي الشفاء الطويل ، ومن المُنية ماهو أوطأ من هذهِ الحالة))[1] وقد وصَفَ ابن طباطبا أبيات كُثير بأنها من الأبيات التي زادت قريحة قائليها على عقولهم[2] ، ولعل ملاحظة أبن طباطبا جاءت مُنصِفَة ومؤيدة لاحتجاج عزّة الصارخ على تلك الصورة التي رسمها الشاعر والتي فيها من عذاب المحبّين أكثر من عزلتهما في ظروفٍ سعيدةٍ هانئة .

ومن احتجاجات عزّة الأخرى والتي تُظهِرُ فيها مقدرةً فائقةً في النقد ماروي عنها ، حيث ((دخلت يوماً عزّة على كُثير متنكرة فقالت : أنشد أشدّ بيت قلتهُ في حبّ عزّة . قال : قلت لها :

وَجِدتُ بها وجَدَ المُفِلّ فلوجه بمكة والركبان غادٍ ورائِحُ

فقالت : لم تصنع شيئاً . قد يجد هذا ناقة يركبها ! فاطرق ثم قال :

وَجِدتُ بها مالم يجد ذو حرارةٍ يمارسُ حُمّات الرّكيّ النَوازِحُ

فقالت له : لم تصنع شيئاً ، يجد هذا من يُسقيه! فاطرق ثم قال :

وَجِدتُ بها مالم تَجِدْ أُمٌّ واحدٍ بواحدها تُطوى عليه الصَفائِحُ

فضحكت ثم قالت : إن كان ولابُدّ فهذا !!!))[3]

ومايدل على تَضلُّع الناقدة في نقدها هذا أنّها وجدت في حزن الشاعر ووجدهُ عليها مايُنسَى إن وَجَدَ بديلاً لهُ ، ولكن أين البديل لوجد الثكلى التي فقدت إبنها الوحيد وهو ماآرتضتهُ الناقدة من الشاعر لأنهُ بلاشك وجدٌ دائمٌ لايُنسَى .

عقيلة بنت عقيل[4]

هي عقيلة بنت عقيل بن أبي طالب

---

(١) الموشح ، ص١٨٩ .
(٢) عيار الشعر : لابن طباطبا ، ص٩١ .
(٣) الموشح ، ص١٨٢.
(٤) لم أعثر لها على ترجمة في المصادر.

نقد عقيلة بنت عقيل

أُختُلِفَ في تحديد شخصية عقيلة ، فيما إذا كانت بنت عقيل بن أبي طالب أوإنَّ النُقّاد كنّوا بأسمها عن ذكر اسم السيدة سكينة بنت الحسين ، ولكننا نجدُ في نقدها أشعار الشعراء مايبتعدُ عن أسلوب سكينة في النقد الهاديء المتزن .

((قيل (لعقيلة) : هذا كُثير عزّة والأحوص بالباب . فقالت :

إئذنوا لهما . ثم أقبلت على كثير فقالت :

ـ أما أنت ياكُثير فألأم العرب عهداً في قولك :

أريد لأنسى ذكرها فكأنما　　تمثل لي ليلى بكل سبيلِ!

ولِمَ تُريدُ أن تنسى ذكرها ، أما تطلبها إلاّ إذا مُثّلتْ لك ، أما والله لولا بيتان قلتهما ما التفتُ إليك . وهما قولك :

فياحبّها زدني جوىً كل ليلةٍ　　وياسلوةَ الأيام موعدك الحشرُ

عجبتُ لسعي الدهر بيني وبينها　　فلما انقضى مابيننا سكن الدهرُ))[(١)]

وكأن عقيلة لاترى في قول الشاعر (أريد لأنسى ذكرها) حُباً ولا إنّ فاعِلَهُ من أهل العشق الحق الثابت في القلب ، فهو لايتعشقها إلاّ إذا اقتربت من عينه ومُثّلتْ أمامَهُ وهذا ليس من الحب الصادق في شيء .

وفي مجلسٍ آخر لها مع جميل بثينة أخذت عليهِ مأخذاً في قوله :

فلو تركت عقلي معي مابكيتها　　ولكن طلابيها لما فات من عقلي

إذ قالت لهُ : ((أنت تطلبها عند ذهاب عقلك لا لحبك لها ، لولا أبياتٍ بلغتني عنك ما أذنت لك وهي :

علقت الهوى منها وليداً فلم يزل　　الى اليوم ينمي حبُّها ويزيدُ

فلا أنا مرجوع بما جئت طالباً　　ولاحبّها فيما يبيدُ يبيدُ

يموت الهوى مني إذا مالقيتها　　ويحيى إذا فارقتها فيعودُ!)) [(٢)]

وهذا يعني ان مآخذ الناقدة على الشاعرين - كُثير وجميل - لم تمنعها من الإعجاب بأشعارهما الأخرى والتي تُفيضُ بالعاطفة والشوق واللوعة .

بثينة

هي بثينة بنت حباب بن ثعلبة العذرية ، هامَ بها وذكرها في شعرهِ جميل بن عبد الله بن معمر العذري وهو من قومها ، وكانت منازلهم بوادي القرى (بين المدينة ومكّة) فعُرفَ بها واشتهرت بأخبارها مَعَهُ ، كانت شاعرة من شواعر بني

---

(١) الموشح ، ص١٩٥ .

(٢) الموشح ، ص١٩٢ .

عُذرة من قُضاعَة ، في شعرها رقة ومتانة وكانت صدوقة اللسان جميلة الوجه حسنة الأبيات عفيفة ، تزوجها رجلٌ يقالُ لهُ نبيه بن الأسود وبقي جميل يتردد عليها بلا ريبة .

توفيت بثينة بعد موت جميل بقليل سنة ٨٢هـ (١) .

نقد بثينة

مثلما كان بين كُثير وعزّة من النقد كان بين جميل وبثينة ، إذ وقفت بثينة عند بعض أبياتٍ لجميل قد قالها فيها ، من ذلك ماروي عنها أنّهُ ((لقي جميل بثينة بعد تهاجر كان بينهما طالت مدَّتهُ فتعاتبا طويلاً فقالت لهُ : ويحك ياجميل أتزعم أنّك تهواني وانت الذي تقول

رَمَى الله في عيني بثينة بالقَذَى   وفي الغرّ من أنيابها بالقوادِح

فأطرق طويلاً يبكي ثم قال : بل أنا القائل :

ألا ليتني أعمى أصمٌّ تقودني   بثينة لايخفى عليّ كلامها

فقالت : ويحك ، ماحملك على هذه المعنى ؟ أليس في سعة العافية ماكفانا جميعاً))(٢) .

ويبدو أنَّ الشاعر لم يُدرك ما أرادت بثينة أن تُنبِّههُ إليه ، وهو أن يجمع في شعرهِ بين غزارة العاطفة وحرارة الشوق وبين سِعَة العافية التي تُضفي بهاءً ورونقاً على صورتهِ الشعرية وتدلّ على عطاء الحب وديمومتهِ .

---

(١) ينظر الأعلام : للزركلي ،٩/٢ . الدر المنثور ، ص٧٩-٨٩ ، أعلام النساء ، ٩١/١-٩٩ .
(٢) الأغاني ، ١١١/٨.

الفصل الرابع
الدراسة الفنية

تَنصَبُّ هذهِ الدراسة في محورين أساسيين هما :
الأول : دراسة فنية لأدب المرأة في القرن الأول الهجري .
الثاني : بين أدب المرأة وأدب الرجل .

الأول : دراسة فنية : اللغة والأسلوب :

تُعدُّ اللغة أداة الأديب في الخلق الفني ، وهي رؤيتَهُ الذاتية ، وقدرتَهُ الخاصّة في صياغة أثرهِ الفني في صورةٍ جديدة ، أمّا وقد كان لموضوعات الأديبات في القرن الأول الهجري علاقةٍ وثيقةٍ بلغتهن من حيث ظهور الإسلام وماتبِعَهُ من تغيّرات فقد اعتمدن معجماً لفظياً واحداً للتعبير عن أحاسيسهن ـ مع اختلافهن طبعاً في كيفية استغلالهن لمفردات هذا المعجم ـ

يقول الدكتور يحيى الجبوري : ((لقد بقي شعر المخضرمين في غالبهِ محافظاً على نمطِهِ الجاهلي وأسلوبه ، متمسكاً بالمثالية التي كان يصدر عنها الشعر قبل الإسلام ، فهو بعامتهِ يتسِمُّ بالأيجاز ، وقوة التعبير ، وجزالة اللفظ ، وتعدد الموضوعات ، وبراعة الأوصاف))[(١)] .

ويقول : ((أما من حيث عموم الشعر ، فالنهج الجاهلي هو السائد في أساليب الشعراء ، في المديح والهجاء والفخر والرثاء))[(٢)] .

ولايعني هذا بالطبع أن هؤلاء الشعراء قد اكتفوا بأساليب ولغة الشعر الجاهلية ووقفوا عندها وحسب رغم تطور الحياة التي عاشوها بمظاهرها المختلفة ، لأن هذا يعني جموداً في اللغة العربية وعقماً بها ، إلاّ أنَّ الحياة العربية شهدت بظهور الإسلام تغيّراً ملموساً فكراً وماديّات ، فواكبت اللغة العربية كل ذلك واستوعبته ، حتى ظهرت مظاهر ذلك في شعر الشواعر والشعراء أنفسهم ((واحتذوا بشعرهم هذا المثال ، وترققوا ما أمكن ، وكسوا معانيهم ألطف ماسنح من الألفاظ ، فصارت إذا قيست بذلك الكلام الأول يتبين فيها اللين ، فيظن ضعفاً فاذا أفرد عاد ذلك اللين صفاءً ورونقاً ، وصار ماتخيلتهُ ضعفاً رشاقةً ولطُفاً))[(٣)] .

ويمكن دراسة المتغيرات اللغوية في ظاهرة أدب المرأة في القرن الأول الهجري تحت الإتجاهات التالية :

أ ـ الاتجاهات الفكرية والثقافية :

لقد بان أثر الدين الحنيف في أفكار الشعراء ، بعد أن تحققت رابطة وثيقة بين

---

(١) شعر المخضرمين وأثر الإسلام فيه : يحيى الجبوري ، ص٣٤٨ .
(٢) المصدر نفسه .
(٣) الوساطة بين المتنبي وخصومه : للجرجاني ، ١٤/١ .

اللغة العربية والدين الجديد ، فبدا ذلك واضحاً في ألفاظهم وتعبيراتهم ، وذلك بظهور معتقدات جديدة ، كالأيمان بالجنة والنار والبعث والشهادة والثواب والعقاب مما أدى بالشعراء الى أن يعبروا عمّا يتصل بكل ذلك .

ولانعدم وجود بعض الألفاظ ـ مع قِلّتها ـ من هذا القبيل في الشعر الجاهلي

حَمَّسَتْ المستشرق مرغيليوث[1] كي يبني عليها قضايا مهمة مُستشهداً بنماذج شعرية جاهلية ، ففي قول الخنساء مثلاً :

وقوّادَ خيلٍ ، نَحْوَ أُخرى ، كأنَّها   سَعالٍ وعِقبانٌ ، عَليَها زَبانِيَه[2]

يشير مرغيليوث الى أن لفظة ((زبانيه)) الواردة في البيت هي لفظة جاهلية عامّة صارت في القران أصطلاحاً قُرآنياً ، ولكن المهم ليس وجود مثل هكذا ألفاظ وانما المهم هو ماتحملهُ هذه اللفظة من معتقدات وماتوحي بهِ من معانٍ ومضامين ((والدليل على ذلك أن الألفاظ لاتترتب في النطق الاّ بعد أن تترتب المعاني في الفكر وتنتظم فيه على قضية العقل))[3] . فالخنساء هنا لاتريد المعنى الديني بل تعني الرجال الغِلاظ الشِداد ((إذن فالأهمية للألفاظ في مواقعها من الجمل ، بوصفها الوسائل التي بها يؤدى المعنى ، ولا أهمية لها في ذاتها))[4] . فجميع الألفاظ ذات الصبغة الإسلامية تحمل أفكاراً آمن بها المسلم واعتقدها وعاشها وعبّر عنها بألفاظها الدالّة ، ولكن الشعر الجاهلي قد خلا من تلك الألفاظ ، لأن الجاهلي لم يؤمن بمثل تلك المعتقدات وعلى ذلك كثرت في أدب الشواعر في العصر الإسلامي الفاظ من مثل ، الله ، الجنة ، النار ، يوم الحشر ، الرحمن ، القيامة ، الصلاة ، الإيمان ، النور ، القدر والقضاء ... الخ كما في رثاء أم أيمن للرسول (ﷺ) :

وابْكيا خيرَ منْ رُزئناه في   الدُّنيا ومَنْ خَصّهُ بَوحْي السَّمَاءِ
بدُمُوعٍ غَزيرةٍ مِنْك حَتّى   يقضِي اللهُ فيك خَيْرَ القضَاءِ
فَلَقَدْ كانَ ماعَلِمْتُ وصولاً   وَلَقَدْ جَاءَ رَحْمَةً بالضياءِ
ولقدْ كان بعد ذلك نوراً   وسراجاً يُضيء في الظلْماءِ
طيّب العُودِ والضَّريبة والمَعْدِنِ   والخِيمِ خَاتمَ الأنبياءِ[5]

فجاءت بالألفاظ : (وحي السماء ، يقضي الله ، رحمةً ، الضياء ، نوراً ، سِراجاً ، خاتم الأنبياء أمّا سُعدى بنت كريز فقد جاءت بالألفاظ : الله ، الهدى ،

(١) ينظر أُصول الشعر العربي : د. س . مرجليوث ، ص٥٣-٨٠ .
(٢) شعر الخنساء ، ص٢٠٤ .
(٣) الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي : جابر أحمد عصفور ، ص٣٨٩ .
(٤) النقد الأدبي الحديث : محمد غنيمي هلال ، ص٢٧٣ .
(٥) طبقات ابن سعد ،٩٨/٢ .

الرُشد ، الحق ، الصدق ، المبعوث ، أمين الله ، أُرسلت للخلق ، وهي تمدح عثمان بن عفان حينما دخل الإسلام :

هدى الله عثماناً بقولي الى الهدى   وأرشدهُ والله يهدي الى الحقِ
فتابع بالرأي السّديد محمداً   وكان برأيٍ لايصدُّ عن الصدقِ
وانكحهُ المبعوث بالحقّ بِنْتَهُ   فكانا كبدرٍ مازجَ الشمسَ في الأُفقِ
فداؤك يا ابنَ الهاشميينَ مُهجتي   وأنتَ أمينُ اللهِ أُرسِلتَ للخَلقِ(١)

وقد تتعمق الشاعرة فتصل الى صياغة أبياتٍ من الشعر تقتبسُ لها معانٍ من بعض الآيات القُرآنية ، فهذهِ حفصة بنت عمر بن الخطّاب ترثي أباها قائلةً :

أكظم الغِلّة المخالطة القلب   وأُعزّي وفي القرآن عزائي
لم تكن بغتةً وفاتك وَجَدّاً   إنّ ميعادَ مَنْ ترى للفناءِ(٢)

قد أخذتُه من قولهِ تعالى : { **كُلّ مَنْ عَليَها فَانٍ وَيَبقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الجَلَالِ والإكرامِ** }(٣) . وقالت أم البنين الوحيدية في تزفين إبنها العباس بن علي بن إبي طالب (□) :

أعيذهُ   بالواحدْ   من عين كل حاسِدْ
قائِمهم   والقاعِدْ   مُسلمَهُم والجاحِدْ
صادِرَهمُ   والوارِدْ   مولودُهم والوافِدْ(٤)

وهذا إقتباس لمعنى الآية الكريمة : { **قُلْ أعوذُ بربّ الفَلَقْ مِنْ شَرِّ ماخَلَقْ ومِنْ شَرّ غاسِقٍ إذا وَقَبْ ومِنْ شَرّ النَفّاثاتِ في العُقَدْ ومِنْ شَرِّ حاسِدٍ إذا حَسَدْ** }(٥)

ب ـ الاتجاهات الماديّة الحضارية

لقد كان للحضارة التي شهدها الشعراء وتأثروا بها بفضل ظهور الإسلام الذي أتاح لهم الإتصال بأصحاب الحضارات ووثّقَ صلتهم بهم الإثر في اتساع آفاقهم الحضارية ومن ثم تطور أساليب حياتهم الماديّة والإجتماعية ، حتى أنعكس ذلك على لغتهم حيث أثّرت البيئات الثقافية والحضارية في تشكيل صورهم الشعرية ولّما كانت الإلفاظ والأساليب جزءاً من مكونات تلك الصور ، فقد بانت إلفاظٌ وأساليبٌ تجمل طابعاً حضارياً جديداً ، يقول الجرجاني : ((فلما ضرب الإسلام بجرانِهِ ، واتسعت ممالك العرب ، وكثرت الحواضر ، ونزعت البوادي الى القرى ، وفشا التأدُّب

(١) البداية والنهاية ، لأبن كثير الدمشقي ، ٢١٠/٧ .
(٢) بلاغات النساء : لابن طيفور ، ص٢٥ .
(٣) سورة الرحمن : الآية ، ٢٦-٢٧ .
(٤) المنمّق : لابن حبيب ، ص٤٣٧ .
(٥) سورة الفلق ، الآية : ١-٥ .

والتظُّرف ، أختار الناس من الكلام أليَنَهُ وإسهَلَهُ وعمدوا الى كل شيء ذي أسماء كثيرة أختاروا أحسنها سمعاً ، وألطفها من القلب موقعا ، ...))[(١)] .

ولاشك أن يقع التأثير نفسه في أدب الشواعر تبعاً لذلك ، فقد كان للاسواق الموسمية حيث المطارحات والمساجلات والأختلاط الفضل في تغذية ثقافتهن ورفدها بكل جديد ، فضلاً عن المناظرات التي كانت بين الخنساء وهند بنت عُتبة والتي تُعدُّ الأساس في نمو ثقافتهن واتساعها . حتى باتت الشاعرة مُتأثِّرة بالبيئة الحضرية التي عاشت في ظِلّها ، فعلى الرغم من كثرة شواعر مكّة وتفوقِهنَّ على شواعر المدينة في نسج الشعر وصياغته[(٢)] إلاّ أنّ الشاعرة لم تنفك مُتأثِّرة بأدب المدينة بصورةٍ تدل على التحضر والمدنيّة ، فبانت إثر ذلك معانٍ ذات أثر حضاري جديد ، فقد كشفت قُتَيلَة بنت النضر عن أُسلوب يتعلق بالمعاني الخُلُقيّة وهو مايتصل بالجانب الحضاري الذي لايستطيع أن يتَمثَّلَهُ إلاّ منْ عاشَهُ عن قُرب وذلك أُسلوبها في معاتبة الرسول (ﷺ) واستعطافهُ في قتل أبيها حيث قالت :

أمحمد ها انت صِنو كريمةٍ   في قومها والفَحْلُ فحلٌ مُعْرِقُ
ماكان ضَرَّك لو مننتَ وربّما   منّ الفتى وهو المغيظُ المُحنَقُ
فالنضرُ أقربُ من قَتَلتَ قرابةً   وأحقُّهُم إنْ كان عِتقٌ يُعتقُ[(٣)]

فهذه بلا شك أبيات رائعة تنمّ عن عاطفةٍ جيّاشة تُصوِّرُ مدى الحزن في قلب صاحبتها ومَدى مابلغت من وجد ، إلاّ أنّ مايُزيد هذه الأبيات جمالاً ويكسبها الخلود الإدبي هو مافيها من عدل وإنصاف ، ومايتحكم في عواطفها من حلم وهي في مقام يطيش فيهِ أكبر العقول من فقدِ أبٍ كان ذخرها وحاميها ، ومع ذلك لم تفحش في أبياتها ولم تهجُ النبي (ﷺ) بل عاتبتهُ معاتبة حكيم يعرف النفس البشرية ويعرف مقدار أمر الحياة ومايجب أن يتحكم فيها ، وقد لانبالغ إذا ماقلنا اننا لانجد مثل أبياتها هذه في دواوين الشعراء قديمهم وحديثهم لما تَحمِلهُ من معانٍ إنسانية تعتبر من قواعد المدنية الفاضلة .

وفي هذا يقول أحد الباحثين : ((وتلمح في نماذج صدر الإسلام ذروة البلاغة ، وحُسن الصوغ ومنتهى الفصاحة وتلمح فيها بارزة المدنية في التشريع والإجتماع والشعور بالكرامة القومية والفوق على الغير بما يبذلون من معروف وينهون عن المنكر ثم تلمح فيهِ نوعاً سامياً من تهذيب النفوس وترويض الطباع بتعبير يظهر عليه أثر الحضارة الناضجة))[(٤)] .

أمّا الأسلوب فهو وسيلة الشعراء أو طريقتهم في أختيار الإلفاظ وتجسيد الإفكار

(١) الوساطة بين المتنبي وخصومه : للقاضي الجرجاني ، ١٤/١ .
(٢) ينظر الشعر والغناء في المدينة ومكة : شوقي ضيف ، ص٢١١-٢١٢ .
(٣) زهر الآداب : للحصري ٦٦/١ وقد جاء في العمدة : لابن رشيق القيرواني ، ٥٦/١ أن المقتول أخوها وليس أبوها .
(٤) بحث في نقد الأدب العربي : محمد بديع شريف ، ص٤٢-٤٣ .

وتسلسلُ التراكيب وتتابع معانيها مضافاً اليه مواقف الشعراء من الحدث ، ومن ثم فقد أوضحَهُ بشيء من التفصيل القاضي الجرجاني بقوله : ((ولا آمرك بأجراء أنواع الشعر كلَّهُ مجرىً واحداً ، ولا أن تذهب بجميعه مذهب بعضه ، بل أرى لك أن تقسم الإلفاظ على رتب المعاني ، فلا يكون غزلك كافتخارك ، ولامديحك كوعيدك ، ولاهجاؤك كاستبطائك ... بل ترتب كلاً مرتبته وتوفيه حقَّهُ ، فتلطف إذا تغزلت ، وتفخَّم إذا افتخرت ، وتتصرف للمديح تصرف مواقِعِه فان المدح بالشجاعة والبأس يتميز عن المدح باللباقة والظرف ...))[١] .

ويقصد الجرجاني في عبارتهِ الأخيرة تعدد الأساليب حتى للغرض الشعري الواحد ، والتي عبَّر عنها إبن خلدون بقوله : ((لكُلِّ فَنٍّ مِنَ الكلامِ أساليب تُختَصُّ بِهِ وتُوجَدُ فيهِ على أنحاءٍ مختلفةٍ))[٢] .

وقد تتعدد الأساليب في الغرض الواحد نسبةً الى أختلاف الشعراء الذين يقولون فيه فلكلٍ حالَتهُ الشعورية التي تلبي رغبتَهُ في الأفصاح عّما يجول في خاطِرهِ ، وباستقصاء أساليب الشواعر في القرن الأول الهجري يمكننا أن نميّز أكثر من أسلوب ، لأن أسلوباً مايصلح أكثر من غيره للتعبير عن نوع خاص من المشاعر ، ولكن أكثر الإساليب شيوعاً عندهن هو أسلوب الخطاب ولاسيما في الرثاء ، إذ تخاطب الشاعرة عينيها وتلحُّ عليهما في ذرف الدموع ، وفي ذلك تقول نُعْم إمرأة شمّاس باكيةً زوجها شمّاساً :

ياعين جودي بفيضٍ غير إبساسِ   على كريمٍ من الفتيان أبَّاسِ[٣]

وقد أستخدمت عاتكة بنت عبد المطلب الأسلوب نفسه في رثائها الرسول الكريم (ﷺ) إذ تقول :

أعيني جودا بالدموعِ السواجمِ   على المصطفى بالنورِ من آل هاشم[٤]

ولم تستخدم بعض الشواعر اداة النداء (الياء أو الهمزة) بل خاطبن أعيُنَهُنَّ مباشرةً كقول ضُبيعة بنت خزيمة في جزعها على مقتل أبيها :

عينُ جودي على خُزيمة بالدَّمـ   ـعِ قتيل الأحزاب يوم الفراتِ[٥]

وقد تتعدى الشاعرة الرثاء الى الحماسة فتستخدم أسلوب الخطاب لإثارة الحماسة في الحرب ، كقول سودة بنت عمارة لأخيها في نصرة علي وابنه الحسين عليهما السلام :

---

(١) الوساطة : للقاضي الجرجاني ، ١٨/١ .
(٢) مقدمة ابن خلدون ، ص٥٧١ .
(٣) السيرة النبوية ، ١٧٧/٣ .
(٤) طبقات ابن سعد ، ٢/ ٩٤ .
(٥) وقعة صفين : لأبن مزاحم المنقري ، ص٤١٦ .

شمَرِّ كفعل أبيك يا ابن عمارةٍ   يوم الطعان ومُلتقى الأقرانِ
وانصُرَ علياً والحُسين ورهطه   واقصد لهندٍ وابنها بهوانِ[1]

أمّا الأسلوب الأكثر من أسلوب الخطاب تحقيقاً لمشاعر الشاعرة هو أسلوب الحوار والذي أتخذته وسيلة لإجراء حوار بينها وبين آخر وهو أكثر وقعاً من الخطاب الذي يكون من جهة واحدة ، وقد أسماهُ النُقّاد بالمراجعة ، يقول أبن حُجّة الحموي : ((ومنهم مَنْ سَمّى هذا النوع ـ أعني المراجعة ـ السؤال والجواب وهو أن يحكي المتكلم مراجعةً في القول ومحاورة في الحديث بينه وبين غيره بأوجز عبارة وإرشقِ سبك وإلطفِ معنى وأسهلِ لفظ أمّا في بيتٍ واحد أو في أبيات))[2] . ومن ذلك محاورة الخنساء لناعي أخيها صخر حيث تقول :

غَدَاةَ غَدَا ناعٍ لصخرٍ فراعني   وأورثني حُزْناً طَويلَ البَلابلِ
فقلتُ لَهُ مَاذَا تقولُ فقال لي   نَعَى ما ابنُ عمروٍ أثكلتْهُ ...[3]

وتسأل صفية بنت عبد المطلب أصحاب أحد عن أخيها حمزة بأسلوب بنتهُ على المحاورة فتقول :

أسائِلةٌ أصحابُ أُحدَ مخافةً   بناتُ أبي من أعْجمَ وخَبيرِ
فقال الخبير إن حمزة قد ثوى   وزيرُ رسولِ الله خيرُ وزيرِ
....
....
أقول وقد أعلى النّعِيّ عشيرتي   جزى الله خيراً من أخٍ ونصيرِ[4]

ومن الأساليب الأخرى التي نلحظها في أشعار شواعر القرن الأول الهجري أسلوب الإستفهام الذي لايُقصَد بهِ الإستفهام بالمعنى المعروف ، ولكنهُ مايسميه أبن المعتز (تجاهل العارف)[5] ((وهو عبارة عن سؤال المتكلم عمّا يعلم سؤال من لايعلم ليوهم أنّ شدة التشبيه الواقع بين المتناسبين أحدثت عنده إلتباس المشبّه بالمشبّه بهِ وفائدته المبالغة في المعنى))[6] . كقول هند بنت الحارث مادحةً الرسول الكريم (ﷺ) :

---

(١) بلاغات النساء : لأبن طيفور ، ص٣٠ .
(٢) خزانة الأدب وغاية الأرب : لأبن حُجّة الحموي ، ص٩٩ .
(٣) ديوان الخنساء ، ص٨٦ .
(٤) السيرة النبوية، ١٧٦/٣ .
(٥) خزانة الأدب ، ١٢٢ .
(٦) المصدر نفسه ، ١٢٢ .

أليسَ أوسطَكُم بيتاً وأكرمكُمْ   خالاً وعّماً كريماً ليسَ مُؤتشِبَا[١]

وقد تلجأ الشواعر الى هذا الأسلوب من نحو مبالغة في توبيخ ، وهذا مابنت عليهِ زينب بنت عقيل بن ابي طالب عتابها لقتلة الحسين (□) مستنكرة فعلتهم :

مَاذا تقولون إنْ قال النبيُّ لكم   ماذا فعلتُم وأنتم آخرُ الأُمم[٢] ؟

وعلى الرغم من أن أحداً لايلوم الشاعرة على عتابها هذا الاّ انَّ بعضهن أفترضن ذلك وعمدن الى التبرير باستخدام أسلوب الإحتجاج أو حُسن التعليل كقول نائلة بنت الفرافصة في رثاء زوجها :

ومالي لاأبكي وتبكي صحابتي   وَقَدْ ذهبتْ عنّا فُضول أبي [٣]

وقد كشف السكّاكي عن الغرض من هذا الأسلوب بقوله ((بسوق المعلوم مساق غيره لنكته المبالغة في التشبيه))[٤] .

وربما ذكرنا أسلوبهن هذا بأسلوب شعراء ماقبل الإسلام أمثال عنترة العبسي في معلقته :

هَلْ غادَرَ الشعراءُ مِنْ مُتردَمِّ   أمَ هل عَرفتَ الدار بعد تَوهُّم[٥]

ولنأخذ من ذلك مجالاً للحديث عن الإلفاظ والتراكيب التي أستخدمت في عصر ماقبل الإسلام وأثّرت في أدب المسلمة فكانت لها إنعكاسٌ واضح في صياغة أبياتها الشعرية ، فمثلاً حينما نقرأ بيت ميسون بنت بحدل الكلبية في ذكرها للثياب :

ولبسُ عباءةٍ وتقرَّ عيني   أحبُّ إليَّ من لبسِ الشُّفوفِ[٦]

لايخفى علينا أنَّ ظاهرة ذكر صنوف الملابس والحُلِي ووسائل الزينة هي ظاهرة كانت مثُفشِّيَة في القصيدة الجاهلية فانحدرت منها الى قصيدة المرأة الإسلامية وعَلِقَتْ في مُخيِّلتِها ، ففي قول الإعشى ذكرٌ لذلك وهو يُصوٌر فتاةً من ذوات النعمة :

تَرىَ الخَزَّ تَلْبَسُهُ ظاهراً   وتُبْطِنُ مِنْ دُوْنِ ذَاكَ [٧]

---

(١) طبقات ابن سعد ، ٩٧/٢ .
(٢) مروج الذهب : للمسعودي ، ٧٨/٣ ، وينظر أتجاهات الشعر في العصر الأموي : صلاح الدين الهادي ، ص١١٠ .
(٣) العقد الفريد ، ٢٤٢/٣ . وينظر شاعرات العرب في الجاهلية والإسلام ، ص١٥٤ .
(٤) خزانة الأدب ، ص١٢٢ .
(٥) ديوان عنترة ، ص١٥ .
(٦) شاعرات العرب ، ص١٥٧-١٥٨ .
(٧) ديوان الأعشى ، ص٩٥ .

أمّا الطيب الذي كانت تستعمله النساء فقد ورد ذكرهُ كثيراً في شعر ماقبل الإسلام ولاسيما المسك ، فهو أغَلى عطور العرب وأطيبها ، وقد ذكرهُ امرؤ القيس في قوله :

وريح سنا من حقه حميرية تخص بمفروكِ من المسكِ
أ[illegible][1]

لم تلبث أن ذكرته هند بنت عتبة في أبياتها مستخدمة لفظة (المسك) نفسها :

نحنُ بناتُ طارِقْ نمشي على النمَارِقْ
الدُّرُّ في المخَانِقْ والمسِكُ في المفَارِقْ[2]

ومن الألفاظ التي أستخدمتها الشاعرة المسلمة وكانت أمتداداً لعصر ماقبل الإسلام ، بل إنَّها كانت من أهم المداخل التي يلجأ إليها الشاعر الجاهلي في أستهلال قصيدتهِ واستفتاحها في بعض الأغراض ، وهي ((ياراكباً - بَلّغ)) أو ((يأيها الراكب - عَرِّج)) كقول أم الضحّاك المحاربية في زوجها بعد أنْ طَلّقها وارتحل عنها :

يأيُّها الراكبُ الغادي لِطَيتِّهِ عَرِّج أبُثُّكَ بعضَ الذي أجِدُ[3]

فلا شك أنهما لفظتان لهما صدىً واضح في شعر ماقبل الإسلام إذ نجدهما في أبيات خِدَاش بن زُهَيرْ :

فياراكباً إمَّا عرضْتَ فبلّغَنْ عُقيلاً إذا لاقيْتَها وأبا بكر[4]

وكذلك تقول قُتيلة بنت النضر في فقد أبيها :

ياراكباً إنَّ الأثيلَ مظنةٌ من صبح غاديةٍ وأنتَ مُوقَّقُ
أبلِغ بها ميتاً بأنّ تحيةً ما إن تزالَ بها النجائِبُ تَخفَقُ[5]

ولانعدم تأثر الشاعرة المسلمة فضلاً عن الإلفاظ ببعض التراكيب التي شاع أستخدامها في قصائد ماقبل الإسلام ومنها أداة الشرط (إذا) المتضمنة فعل الشرط وجوابه كقول عمرو بن كلثوم في الذود عن النساء في المعارك وحمايتهن :

---

(١) ديوان امرؤ القيس ، ص٦٩ .
(٢) الأغاني ، ٣٩١/١٢ .
(٣) زهر الآداب ، ١٠١١/٤ .
(٤) جمهرة أشعار العرب في الجاهلية والإسلام : للقرشي ، ٥١٧/٢ . وهو خِدَاش بن زُهير بن ربيعة من شعراء قبل الإسلام قال هذه القصيدة في يوم شُوَاحِطِ ، وهو يوم لبني محارب بن خصفة على بني عامر بن صعصعة .
(٥) زهر الآداب ،٦٦/١ .

إذَا لم نَحْمِهنَّ فَلاَ بَقينا   بخَيْرٍ بعدهنَّ ولاحَيينَا[1]

وتعبر عاتكة بنت زيد مفتخرة بشجاعة زوجها عبد الله بن أبي بكر مستخدمة التركيب نفسه :

إذا شُرِّعَتْ فيهِ الأسِنَّةُ خَاضَها   الى الموتِ حتّى يترك الرُّمحَ أحمرَا[2]

وقد استخدمت ليلى العامرية هذا التركيب مُعَبِّرة عن حُبِّها :

فإذا كان في القيامة نودي   مَنْ قتيلُ الهوى تقدمتُ وحدي[3]

((وهذا أمرٌ طبيعي ، لأن عصر المخضرمين عصر أنتقال من حياة العرب القديمة الى حياتهم الإسلامية الجديدة ، وفي عصور الإنتقال لاتبرز الظواهر الجديدة في الفن إلاّ بعد فترة تستقر فيها النفوس وتتفتح الأذهان على متطلبات العهد الجديد))[4] .

أمّا النثر :

فقد أثَّر فيه مجيء الإسلام كما أثَّر في الشعر بل لقد ((كان النثر أكثر إستجابة ، بحكم طبيعتهِ ، لأن من الأيسر أن تُصاغ الإفكار الجديدة نثراً أقرب الى النثر الفني بحيث يخاطب العقل بقدر مايخاطب القلب))[5] . حيث أضحى كل تعبير للإديبة المسلمة قطعة بلاغية بجانب كونُهُ نثراً سياسياً أو معالجة تربوية وإخلاقية ((وهكذا أصبح حُسن أستعمال الكلمة مسئولية كبيرة لامجال فيها للتزويق والبهرج ، وأن يكن مروماً أن يحمل كل خطاب أو قول إنساني شيئاً من روح الشعر وتوثبه وإثارته لكوامن النفس بجانب مقتضيات العقل))[6] .ثم ان الكلمات المفردة لايقع بينها تفاضل من حيث هي كلمات مفردة ، وإنَّما تتفاضل بعد أن تتآلف في سياقٍ من النظم ((فلا مزية للكلمة من حيث هي صوتٌ مسموع وحروفٌ تتوالى في النطق ، وإنَّما الذي يقرر حُسنَها ، والذي يحكم عليها بالجودة أو الرداءة ، هو السياق الذي وردت فيه ، لأنَّهُ المجال الوحيد الذي يمكن للفظة أنْ تتحرك فيه وتعمل . وطبيعي أن الكلمة لاتكتسب القيمة إلاّ وهي تتحرك وتعمل ، وتؤدي وظيفةً ما))[7] . وربما ينطبق ذلك السياق في الكلمات على خطبة سفانة بنت حاتم الطائي التي

---

(١) جمهرة أشعار العرب ، ٣٦٧/١ .
(٢) عيون الأخبار : لابن قتيبة ، ١١٢/٤ .
(٣) شاعرات العرب ، ص١٥٨ .
(٤) شعر المخضرمين : يحيى الجبوري ، ص٣٤٨-٣٤٩ .
(٥) الظاهرة الأدبية في صدر الإسلام والدولة الأموية : إحسان سركيس ، ص١٤٩ .
(٦) الظاهرة الأدبية في صدر الإسلام والدولة الأموية ، ص١٥١ .
(٧) النقد اللغوي عند العرب : نعمة رحيم العزّاوي ، ص١٣٩ وللمزيد من الإيضاح ينظر دلائل الإعجاز : للجرجاني ، ص٤٤-٤٥ .

وفدت على رسول الله (ﷺ) قائلة :

((يامحمد : هلك الوالد ، وغابَ الوافدِ ، فإن رأيتَ أن تُخلّي عنّي ، فلا تُشمتْ بيَ أحياء العرب ، فإني بنت سيد قومي . كان أبيَ يَفُكَّ العاني ، ويحمي الذِّمار ، ويُقري الضَّيف ، ويُشْبع الجائِع ، ويُفرِّج عن المكروب ، ويُطعِم الطعام ، ويُفشِي السلام ، ولم يَرُدَّ طالبَ حاجةٍ قطُّ ، أنا بنت حاتم طيء))(١) .

فكان كلامها فصيحاً بليغاً يُفيضُ سلاسةً وعذوبة ، وماكان ذلك بفضلِ إحدى الإلفاظ على غيرها ، أو بفضلِ معنىً دون غيره ، وإنما الفضل في ذلك الى السياق الذي دلّ دلالات كثيرة ، فهي تُشير من خلالِهِ الى أسرها ، وتشيد بصفاتِ أبيها وهي من مكارم الأخلاق ، وإنّهُ سيد قومه وانها لاتتساوى في المعاملة مع غيرها من النسوة غير المعروف نسبهن ، فسياقها الذي نظمتهُ مؤلفة بين الألفاظ والمعاني في وحدة فنية جميلة ، وعلى الرغم من قُصرِ نَصِّها دَلَّ تلك الدلالات المعُبرِّة ، وهذا يعني أنَّ مجيء القرآن الكريم أضفى على اللغة العربية جمالياتٍ جديدةٍ في طرائق الصياغة وفي الدلالات ومن ذلك إيجاز القول ، وآختصار اللفظ مع خصب المعاني ووضعها بأقل مايمكن من الهيكل الكلامي .

وفي وصية الخنساء لأولادها في حرب القادسية ، وقد آثرت فيها الأيجاز بمعانٍ كثيرة ماينهض دليلاً على ذلك إذ قالت لهم :

((يابَنيَّ نتم أسلمتم طائعين ، وهاجرتم مُختارين ، ووالله الذي لاإله غيره إنكم لبنو رجلٍ واحد ، كما أنَّكم بنو أمرأة واحدة ، ماخنتُ أباكم ، ولافَضَحتُ خالكم ، ولاهَجَّنتُ حسبكم ، ولاغَيَّرتُ نسبكم . وقد تعلمون ماأعَدَّ الله للمسلمين من الثواب العظيم في حرب الكافرين . وأعلموا أنَّ الدار الباقية ، خيرٌ من الدار الفانية ، يقول الله عزَّ وجلّ { **ياأيُّها الذّينَ آمنُوا اصْبروا وَصَابرُوا ورابطوا وآتَّقُوا الله لَعلَّكُم تُفْلِحُون** }(٢) . فإذا أصبحتم غداً فاغدوا الى قتال عدوِّكُم مُستبصرين ، وبالله على أعدائِهِ مُستنصرين))(٣) .

فَلأنَّ المقامَ مقام حربٍ ودفاع آثرت فيهِ الإيجاز بما يقتضي المقام ، ولكن كلماتها أعطت من المعاني مالايعطي غيرها ، فكلمتها ((وقد تعلمون ما أعد الله للمسلمين من الثواب العظيم في حرب الكافرين)) أستغنت بقليلٍ من الألفاظ عن كثير من المعاني ، ونأت عن ذكر تفاصيل ذلك مراعاةً للمقام ، أما قولها ((ان الدار الباقية خيرٌ من الدار الفانية)) ينطوي تحتها الجنة ومافيها من نعيمٍ دائم كما ينطوي تحتها حقارة شأن الدنيا ومافيها من متاع

---

(١) جمهرة خطب العرب : أحمد زكي صفوت ،٢٦٤/١ . وهي سفانة بنت حاتم بن عبد الله بن سَعْد بن الحشرج بن امرىء القيس بن عديّ الطائي ، كانت قد أسلمت وحَسُنَ إسلامها . ينظر الإصابة ، ٤٦٩/٤ ، ٧٠١/٧ .

(٢) سورة آل عمران ، الآية : ٢٠٠ .

(٣) خزانة الأدب ولُبُ لُباب لسان العرب : للبغدادي ، ١/ ٤٣٨ . وينظر جمهرة خطب العرب ، ١/ ١٢٠ .

الغرور وبهرج الحياة مالو ذكرت ذلك أيضاً لما أتَّسَعَ الوقتُ لَهُ ولكانت الإطالة عبثاً وضياعاً ((ولقد كانت الخنساء صادقة في عقيدتها ، مؤمنة بدعوتها ، فلذلك ترى لكلامها حلاوة الطبع ، وجمال الوقع ، وحسن اللفظ ، وقُرب المعنى ، والبُعد من الإستكراه ، والتوفيق في الأداء ، والقُدرة على الإثارة الى مافيه من بلاغة الإيجاز ، والإستغناء بالقليل عن الكثير من الكلام))[١] . ويؤيد هذا القول ماذهبَ اليه خالد بن صفوان بقوله : ((أبلغ الكلام مالايحتاج الى كلام وأحسَنهُ مالم يكن بالبدوي المغرب ولا القروي المخدج ، الذي صحَّت معانيه ، وَحَسُنَتْ مبانيه ، ودار على ألسن القائلين ، وخَفَّ على آذان السامعين))[٢] .

وقد تبدَّل أسلوب النثر الفني عند المرأة في صدر الإسلام ، بتبدل وقائع الحياة ومتطلباتها ، فلم يعد ينفع الأسلوب القديم في مواجهتها ، لذا كانت الخطوة التي خطاها النثر كبيرة ، إذ أصبح أداة من أدوات بناء الحضارة مع بقاء النزعة الجمالية التي أعتاد قلب العربي أن يهتَزَّ لها[٣] . ولئن كان ثمة خلاف حول متانة أسلوب المرأة آنذاك فمِمَّا لاخلاف فيه أن أسلوبها يتوقف على براعتها في اختيار المفردات وبناء الجمل وتسلسل التراكيب في وحدةٍ عضويةٍ وفنية . فضلاً عن قدرتها في تنويع إستخدامها للأساليب ومّما يُلاحَظ أن أسلوب النثر الفني عند المرأة آنذاك جاء موافياً لتلك الصفات كما كان يساوق الطبع ويوائم السليقة ، سهلاً ومبتعداً عن المبالغة ، بما فيه من تنوعٍ للأساليب فقد أستخدمت عُكرشة بنت الإطرش أسلوب النداء في خطبتها قائلة :

((أيُّها الناس عليكم أنفسكم لايضركم من ضَلَّ إذا اهتديتم ...))[٤].

وتعرج في آخر خطبتها الى النداء نفسه في أسلوب أنشائي فتقول :

((... يامعشر المهاجرين والأنصار أمضوا على بصيرتكم واصبروا على عزيمتكم ..))[٥] .

وهو أسلوب أستخدمتُه لتلفت الأنتباه ولتستنهض الهمَم ، فتُشعِرُ المخاطبين بالمسئوولية الملقاة على عاتِقِهم وتدفعهم الى الإصلاح والإفاقة من الضلال ، ثم تحفزهم على القتال والتضحية بأن تزين لهم أجر الجهاد وهو الجنّة ، فتوصف لهم نعيم الحياة الآخرة وخلودها في أسلوب من التوكيد باستخدام ((إنَّ)) المؤكِدة ، فتقول :

((... إنَّ الجنة لايَرحَلُ من أوطنها ، ولايَهْرَم من سكنها ، ولايموت من دخلها فابتاعوها بدار لا يدوم نعيمها ، ولا تنصرم همومها ...))[٦] .

---

(١) أدب النساء في الجاهلية والإسلام : محمد بدر معبدي ، ص١١٣ .
(٢) بحث في نقد الأدب العربي ، ص٥٩-٦٠ .
(٣) ينظر الفن ومذاهبه في النثر العربي : شوقي ضيف ، ص٤٢ ومابعدها .
(٤) ينظر خطبة عكرشة بنت الأطرش ، ص   من الفصل الثاني .
(٥) المصدرنفسه .
(٦) ينظر خطبة عكرشة بنت الإطرش ، ص   من الفصل الثاني .

كما نجد الأسلوب نفسه في خطبة السيدة زينب بنت علي بن أبي طالب الى أهل الكوفة إذ تُنَبهَهُم الى غدرهم وخذلانهم في قولها :

((أما بعد يا أهل الكوفة يا أهل الختل والغدر ...))[١] . ثم تجنح في آخر خطبتها لتذكرهم بالآخرة وماينتظرهم من عذاب وبقدرة الله وحسابهِ ، في أسلوب التوكيد مُستخدمة لام التوكيد : ((... ولعذاب الآخرة أخزى وهم لايُنصَرون ..))[٢] ثم تقول مؤكدة باستخدام (إنَّ المؤكدة ، ولام التوكيد) : ((... كلاَّ إنَّ ربك لنا ولهم لبالمرصاد ..))[٣] وممّا لاشك فيه أنَّ الأديبات بعد أنْ ثقفن أسلوب القرآن الكريم وأحاديث الرسول (ﷺ) فتَأثَرْنَها ونهجن على منهاجها ، قد اقتبسن منها الكثير من الألفاظ والتراكيب ، حتى أننا لنرى الآية المقتبسة من القرآن تدخل أسلوبهن فُتِعمَّهُ نوراً وتكسَوهُ روعةً وجمالاً[٤] وربما أقتبستها الأديبة لَتستَدِلَّ بها على كلامها ولتُقَوّي حُجَّتَها .

كما انَّ مايُميِّز أسلوب الخطيبات الشيعيات هو مايشيع في محاوراتهن من ضرب الأمثال الحكيمة كقول دارميّة الحجونية : ((... ماءٌ ولا كصداء ... ومرعى ولا كالسعدان ..))[٥] وذلك مايحكم لأسلوبهن بالروعة والجمال حيث ((يدخل في روعة الأسلوب براعة الكاتب في حُسن المأخذ والتضمين ، وبعبارةٍ أجلى ، إقتباس آيةٍ أو حديثٍ ، أو مثلٍ سائر أو كلمةٍ غامرة ، تونِقُ الإسماع وتُصغِي إليها القُلُوب))[٦] .

الموسيقى :

لاشكَّ أنَّ للموسيقى أهميتها ومنزلتها في الشعر العربي ، فهي أداة فنية مُعبِّرة عن الإحاسيس والمشاعر بتأثيرها وبشكلٍ خاص يختلف عَمَّا يُثيرهُ النثر ، فالموسيقى ((لُبُّ الشعر وعماده الذي لاتقوم لَهُ قائمة بدونِهِ))[٧] .

ويستطيع القاريء أن يقف من خلال موسيقى الشعر على أبعاد العملية الشعرية ، من نفسية ذاتية ولفظية وفكرية ، ولعل في موافقة الشاعرة لحركة القافية وحركات الإلفاظ قبلها والتجانس الدقيق بينهما واختيارها لحروف خاصّة تناسب الغرض الذي وضعت أبياتها من أجلهِ والذي يُسمَّى بالموسيقى الداخلية[٨] .

---

(١) ينظر خطبة زينب بنت علي بن أبي طالب ، ص   من الفصل الثاني .
(٢) ينظر خطبة زينب بنت علي بن أبي طالب ، ص   من الفصل الثاني .
(٣) المصدر نفسه .
(٤) ينظر خطبة فاطمة الزهراء ص ، وخطبة زينب ص ، وخطبة ام الخير بنت الحريش ص .
(٥) ينظر محاورة دارمية الحجونية ، ص٢٣٤ من كتاب طبائع النساء : لابن عبد ربه . وهي امرأة من بني كنانة كانت تنزل بالحجون ، وكانت سوداء كثيرة اللحم ، سأل عنها معاوية عندما حَجَّ فأُخِبَر بسلامتها فبعث إليها فجيء بها وقد حاورتهُ بأسلوبٍ ينمُّ عن بلاغتها ، وقد كانت من مُحبي علي بن أبي طالب ومواليه .
(٦) بحث في نقد الإدب العربي ، ص٧٢ .
(٧) فصول في الشعر ونقده : شوقي ضيف ، ص٢٩ .
(٨) ينظر بناء القصيدة في النقد العربي القديم : يوسف بكّار ، ص١٩٤- ١٩٥ .

إنعكاسٌ واضحٌ لحالة الشاعرة الوجدانية في نغمةٍ موسيقيةٍ خاصّة ، وقد بان هذا التوافق بوضوح في أبيات أُمُّ خالد النميرية وهي ترثي ولدها الذي توفيَ في إحدى الغزوات ودُفِنَ بالغُربَة إذ تقول :

إذا ماأتتنا الريحُ من نحو أرضهِ   أتتنا برياهِ فطاب هبوبُها

أَتَتْنَا بمسكٍ خالطَ المسكَ عنبرٌ   وريح خزامى باكَرْتها جَنوبُها

أحنُّ لذكراهُ إذا ماذكرتَهُ   وتنهلُّ عبراتٌ تفيضُ غُروبُها

حنينَ أسيرٍ نازحٍ شُدَّ قيدُه   وإعوالَ نفسٍ غابَ عنها (١)

فقد لائمت الشاعرة بين حركة وحروف القافية وغيرها من الألفاظ في أبيات القصيدة ، إذ نجد أنَّ حروف قافية أبياتها تَضُمُّ (الواو والباء والهاء والألف) ومن بينها (الواو والألف) وهما حرفا مد ، وكلما اشتملت القافية على حرف مد يعني تشكيل قيمة موسيقية خاصّة ، فما بالك وقد أكثرت الشاعرة من تلك الحروف كثرةً واضحةً ، فقد تكررت الألف والواو الممدودتين مراتٍ كثيرة ، ثم هنالك إقتران الهاء بهما ((وهذهِ الحروف هي التي تشكل أصوات الندب مثل ، واه اه ... إنّ هذهِ الهاءات في مقطوعة أُمُّ خالد النميرية هي آهات إنطلقت من قلبها الملتاع ، ونلحظ أنَّ الهاءات في نهاية الإشطار الأولى (أرضه ..) (ذكرته) (قيده ..) هي ضمير الغائب الذي هو ابنها ، ولاشك أن نطق الأم بهذه الهاءات ذو قيمة خاصّة في نفسها))(٢) . وقد تَمثَّل ذلك كُلَّهُ في شعر النساء نظراً لرشاقة أُسلوبهن والعفوية الصادقة البعيدة عن المبالغة والتكُّلف ((ثم إنَّهُ مما يُلاحَظ كثرة الأوزان الخفيفة في أشعارهن والضربات القصار))(٣) .

وربما وجدنا ذلك واضحاً في مقطوعة هند بنت عتبة وهي تبكي أباها :

ياعَينُ بَكّي عُتبَهْ شيخاً شديدَ الرّقبَهْ

---

(١) شاعرات العرب : بشير يموت ، ص١٨٢ ، وينظر معجم النساء الشاعرات ، ص٢٩٢ ، لم نعثر للشاعرة على ترجمة في المصادر وبالتالي لم نعرف بأي عصر قالت أبياتها إلاَّ أننّا نُرَجِّح بكونها إسلامية ، لأنّ للشاعرة بيتاً من الشعر في شاعرات العرب لبشير يموت ، ص١٨٢ يحوي معانٍ وألفاظٍ إسلامية (كالتقوى ونبذ الخمر) إذ قالت تفخر بابنها :

وكيف يساوي خالداً أو ينالّهُ   خميصٌ من التقوى بطينٌ من

فهي تأبى أن يساوي أبنها من كان جائعاً الى التقوى وشبعاناً من الخمر ، فكيف تكون الشاعرة جاهلية وهي تنفي عن أبنها صفة الخمر وهي ماعُرِفَ بها العرب وتباهوا كونها فيهم .ومع ذلك فإننا يمكن أن نَعُدُّ أبياتها أنموذجاً لشعر المرأة يفيد ماجئنا بهِ من آراء بغض النظر عن العصر التي قيلت فيه .

(٢) رثاء الأبناء في الشعر العربي : مخيمر صالح موسى ، ص١٩٧ .

(٣) المرأة في الشعر الجاهلي : علي الهاشمي ، ص٣١١ .

يطعم يومَ المسْغبهْ يَدفعُ يومَ المغْلبَهْ
إنّي عليهِ حَربَهْ مَلهوفَةٌ مُسْتَلَبَهْ
لِنَهْبِطنّ يَثربَهْ بغارةٍ مُنْتَعِبَهْ
فيهِ الخيولُ مُقرَبَهْ كُلُّ سَوادِ سَلْهَبهْ[1]

وليست الموسيقى الخارجية (الوزن والقافية) كل شيء في موسيقى شعر المرأة ، فهناك الموسيقى الداخلية أيضاً وهي لاتقل أهمية عن الموسيقى الخارجية ، بل ((تحكمها قيم صوتية باطنية أرحب من الوزن والنظام المجردين))[2] ولكنهما يشكلان معاً في القصيدة الشعرية نظاماً موسيقياً متكاملاً ، ومن مكونات الموسيقى :

١ ـ الترصيع :

ويُعَدُّ من نعوت الوزن[3] الذي يشكل بالنسبة للقافية الشق الثاني للموسيقى الخارجية في القصيدة ، والترصيع ((هو عبارة عن مقابلة كل لفظة من صدر البيت أو فقرة النثر بلفظة على وزنها ورويها))[4] . يعني أن تتوخى الشاعرة فيهِ تصيير مقاطع الأجزاء في البيت على سجع أو شبيه بهِ أو جنس واحد في التصريف[5] .

وقد وجِدَ مثل هذا الترصيع في شعر المرأة ، فللخنساء أبياتٌ في أخيها نجدها قد ساوت بين الإلفاظ في البناء ، وجعلتها تتفقُ في الإنتهاء ، مع الإتفاق في وزن الكلمات في كلٍ من جزأي القصيدة ، فلا تحسُّ باستكراهِ في القوافي أو تكلُّفٍ في المعاني وهذا مالاحَظَهُ أبن طباطبا حيث يقول : ((فمن الإشعار المحكمة المتقنة المستوفاة المعاني ، الحسنة الرصف ، السلسلة الإلفاظ ، التي خرجت خروج النثر سهولةً وانتظاماً ، فلا أستكراه في قوافيها ، ولاتكلُّف في معانيها ، كقول الخنساء))[6] .

آبي الهضيمةِ ، آتٍ بالعَظيمَةِ ، فـِ الكريمَةِ ، لانِكسٌ ، ولا وانِ
حامي الحقيقةِ ، بسّالُ الوديقة ، ـتاقُ الوسيقةِ ، جَلدٌ ، غيرُ ثُنيانِ
طلاّعُ مَرقبَةٍ ، منّاعُ مَغْلقَةٍ وَرَّادُ مَشربةٍ ، قَطّاعُ أقرانَ
شَهّادُ أنِديةٍ ، حَمّالُ الويةٍ قَطّاعُ أودِيَةٍ ، سِرحانُ قِيعانِ[7]

ومثلها صنعت ليلى الإخليلية بقولها :

---

(١) شرح ديوان الخنساء ، ص١٨٩ .
(٢) بناء القصيدة : يوسف بكّار ، ص١٩٣ .
(٣) نقد الشعر : لقدامة بن جعفر ، ص٣٢ .
(٤) خزانة الأدب : للحموي ، ص٤٢٢ .
(٥) نقد الشعر ، ص٣٢ .
(٦) عيار الشعر : لابن طباطبا ، ص٤٨-٤٩ ، ٥٤ .
(٧) ديوان الخنساء ، ص١٠١-١٠٢ . وينظر شعر الخنساء ، ص١٩١ .

وقد كان طَلاّع النجادِ وبيّن اللّـ   ـسان ، ومِدلاج السرى غيَرَ
نا[1]

ولاشك في أنّ قِلَّة شواهد شعر المرأة عليه دليلٌ واضح على وعورتهِ وعلى مافيهِ من تكلُّف وتعمُّق في الصنعة ، لأن الترصيع وكما قالوا ((لايحسن في كل موضع ، ولايصلح لكل حال ، ولايحمد إذا تواتر واتصل في القصيدة لدلالتهِ على التكلُّف والتعمل ، بل يحسن إذا اتفقَّ لهُ في البيت موضعٌ يُليقُ بهِ))[2] .

٢ ـ التكرار :

وهو الوسيلة الموسيقية الأخرى لتنويع أنغام القصيدة ، والتي تَنُمُّ عن المهارة الفنية التي تبني الشاعرة عليها الشكل الفني لأبياتها الشعرية ، فالتكرار هو ((أن يكرر المتكلم اللفظة الواحدة باللفظ والمعنى ، والمراد بذلك تأكيد الوصف أو المدح أو الذم أو التهويل أو الوعيد أو الإنكار أو التوبيخ أو الإستبعاد أو لغرضٍ من الإغراض))[3] .

ومن إشكالهِ تكرار حرفٍ في بيت أو في جميع إبيات القصيدة ، أو تكرار كلمةٍ ما أو انّهُ تكرارٌ لتركيبٍ معين ، ومن خلال أستعراضنا لأشعار المرأة في القرن الإول وجدناها تتناول هذه الإداة الفنية بتلك الإشكال وهي :

أ ـ تكرار اللفظ : ربما تعمد الشاعرة الى تكرار لفظ معين لغايةٍ في نفسها ، كأظهار حزنها والتأكيد عليه مثلاً بترديد أسم من فَقَدتَهُ على سبيل الرثاء أو لغرض التعظيم والتفخيم فتؤكد على ممدوحها ، أو لغاية الإستعطاف ، فتؤدي بذلك قيمة تعبيرية تزيد من الدفقات الموسيقية لعنصر الموسيقى في أبياتها ، وفي إبيات بنت يزيد بن قرّة وهي تستعطف الحجّاج في أبيها تكرار للفظ (الحجاج) بشيء من التفخيم ، إذ تقول :

أحجاجُ كم تفجع بهِ إنْ قتلتهُ   ثماني عشر واثنتين وأربعا
أحجاجُ لو تسمع بكاءَ نسائهِ   وعمّاتهِ يندبنَهُ الليلَ أجمعا
أحجاجُ مَنْ هذا يقومُ مقامَهُ   علينا ، فمهلاً لاتزدنا تضعضعا
أحجاجُ هِبْهُ اليومَ للهِ وحدهُ   وللباكيات الصارخات تَفجُّعا[4]

وأغلب الظن ، أنَّ أبياتها هذهِ لم تكن لتكسب بها أستعطاف الحجاج لو لم تكن قد صاغتها بتلك النغمة الموسيقية .

ب ـ تكرار التركيب : لاشك في أنَّ هذا النوع من التكرار في الشعر يُعدُّ أكثر أرتباطاً بعاطفة الشاعر وأحاسيسِهِ ، إذْ ((لهذا النوع من التكرار وظيفتان ، وظيفة نغمية كالتي يقوم بها النوع المتقدم وأُخرى بيانية تؤدي الى تركيز ذهن

---

(١) ديوان ليلى الإخليلية ، ص٨٣ .
(٢) بناء القصيدة : يوسف بكّار ، ص١٧٣ ، وينظر نقد الشعر : لقدامة بن جعفر ، ص٣٨ .
(٣) خزانة الإدب : للحموي ، ص١٦٤-١٦٥ .
(٤) أشعار النساء ، ص١٩١-١٩٢ .

المتلقي على معنىً معين . ولهذا فإن مايتكرر ليس مجموعة صوتية خالية من الدلالة بل يكون لفظاً أو تركيباً ذا معنى))[1] أثارَهُ الشاعر ليكشف عن دلالتهِ النفسية ، وظهرت قيمة تلك الدلائل بهذهِ التساؤلات المتكررة في مقطوعة جويرية بنت الحارث حيث تقول :

يامَنْ أحسَّ بُنَيَّيَّ اللّذين هُمَا كالدُّرتين تَشَظّى عَنْهُما الصَّدَفُ
يامَنْ أحسّ بُنَيَّيَّ اللّذين هُمَا قلبي وطرفي فقلبي اليومَ مُخْتطَفُ
يامَنْ أحسَّ بُنَيَّيَّ اللّذين هُمَا مُخُّ العظام ، فمُخّي اليومَ [illegible][2]

فقد عكست هذهِ الأبيات حالة الشاعرة التي تعيشها بين مُصدِّقَة للحدث ومُكَذِّبَة لهُ ، بتكرارها لتركيب ((يامنْ أحسَّ بُنيَّيَّ اللّذين هُمَا)) ، لذا فإن التكرار لايقتصر على قيمتهِ الموسيقية ، بل لهُ دلالة أُخرى فهو ((في حقيقتهِ إلحاحٌ على جهةٍ هامّةٍ في العبارة يعني بها الشاعر أكثر من عنايته بسواها ، فالتكرار يسلط الضوء على نقطةٍ حسّاسةٍ في العبارة ويكشف عن أهتمام المتكلم بها وهو بهذا المعنى ذو دلالة نفسية قيّمة))[3] .

ج - تكرار الحرف : وممّا جاء في تكرار الحرف قول عمرة بنت دريد بن الصُمّة في مقتل أبيها وتأكيدها على حُسنِ صفاتهِ وطيبَ خلقهِ :

فَرُبَّ كريمةٍ أعتقتَ منهم وأُخرى قد فَكَكْتَ من الوثاقِ
وَرُبَّ منوه بك من سُلَيم دعاكَ فقد أجِبْتَ بلا رِماقِ
وَرُبَّ عظيمةٍ دفعت عنهم وقد بلغت نفوسهم التراقي[4]

إذ يلاحظ ان الشاعرة قد بنت ابياتها على تكرار الحرف ((رُبَّ)) ، وهذا التكرار يُعبِّرُ فضلاً عن مهارة الشاعرة في صياغتها الموسيقية للأبيات ، عن قدرة المرأة الشاعرة في القرن الأول الهجري وبراعتها في صياغة هذا النغم من التكرار حتى في الحرف ، إلاّ أننا لانعدم ماجُبِلَتْ عليه الشاعرة في ذلك من الفطرة والسليقة دون الإعداد والتنقيح .

٣ - الطِباق :

قد يكون من مظاهر موسيقى القصيدة الداخلية ، فضلاً عّما ذكرنا من الترصيع والتكرار مانجدهُ من أهتمام النُقّاد والبلاغيين القدامى بالمُحسنات اللفظية ومنها

---

(١) شعر المرأة : شاكر محمود ، ص٢٠٨ .
(٢) التعازي والمراثي : للمبرد ، ص٧٠ .
(٣) قضايا الشعر المعاصر : نازك الملائكة ، ص٢٤٣ .
(٤) بلاغات النساء ، ص١٩٧ . وهي عمرة بنت دريد بن الصمّة سيّد بني جُشم الذي قُتلِ يوم حنين في حروب الإسلام قتلهُ عبد ربيعة بن رفيع سنة ثمان للهجرة . ينظر شرح ديوان الخنساء ، ص١٦٦ .

الطِباق مّما يُساعد على إضفاء الجرس اللفظي للقصيدة وهو ((الجمع بين الضِدّين في كلامٍ أو بيت شعر كالإيراد والإصدار والليل والنهار والبياض والسواد ..))[1] .

وقد كان لشعر المرأة - في القرن الذي نحن بصدده - نصيبٌ وافرٌ من ذلك التماثل

إذ أننا نجد في قول ليلى العامرية :

باحَ مجنونُ عامرٍ بهواهُ وكتمتُ الهوى فَمُتُّ بوجدي[2]

طِباقاً جاءت بهِ الشاعرة في شطري البيت الشعري ، وهو طباقٌ أتى بألفاظ الحقيقة فقولها (باحَ - كتمتُ) يجري مجرى الحقيقة إذ أنَّ في الهوى بوحٌ وكتمان أمّا في ماجرى مجرى الإستعارة وأتى بألفاظ المجاز تقول فاطمة بنت محمد (f) :

فَلْيَبْكِهِ شَرْقُ البلادِ ولتَبْكِهِ مُضَرٌ وكلَّ

[illegible] [3]

إذ وازنت بين الصدر والعجز بعلاقتي الطِباق ، فالمطابقة بين (الشرق والغرب) في الصدر و (مضرٌ ويمانِ) في العجز ونسبتهما الى البكاء على سبيل المجاز . وربما أطلقَ بعض البلاغيين على هذه العلاقة بـ (التكافؤ) إذ قالوا : ((المطابقة ضربان ضربٌ يأتي بألفاظ الحقيقة وضربٌ يأتي بألفاظ المجاز فما كان بلفظ الحقيقة سُمِّيَ طِباقاً وماكان بلفظ المجاز سُمِّيَ تكافؤاً))[4] .

وقد توغل الشاعرة في هذا النوع كما جاء في أبيات عشرقة المحاربية :

فما لَبِسَ العُشّاقُ من حُلَل الهوى ولاخلعوا إلاّ الثيابَ التي أبلي
ولاشَرِبُوا كأساً من الحُبِّ مُرّةً ولاحُلوةً إلاّ شرابُهُم فَضِلِي[5]

فالمطابقة في أول البيت في قولها (لبس وخلعوا) ، وفي الثاني (مُرّةً وحُلوةً) جرت مجرى الإستعارة إذ ليس في الهوى ولافي حُلَلهِ مايُلبس أو يُخلَع ولا في الحُبِّ أو في كأسهِ مايُذاق بحاسَّة الذوق .

وفي جانبٍ آخر قد تلجأ الشاعرة أحياناً الى صياغة موازنةٍ أُخرى لأبياتها تبنيها على الطِباق بين بيتين متتالين كما فعلت هند بنتُ عُتبَة في قولها :

إنْ تُقبِلوا نُعانِقْ ونَفْرِشُ النَمارِقْ

---

(١) خزانة الأدب : للحموي ، ص٦٩ .
(٢) شاعرات العرب ، ص١٥٨ .
(٣) زهر الآداب : للحصري ، ٧٠/١ .
(٤) خزانة الأدب : للحموي ، ص٦٩ .
(٥) شاعرات العرب : عبد البديع صقر ، ص٢٤٦ .

أوتُدبِروا نُفارقْ فُراقَ غيرَوامِقْ[1]

حيث أنك لاتكشف عن الطباق في أول البيت إلاّ إذا أردَفْتَهُ بالبيت الذي يليه وهو بين (تُقبِلوا وتُدبِروا) وفي ذلك دلالةٌ واضحة على قابلية المرأة الشاعرة آنذاك وبراعتها في صياغة هذا النوع من الجرس اللفظي .

٤ - الجِناس

وهو ((أنَّ رُكني الجِناس يتفقان في اللفظ ويختلفان في المعنى))[2] .

((فلا تعتمد موسيقى القصيدة على نظام المقاطع في الأبيات أو نظام القوافي في آخرها فقط ، إنما تشمل أيضاً ظاهرة الجِناس التي هي عبارة عن تَردُّد الأصوات المتماثلة أو المتقاربة في مواضع مختلفة))[3] .

وتكاد لاتخلو أبيات حميدة بنت النعمان من هذهِ الظاهرة ، فقد قالت في زوجها الفيض :

ألا يافيضُ كنت فيضاً فلا فيضاً وَجدتَ ولافُراتَا

وتقول :

وليسَ فيضٌ بفيّاضِ العطاءِ لنا لكنَّ فَيْضاً لنا بالسلحِ فَيَّاضُ[4]

إذ صاغت الشاعرة في البيتين علاقةً بين أسم زوجها المهجو الفيض بن محمد بن الحكم وبين مايوحي بهِ أسمهُ من معانٍ تساعدها في إقامةِ علاقة جِناس بينهما .

واستغلت الشاعرة مرةً أُخرى تلك العلاقة مع اسم زوجها - روح بن زنباع - في أقامة ذلك الجِناس :

سُمِّيتَ رَوْحاً وأنَتَ الغَمُّ قد عَلِموا لارَّوحَ اللهُ عن روحِ بن زنباعِ[5]

كما استخدمت ليلى الأخيلية الجِناس نفسه في هجاء النابغة :

أنابغَ لم تنبغْ ولم تكُ أوّلاً وكنت صُنُياً بين صِدَّين مجهلا

أنابغَ اِنْ تنبغْ بلؤمكَ لاتجدْ للؤمك إلاّ وسط جعدةَ مجعلا[6]

بَقيَ أن نُضيف أنَّ الجِناس قليلٌ في شعر المرأة في القرن الأول بالنسبة الى الطِباق - مع قِلَّتِهِ أيضاً - وفي ذلك اِشارة الى عفوية الشاعرات آنذاك في بناء صورهن الشعرية ، لأن الطِباق ذو علاقة بالمعنى أمّا الجِناس فيكاد يَنصَّب دَورَهُ

---

(١) الأغاني ، ٣٩١/١٢ .
(٢) خزانة الأدب ، ص ٢٣ .
(٣) بناء القصيدة ، ص١٩٧ .
(٤) بلاغات النساء ، ص٩٨ .
(٥) بلاغات النساء ، ص٩٧ .
(٦) ديوان ليلى الأخيلية ، ص١٠٢ .

على الشكل اللفظي[1] .

وصدى ذلك نجدهُ في قول حميدة بنت النعمان معتمدة على تجنيس الحروف بين الكلمات :

بكى الخزُّ من روحٍ وأنكر جلدهُ وعجَّتْ عجيجاً من جذامٍ ... [2]

فقد حاولت الشاعرة أن بين (عجَّتْ وعجيجاً) لتجعل هناك تتابعاً لحرفي العين والجيم ، ممّا يدلُّ على أمتلاك الشاعرة قدرة لغوية في اِستدعاءالألفاظ ذات الأصوات المتشابهة في سياقٍ من العبارة المحكمة ، ممّا حقّقَ تجانساً صوتياً واضحاً في جرس البيت الشعري .

أمّا في النثر فنحنُ ((إزاء شكل من النثر جديد ، تجاوز الشكل السابق الذي كان السجع عنصراً حاسماً من عناصر تكوينِهِ وقائماً بذاتِهِ ، ولكنَّ السجع لم يتوارَ كلية وإنما لم يعد يراد بهِ أن يكون قوام النثر وإنما سبيله أن يجيء عفو الخاطر أو حلية يزان بها الكلم دونَ أن تُقصَد أو تنشَد كأسلوب أو طريقة))[3] .

كمحاورة دارمية الحجونية مع معاوية والتي تجنحُ فيها الى السجع المُحبَّب تارة والى الإزدواج والموازنة تارةً أخرى وهي تُعلِّل حبها للأمام علي بن أبي طالب فتقول : ((... فإني أحببتُ عليّاً على عدلِهِ في الرَّعية ، وقَسْمهِ بالسويَّة ، ... وعلى حُبِّهِ المساكينَ ، وإعظامِهِ لأهلِ الدين ، ...))[4] ثم علّلت كراهيتها لمعاوية قائلة : ((... وعاديتك على سفكك الدماءَ ، وشقك العصا ، وجَوْرك في القضاء ، وحكمك بالهوى))[5] . وكخطبة السيدة فاطمة الزهراء التي جاءت فيها بالسجع المفرد والمزدوج ، ومن ذلك قولها : ((... لو مالوا عن المحجة اللايحة ، وزالوا عن قبول الحُجَّةِ الواضحة ، لَردَّهُم إليها ، وحَمَلَهُم عليها ...))[6] وقولها أيضاً : ((... يَدَعُ فَيئكُم زَهيداً ، وجَمْعكُم حَصَيداً ..))[7] .

أمّا في خطبة صفية بنت هشام المنقرية في تأبين زوجها[8] نَلمَحُ قطعةً بلاغيةً ، تَنُمُّ عن تأثُّر الأديبة بالقرآن ومحاكاتهِ في تحقيق التوازن والأنسجام الصوتي حيث جاءت جملها متسلسلة متتابعة وعلى نسقٍ واحد ذات ايحاء موسيقي يبعَثُ الإرتياح في النفس معتمدة الأزدواج وهو نوعٌ من الموسيقى قريبٌ من الترصيع ، لكنّ الفرق بينهما هو أنَّ الثاني يحدث في الشعر والنثر

---

(١) ينظر خزانة الأدب ، ص٢٣،٦٩ .

(٢) بلاغات النساء ، ص٩٦ .

(٣) الظاهرة الأدبية ، ص١٥٨ .

(٤) جمهرة خطب العرب ، ٢/ ٣٦٨ .

(٥) المصدر نفسه .

(٦) الإحتجاج ، ١/١٤٧-١٤٨ .

(٧) المصدر نفسه .

(٨) ينظر خطبة صفية بنت هشام المنقرية ، ص٥١-٥٢ من الفصل الثاني .

أمّا الإول فلا يحدث الاّ في النثر[1] وقد حقّقت في بعضها تجانساً صوتياً ينَمُّ عن قدرتها اللغوية التي أدّت قيمةً تعبيريةً تُزيدُ من الدفقات الموسيقية ففي قولها : ((لله دَرُّكَ من مُجَنٍّ في جُنَنِ ...))[2] وقولها : ((... وهو أهلٌ لحُسْنِ الثناء ، وطيب الثَّنا ..))[3] .

أوجدت علاقةً بين الكلمات ، حين جاءت بالتتابع الرائع لحروف الجيم والنون ثم الثاء والنون معتمدة على الجناس الذي أغنى الخطبة بالنبضات المنتظمة والتي تُقرِّبُها الى الأيحاء الموسيقي ((ولئن كانت مثل هذهِ الأقوال أو الخُطب لاتنطوي على سجع مُطرَد مقصود بذاتهِ ، فإنها تعتمد على فنون أُخرى من الصقل والتجويد والوقفات التي تصدر عن سليقة تجمع بين البلاغة والبيان والتبيين))[4] .

الخيال

ويُعدُّ الخيال العنصر الأول والأساس في تشكيل الصور الشعرية تشكيلاً جديداً إذ إنّ مّما لاشكّ فيهِ أن الشعر ليس مجرد ألفاظ وتراكيب وصور وإنما هو نَسجٌ من العواطف والإحاسيس والملكات يصنعها الخيال الإبداعي نتيجة سُلوك الأسلوب الشعري والذي لايُرجَعُ فيه الى الكلام ولا باعتبار إفادتهِ كمال المعنى ولا باعتبار الوزن ((وإنما يُرجَعُ الى صورةٍ ذهنّيةٍ للتراكيب المنتظمة كُليَّةٍ باعتبار إنطباقها على تركيبٍ خاصٍّ وتلكَ الصورةُ يَنتزعُهَا الذهنُ من أعيان التراكيب وأشخاصها ويصيرها في الخيال))[5] .

وهذا مايميز الشاعر المبدع عن غيرهِ ((وليس ذلك بالأمر الغريب فإننا عادةً مانَصِفُ إبداع الشاعر على أساس قُدرتِهِ الخيالية المتميزة . وعادةً مانذهب الى القول بأن خيال الشاعر الذي يُمكّنهُ من خلقِ قصائدٍ ، يَنِسجُ صورها من معطيات الواقع ، ولكنَّهُ يتجاوز حرفية هذهِ المعطيات ويعيد تشكيلها ، سعياً وراء تقديم رؤية جديدة متميزة للواقع نفسه))[6] .

وعلى هذا الأساس فالخيال الشعري نشاطٌ خلاّق ، لايستهدف أن يكون مايشكلَهُ من صور إنعكاساً حرفياً للواقع بقدر مايستهدف أن يدفع المتلقي الى إعادة التأمُّل في واقعهِ من خلال رؤية شعرية جديدة تستمد قيمتها من قدرتها على إثراء الأحساس وتعميق الوعي ، وهذا يعني أنّ مصدر الخيال يُكمن بالبيئة المحيطة بالشاعر وملامحها ، إذ تختزن ذاكرته تلك الملامح ثم يخلق الخيال فيه صورةً

---

(١) ينظر النقد اللغوي عند العرب ، ص٢٩٧ .
(٢) زهر الآداب ، ٧٠١/٣-٧٠٢ .
(٣) المصدر نفسه .
(٤) الظاهرة الأدبية ، ص١٥٨ .
(٥) مقدمة ابن خلدون ، ص٥٧١ .
(٦) الصورة الفنية في التراث النقدي البلاغي : جابر أحمد عصفور ، ص١٨ .

جديدةً منها ((فالبيئة قوام الخيال ومادته))[1] . ولعل هذا مايُفسِّر واقعية الصور الشعرية في أدب المرأة في القرن الأول الهجري ، وقصورها عن التحليق على أجنحة الخيال لفقر بيئة الشاعرة في تلوين المشاهد واختلافها ((وكلّما غنيت البيئة بمشاهدها وألوان صورها الطبيعية كانت أقدر على رفد الخيال بما يُغنيهِ في رسم الصور الفنية المتخيلة وأبداعها))[2] .

يُضافُ الى ذلك أنّ بيئة الشاعرة آنذاك هي بيئة إسلامية ،((وقد أبطلَ الاسلام دواعي ونزعات الجاهلية ، فصار على الشعر أن يَستمدَّ معانيه وأغراضَهُ من طبيعة الظرف الجديد . فَوفِّقَ حيناً وخابَ في أكثر الأحايين . وقد كان لتلك الخيبة أثرها في خمول الشعر وضعفه))[3] . ((فضلاً عن هذا وذاك فإن بعض شعر النساء في عصر الإسلام لم يَنضِمنَهُ شعراً قدر مانُظِّمَ ليكون أهزوجة وكلاماً يُردَّد))[4] .

ولنا في أبيات صفية بنت عبد المطلب في الجاهلية ثم في الإسلام - وهي شاعرة مخضرمة - مصداقٌ لمِا ذهبنا إليه ، إذ يكشف ما لأبياتها في عصر ماقبل الإسلام من صورٍ مكتَظَّة بالإستعارات وما آتَّسمَتْ بهِ في الإسلام من ميلٍ الى التقريرية والمباشرة ، فمن أبياتها التي ترثي بها أباها في عصر ماقبل الإسلام قولها :

أرقتُ لِصَوْتِ نائِحَةٍ بليْلٍ ... على رَجُلٍ بقَارعَةِ الصّعَيدِ

....

....

على الفيَّاض شَيْبَة ذي المَعالِي ... أبيكِ الخَيرْ وَارثِ كُلّ جُودِ

صَدُوقٍ في المواطِنِ غَيرَ نِكْسٍ ... ولاشَحْبِ المقَام ولا سَنيدِ

طَويل الباع ارْوعَ شَيْظميٍّ ... مُطاعٍ في عشيرتهِ حَميدِ

رفيعِ البَيتِ أبْلَجَ ذِي فُضُولٍ ... وَغَيْثِ النَّاس في الزَّمَن الحَرُودِ[5]

أمّا في الأسلام فقالت ترثي الرسول (ﷺ) :

عَيْن جُودي بدمعةٍ وسُهُودِ ... وانْدُبي خيرَ هالكٍ مَفقُودِ

واندُبي المصُطفى بُحزنٍ شديدٍ ... خالَطَ القلبَ فهو كالمعموُدِ

---

(١) الشعراء نقاداً : عبد الجبار المطلّبي ، ص١٦٥ .
(٢) المصدر نفسه ، ص١٦٥ .
(٣) شعر المخضرمين وأثر الأسلام فيه : يحيى الجبوري ، ص٤٥ .
(٤) شعر المرأة ، ص٢٢٣ .
(٥) شرح ديوان الخنساء ، ص١٣٤ .

كدتُ أقضي الحياةَ لّما أتاهُ   قدرٌ خُطَّ في كتابٍ مجَيدِ
فلقد كانَ بالعبادِ رَؤُوفاً   ولهُم رحمةً وخيرَ رَشيدِ
رَضِيَ اللهُ عنهُ حيّاً وَمّيتاً   وجَزَاهُ الجِنانَ يومَ الخُلُودِ[1]

فالمقارنة واضحة بين النصيّن ، حيث أكثرت الشاعرة في النص الأول من الإستعارات من مثل (الفيّاض ، طويل الباع ، أروع ، رفيع البيت) .
أمّا أبياتها في النص الثاني فقد صَبَّتها في تقرير خطابي منظوم ينأى بهِ عن الخيال الشعري الواسع . وقد لايصحُّ هذا القول على بعض شاعرات العصر الأموي ومنهن ليلى الأخيلية التي كان لها من الشعر مايُجَسِّدُ صوراً رائعة تجسيداً حيّاً موحياً ففي قولها :

ومُخرّقٍ عنهُ القميصُ تَخالَهُ   وَسَطَ البيوتِ مِنَ الحَياءِ سَقِيمَا
حَتّى إذا بَرِزَ اللواءُ رأيتَهُ   تَحتَ اللواءِ على الخميسِ [illegible][2]

تُقدِّم صورةً فريدةً لفتاها مجسدةً فيهِ أسمى شمائل الفتوّة وهي : الحياء والعِفّة والسخاء والزعامة ، ولكنّ هذهِ الشمائل لم تدل عليها الشاعرة في كلام إخباري تقريري ، وإنّما أوحَت بها صورٌ فرعية كصورة الفتى المخُرَّق الثياب ، تعبيراً عن سخائهِ الذي لم يترك لهُ شيئاً غير الثياب المُمَزَّقَة ، وصورة هذا الفتى الذي لايتطلع الى جاراتهِ حياءً حتى لتخالَهُ سقيماً من سكونِهِ وعُزلَتِهِ . أما صورة البيت الثاني فقد جَسَّدَت فيها صورة الفتى الشجاع زعيماً قائداً حين يبرز الى القتال ، فالبيتان بصورهما يَنُمَّان عن خيال الشاعرة الواسع وقدرتها على تَجسيدِهِ تجسيداً حيّاً موحياً يبعِدُ عن التقريرية المباشرة التي كثيراً ما لجأت اليها شواعر القرن الأول للأسباب الآنفة الذكر ، وليس معنى ذلك أن جميع الشعراء قد نهجوا ذلك النهج ((وإنما مَعناهُ أنَّ الحياةَ الروحية الجديدة لم تنفصل عن حياتهم الفنية ، بل أثَّرت في كثير من جوانبها وطوَّرتها ، وظهر هذا التطور في صورٍ مختلفة))[3] في حين ((عادَ الشعر الجاهلي في آواخر القرن الأول - فيما يبدو - يشغل الأذهان من جديد ، ويفرض اِحترامَهُ مرّةً أخرى بحيث صارَ الأنموذج الذي يجب أن يُحْتَذَى ، والمثال الذي ينبغي أن يُقْتَدَى))[4] .
وبناءً على ذلك يمكن أن نقسم أنماط الأخلية التي عبَّرت عنها الشاعرة في القرن الأول الهجري على قسمين :

أ - أخيلة إسلامية

---

(١) طبقات ابن سعد ، ٩٦/٢ .
(٢) ديوان ليلى الأخيلية ، ص١١٠ .
(٣) التطور والتجديد في الشعر الأموي : شوقي ضيف ، ص٦٢ .
(٤) الصراع بين القديم والجديد في الشعر العربي : محمد حسين الأعرجي ، ص١٨ .

ب ـ أخيلة تقليدية

أ ـ أخيلة أسلامية

وهي الأخيلة التي ظهرت بظهور الإسلام ومنها :

١ ـ تخيل ما يتعلق بحتمية الموت أو طلب الشهادة في سبيل الله ، كقول حفصة بنت عمر بن الخطاب في رثاء أبيها :

أكظِم الغِلّة المخالطة وأعزّي وفي القرآن
لَمْ تكن بغيةٌ وفاتك وَجدًا إنْ ميعاد من ترى [1]

وفي ذلك تقول أيضاً هند بنت زيد راثيةً حجر بن عدي :

ألا ياليت حجراً مات ولم يُنحَر كما نُحِرَ البعيرُ
فانْ تهلك فكل عميد قومٍ الى هلكٍ من الدنيا [2]

وفي طلب الشهادة في سبيل الله تقول أم عمران بن حَطّان :

الله أيَّدَ عُمراناً وطهَّرَهُ وكان عمرانُ يدعو الله في
يدعوهُ سراً وإعلاناً ليُرزقهُ شَهادةً بيدي ملحادةٍ غدرِ[3]

٢ ـ تخيل صورة الثواب والعقاب ، والجنة والجحيم ، كقول صفية بنت عبد المطلب في أخيها حمزة :

دعاهُ إلهُ الحقِّ ذو العرشِ دعوةً الى جنّةٍ يحيا بها وسُرورِ

وتقول في الثواب :

أقول وقد أعلى النعيّ عشيرتي جزى اللهُ خيراً من أخٍ ونصيرِ[4]

وتقول عاتكة بنت زيد متخيلة صورة العقاب :

واللهُ ربِّي إنْ قتلتَ لمسُلِماً حَلّت عليك عقوبَة الْمتَعَمَّدِ[5]

وتتخيل الصورة نفسها زينب بنت العوّام قائلة :

قَتَلتُمْ حواريّ النبيَّ وصهرهِ وصاحِبَهُ فاستَبْشِرُوا بجحيمِ[6]

---

(١) بلاغات النساء ، ص٢٥ .
(٢) مروج الذهب : للمسعودي ، ١٢/٣ .
(٣) شعر الخوارج ، ص٤٠ .
(٤) السيرة النبوية : لابن هشام ، ١٧٦/٣ .
(٥) البداية والنهاية : لابن كثير الدمشقي ، ٢٦٠/٧-٢٦١ .
(٦) الإصابة : لابن حجر ، ٦٧٨/٧ .

٣- تصوُّر قضاء الله وقدره ، كما في قول ليلى الأخيلية :

فلا تُكَذِّب بوعدِ وآرضَ بهِ   ولاتوكَّلِ على شيءٍ بإشفاقِ
ولاتقولنْ لشيءٍ سوف أفعَلَهُ   قَدْ قَدَّرَ اللهُ ماكلُّ امرىءٍ لاقِ[1]

وفي قول أمُّ أيمن ترثي الرسول (f) :

وابكيا خَيرَ مَنْ رُزِئنَاهُ في الدُّن   ياومَنْ خَصّهُ بوحي السماءِ
بدموعِ غزيرةٍ منك حتّى   يقضي اللهُ فيك خيرَ القضاءِ[2]

ب ـ أخيلة تقليدية :

وهي الأخيلة التي تأثَّرت بها الشاعرة المسلمة عن شعر ماقبل الإسلام :

١ ـ تخيل صفة الحيوانات ، كقول ميسون بنت بحدل الكلبية إذ تصف زوجها معاوية بالعِلج وهو ماسُميَّ بهِ حمار الوحش :

وَخِرقٌ من بني عَميَّ نحيفٌ   أحبُّ إليَّ من عِلجٍ عَنيفِ[3]

وتصف أمُّ عمران بن حطّان ولدها بالهصر وهو الأسدُ الشديد فتقول :

وَلَيَّ صحابَتَهُ عن حرِّ مَلحَمةٍ   وشدَّ عمران كالضرغامةِ[4]

وكذلك في صياغةِ بيتين أرسلتهما أمرأة من أهل الشام الى زوجها وكان قد حضرَ طعامهُ مع الحجّاج يحملان تشبيهاً طريفاً في ذمِّهِ إذ تقول :

إذا غبْتَ لم تذكرُ صديقاً ولم تُقِمْ   فأنتَ على مافي يديك ضَنينُ
فأنتَ ككلبِ السوءِ جَوَّعَ أهلَهُ   فيهزلُ أهلَ البيتِ وهو سمَينُ[5]

٢- ذكر الصفات المتعلقة بالأحساب والأنساب ، مثل قول خولة بنت الأزور :

نحنُ بناتُ تُبّعِ وحِمْيَرْ   وضَربُنا في القومِ ليسَ يُنكَرْ[6]

وتقول عاتكة بنت عبد المطلب في رثاء الرسول (f) :

أعينيَّ جودا بالدموعِ السواجمِ   على المصطفى بالنورِ من آل[7]

---

(١) ديوان ليلى الأخيلية ، ص٩٢ .
(٢) طبقات أبن سعد ، ٩٨/٢ .
(٣) شاعرات العرب ، ص١٥٧-١٥٨ .
(٤) شعر الخوارج ، ص٤٠ .
(٥) جمهرة رسائل العرب ، ٢٣٠/٢-٢٣١.
(٦) النساء العربيات ، ص١٩٠ .
(٧) طبقات أبن سعد ، ٩٤/٢ .

٣- اِضفاء صفة الكرم والشجاعة ، كقول نُعم امرأة شمّاس في زوجها شمّاس :

يا عَينُ جودي بفيضٍ غير إبساسِ   على كريمٍ من الفتيان أبَّاسِ
صعبُ البديهةِ ميمونٌ نقيبتهُ   حمّالُ ألويةٍ ركّابُ أفراسِ
أقولُ لمّا أتى الناعي لهُ جَزَعاً   أودى الجواد وأودى المُطعِمُ الكاسي[1]

ومثلهُ قول خولة بنت الأزور في شجاعة أخيها ضرار :

لَوْ كانَ نَاصِرَنا في وَقْتِ شُدَّتِنَا   أعنِي ضِرَارَ الذي لِلحَربِ يُنتَدَبُ
وهوَ لَنَا فارسُ الهَيجَا وعادَتُهُ   الطَّعْنُ بالرُّمْحِ في الأعدا ويَنْتَهِبُ
مُرْدِي الكتائِبَ والكُفّارَ قاتِلُهُمْ   ومُهزِمُ الجيشَ إنْ كرُّوا وإنْ رَكِبُوا
لوْ كان يَسمَعُ صوتي صَاحَ بي مَهْلاً   فقد زالَ عنكِ البُؤسُ والكُرَبُ[2]

أمّا خيال الأديبة في النثر فقد بَدا مُستَمِدّاً صورَهُ ومعانيه من القرآن ، لأن ((القرآن الكريم كان أهم النصوص التي استقيت منها مقاييس الجمال في العبارة الأدبية ، وان جلّ مانراه من قوانين تتعلق بجودة الكلام أو قُبحهِ ، إنما إنْبنَتْ على عبارة القرآن واستنبطت منها))[3] .

لذلك نجد أنّ ماطبعتهُ الثقافة الأسلامية في نفوس الأديبات من قيمٍ عظيمة صاغتها صوراً مختلفة قد أهتدت بنور القرآن سلاسةً ووضوح قصد وسموّاً في الغرض فقد صاغت السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام إستعارةً لطيفة في خطبتها التي قالت فيها : ((... أستبدلوا والله الذنابى بالقوادم والعجز بالكاهل ..))

اِذ أرادت أن القوم أزاحوا صاحب الحق الشرعي في الخلافة وأجبروهُ على بيعة من هو دونَهُ في فضلٍ وعلمٍ وسابقةٍ في دين ، فكانوا بذلك كمن أستبدل قوادم الطائر بذنبِهِ ، واستعاض عن الكاهل - وهو مقدم أعلى الظهر مما يلي العنق - بالمؤخرة .

ولّما كان تعبيرها برغم الأنف مبتذلاً ، عَدِلَتْ عنه الزهراء الى قولها : ((... فَرُغماً لمعاطس قَومٍ يحسبون أنهم يحسنون صُنْعاً ..))[4] . وهي كنايةٌ عن الأنف بالمعطس . كما اِنَّ خطب الأديبات الوافدات على معاوية لاتخلو من صور الإستعارات والتشبيهات التي تأسر المشاعر وتملك شغاف القلوب ، ففي قول الوافدة الزرقاء بنت عدي لمعاوية : ((... إنّ

(١) السيرة النبوية ، ١٧٧/٣ .
(٢) شرح ديوان الخنساء ، ص١٤٨ .
(٣) النقد اللغوي عند العرب ، نعمة رحيم العزاوي ، ص١٢٧ .
(٤) الإحتجاج : للطبرسي ، ١٤٨/١ .

المصباح لايُضيءُ في الشمس ، ولاتنير الكواكب مع القمر ...)) .

شبّهت الإمام علي (□) بالشمس والقمر في الضياء وحسن البهاء تشبيهاً ضمنياً وفي قولها : ((... ألا وإنّ خضاب النساء الحِنّاء ، وخضاب الرجال الدماء ..))[1] قد صَوَّرتْ مواقف الرجال في الحرب ومايعقبها من تساقطٍ للدماء بالخضاب الذي يعلو الرأس ، فكما أنَّ المرأة تَخضِبُ رأسها بالحِنّاء ، فإنَّ الرجل يَخضِبُ رأسهُ في الحرب بدماء الشهداء ، فهي في موضع العِزّة والكرامة والشرف .

أمّا عُكرشة بنت الأطرش فتسوق في خطبتها صوراً من الأستعارات الجميلة ، إذ تحذر قومها من التواكل بقولها : ((... إيّاكم والتواكل فإن ذلك يَنقِضُ عُرَا الإسلام ، ويُطِفىءُ نور الحق ...)) . وتُشَبِّهُ عُكرشة وقعة صفيّن وهي معركة يخوضها إنصار علي (□) بوقعة بَدْر وهي معركة الرسول والمسلمين ضد الكُفّار ، وببيعة العقبة التي بايع فيها المسلمون الأوائل من الأنصار النبي (f) ، ففي كلتيهما دفاعٌ عن الاسلام ونُصرتهِ بقولها : ((... هذهِ بَدْر الصُغرى والعقبة الأُخرى ..))[2] .

ويُعَدُّ أدب الوافدات أحد مظاهر التجديد في أدب المرأة المسلمة فهو أدبٌ تطور عن مناظرات الجاهلية ويمثل نزعة أدبية جديدة وقوية فعلى الرغم ((من أنَّ صِلَة الناس بالقديم لم تنقطع فإن النثر بدأ يتحرر من مؤثرات أكثر مّما كان يتحرر الشعر ، لأنّ هذا النثر أرتهن بتغيرات واسعة وعميقة لم تُتَح للشعر أو لم تتطلب مِنهُ))[3] حيث كان إثرَ هذا التغير في النثر أن ينتزع من الأدب شيئاً متميزاً كروعة الخيال ليُضفيها على أدب المرأة في أغلب قطعها النثرية .

الثاني : بين ادب المرأة وأدب الرجل

طالما كان للمرأة وجودٌ مُستقل في هذهِ الحياة بخصائصها وطبيعة تكوينها فلابد أن يكون لها وجودٌ مستقل في الأدب تنعكس فيه هذه الخصائص ويقدم رؤية أُخرى جديدة للواقع متميزة في الحياة غير رؤية الرجل .

ولايعني هذا بالطبع أن الرجل يكتب أدباً أفضل من المرأة ، وإنما هو تمييز تحكمهُ طبيعة وخصائص كل جنس . ولكن هل ينبغي أن يتوارى ذلك التمييز لحظة الإبداع ؟

وأن نذهب مع من قال : ((لايوجد أدب نسائي وأدب رجالي فهذا خطأٌ كبير ، هناك فقط أدب جيد))[4] ؟

فإذا كنّا قد بحثنا عن تلك الإجابة عند دارسي أدب المرأة العربية فإنّا

---

(١) صبح الأعشى : للقلقشندي ، ٢٥٢/١ .
(٢) المصدر نفسه ، ٢٥٣/١ .
(٣) الظاهرة الأدبية ، ص١٥٢ .
(٤) الأهرام ، العدد ٣٥٨٥٤ بتاريخ ١٩٨٥/٢/١٠ . الرأي للدكتورة سهير القلماوي .

وجدناهم قد وقعوا في نفس الإضطرابات والتناقضات بين الإقرار بواقع التمايز والتباين بين أدب المرأة وأدب الرجل وبين التجاهل التام لهذا التمايز وعَدّ أدب المراة مسايرٌ لادب الرجل . ومن بين تلك الآراء تتضح صفة عدم الإستقرار في الدراسات التي إشَّرَت الى الإختلاف بين المرأة والرجل التي أمست صفةً ملازمةً لدراسةِ أدب المرأة مع ماعُلِقَ بها من نظرةٍ متدنيّة للمرأة والتي أدَّت الى التجنّي على أدبها والإغفال - المتعمد وغير المتعمد - لخصائصهِ ، مِمّا حدا بهذهِ الدراسة وحَتَّم عليها الإنطلاق في إستقراء بسيط يُسلّط الضوء على ذلك التمايز من حيث العاطفة والأسلوب والنفس الشعري .

أ - العاطفة : الجانب الذي يهمنا في البحث بالنسبة لعواطف كل من الرجل والمرأة ، هو القدرة على التعبير عن العاطفة بمعنى ((القول بالأحاسيس وترجمتها فنياً ، أي تحويلها الى شعر بواسطة إنتقاء اللغة وتنقيتها وتشكيلها أصواتاً فريدة تفرز السحر وتنضح الإبداع))(١) . فهل هناك تفاوتٌ أو تمايزٌ في هذهِ القدرة بين الرجل والمرأة ؟ ومن هو أكثر قدرة ؟

فلو بحثنا مثلاً في عاطفة الحزن على اعتبار أن أبلغ درجات العاطفة وأصدقها عامةً تكمن في الأحزان ولأنها على حد قول الأصمعي أشرف أشعار العرب ، إذ سأل أعرابياً : ((مابالُ المراثي أشرف أشعاركم ؟ قال : لأنّا نقولها وقلوبنا محترقة))(٢) .

فضلاً عن كثرة ما أشيع من بعض النقّاد والباحثين عن سمة النساء بالبكاء والنواح ، وأنّ الرثاء هو المجال الفني الوحيد الذي أرتفع في أنحائهِ صوت المرأة الشاعرة ، ثم يعود أولئك النقاد ليفندوا تلك الآراء معتمدين على مقارنة أدبها بأدب الرجل ، فلذلك أرتئينا أن نجعل من الأحزان مقياساً لدراسة المقدرة الفنية في التعبير عنها لدى الرجل والمرأة ، علّنا نرفع عن كاهل أدب المرأة ذلك الإعتقاد المتوارث والذي قد يهتز أمام الحقائق التي كشفت عنها بعض الدراسات .

يقول ابن رشيق القيرواني : ((والنساء أشجى الناس قلوباً عند المصيبة ، وأشدهم جزعاً على هالك ، لما ركّب الله عز وجل في طبعهن من الخَورِ ، وضعف العزيمة . وعلى شدة الجزع يُبْنَى الرثاء))(٣) . ويرى محمد بدر معبدي : ((أن في المرأة قدرات خلاّقة وحيوية ربما لانجدها في الرجل ، فقد منحتها قدرة الله الرقة والعذوبة ، وقد أقتضت وظيفة الأمومة أن تكون المرأة أكثر حساسية من الرجل وأسرع إستجابة للمؤثرات العاطفية والوجدانية))(٤) .

وفي الرأيين السابقين مايشير الى طبيعة المرأة وأختلافها عن الرجل من حيث

---

(١) الشعر بين الواقع والإبداع : صبيح ناجي القصّاب ، ص٩٣ .

(٢) نهاية الأرب : للنويري ، ٥/ ١٦٥ .

(٣) العمدة : لابن رشيق القيرواني ، ١٥٣/٢ .

(٤) أدب النساء في الجاهلية والإسلام : محمد بدر معبدي ، ينظر التمهيد ، ص٩ .

تكوينها النفسي الإنفعالي وليس فيهما مايشير الى قدرتهما الفنية على التعبير عن العاطفة الحزينة والذي هو مجال دراستنا ، بل أننا قد لانُفاجَيء ان وجدنا رجلاً أقدر على البكاء من بعض النساء . وقد لاحظ بعضهم عدم الإطِّرَاد بين طبيعة المرأة العاطفية وقدرتها الفنية أو توازيهما في التعبير عن تلك العاطفة ، يقول العقّاد : ((لأن الأنوثة - من حيث هي أنوثة - ليست معبرة عن عواطفها ، ولاهي غلابة تستولي على الشخصية الأخرى التي تقابلها ، بل هي أدنى الى كتمان العاطفة وإخفائها ، ..... فالذي يبقى لها من عظمة الشاعرية قليل))[1] .

فقد ربط العقاد برأيه هذا بين طبيعة المرأة وتكوينها الأنثوي وبين قدرتها في التعبير عن العاطفة ، أما الدكتور أحمد الحوفي فلم يكن بعيداً عن رأي العقّاد في الموازنة بين طبيعة المرأة العاطفية وقدرتها الفنية في التعبير عن أحزانها حيث قال : ((والنساء يفثأن حزنهن بالدموع الغِزار الحِرار ، وبالآهات ،والأنّات والعويل ، وبالصمت الحزين ، والإستغراق الأليم ، والذكرى الموجعة فإذا عمدن الى القريض متحن من عاطفة ، قد تنفست وآوين الى لغةِ كان البكاء والنشيج والدمع السخين أطوع منها وأصدق تعبيراً))[2] .

وقد وافقتهُ الرأي الباحثة بشرى الخطيب[3] ، إذ أتفق الباحثان في تعليل هذا القصور في أن المرأة تستنفذ طاقتها في دموعها ونحيبها فلا تجد إلاّ قدراً نزراً من طاقتها للتعبير عن أحاسيسها شعراً . وللرد على تلك الآراء نقول :

إنّه ليس من الضروري أن تقترن إستجابة الرجل أو المرأة للحدث الحزين بالتعبير عنه فنياً ، فالشاعر - رجلاً كان أم امرأة - لايقول الشعر الناضج الغني بالتجربة في لحظات إنفعالهِ الأولى ((فالأنفعال القوي ، يعقد اللسان ، ويشلُّ التفكير ويشغلنا عما عِداه ، فالشاعر لايقول الشعر إلاّ بعد أن يصحو من الشراب ، ويهدأ بعد الغضب . إذ تصفو عندئذٍ قريحته ويستطيع الخلق ، وقد آستقرت أنفعالاته رواسب عقلية محتفظة بحرارة الشعور كامنة - وإذن فهو لايقول إلاّ عن رويّة))[4] . وعلى ذلك فلا عجب أن نرى الشعراء ذوي القصائد الغنية الرفيعة قد تحدثوا عن بكائهم المستمر ووصفوا حزنهم الدائم بعد مضي وقت كثير على الحدث الحزين أي بعد أن هدأت أنفعالاتهم الحادّة إثر الحدث مباشرةً ، ولهذا فقد لاحظنا إنَّ الذين قالوا أبياتهم في الرثاء بعد الحدث مباشرةً لايزيدون على بيتين أو ثلاثة ويتساوى في ذلك الرجل والمرأة لأن الفورية تنتج في العادة إنتاجات ساذجة بسيطة ، لاتحتوي على نضج أو عمق[5] . ولو تتبعنا تلك الإنتاجيات بأدلّة قرائن تعبيرية تدلُّ على الفورية في الرثاء ، ونقارن بين أبيات المرأة والرجل ، لا نلمس فرقاً بينهما من حيث التعبير الفني عن العاطفة ،

---

(١) نزهة الجلساء في أشعار النساء : للسيوطي ، ص١٧ .
(٢) المرأة في الشعر الجاهلي : للحوفي ٦١٧-٦١٨ .
(٣) ينظر الرثاء في الشعر الجاهلي وصدر الإسلام : بشرى الخطيب ، ص
(٤) النقد المنهجي عند العرب : محمد مندور ، ص٣٥ .
(٥) ينظر محاضرات في عنصر الصدق في الأدب : محمد النويهي ، ص٦٤.

مثل ماروي عن أيوب بن سليمان بن عبد الملك أنَّهُ عندما حضرتهُ الوفاء - وكان وليَّ عهد أبيه - خَرجَ أبوه يمشي أمام جنازته ، فلما دُفِنَ وحُثِيَ عليه التُراب وَقفَ قليلاً ينظرُ الى قبرهِ ثم قال :

وَقفْتُ عَلى قَبْرٍ مُقيمٍ بِقَفْرةٍ   مَتاعٌ قليلٌ مِنْ حَبيبٍ مُفارقِ
كُنْتَ لَنا أُنْساً فَأوْحَشْتَنا   فالعيشُ مِنْ بَعدِكَ مُرُّ المَذاق(١)

وفي تلك الرواية ما يدلُّ على التلازم والتتابع بين موت الإبن وقول الشعر في رثائِهِ وكذا في قول أم فطن بن سريح في إبنها حين أقبلت عليه وهو مقتول :

اَلاَ تِلكَ المسَّرةُ لاتدوُمُ   ولايَبْقى على الدَّهْرِ النعيمُ
ولا يَبقَى عَلى الحدثانِ   لشاهقةٍ لَهُ أُمٌّ رَؤُمُ(٢)

ويبدو واضحاً أنَّ النموذجين قد تساويا في التعبير العاطفي بعد الحدث مباشرةً ونعتقد أنَّ من الواجب الضروري التفريق بين شاعرٍ لامع بَلَغَ مُستوىً رفيعاً من حيث المقدرة الفنية فاستطاع أن يُرثي ويُعبر عن عاطفته تعبيراً فنياً ، وأمرأة من عامَّة الناس قد صاغت رثاءها ببيت أو بيتين لم يَبْلُغا المستوى الفني ، ونكثر من تعداد أُخريات مِثلُها ، ثم إننا أما أن نوازن بين طبيعة المرأة وطبيعة الرجل من حيث القدرة الفنية على التعبير عن العاطفة الحزينة أو إننا نبني أحكاماً تنسحبُ على طبيعة الرجل أو المرأة بصفةٍ عامة . وهذا لايجوز لأنَّه يُعدّ مقياساً فسيولوجياً يتصل بالطبيعة الإنفعالية . أمّا لو أقمنا مثل هذه الموازنة بين شاعرات شُهِدَ لَهُنَّ بالقريض وشُعراء آخرين فعند ذلك يكون المقياس مقياساً فنياً عند الطرفين وهو المجال الذي نبحثُ عنهُ في دراستنا .

ومن الجدير بالذكر أننا أقمنا مثل هذهِ الموازنة(٣) ، فلم نلحظ فرقاً يُذكر بين قدرة النساء الشواعر وبين الشعراء - مِمَّن نظموا في الرثاء - في التعبير عن الحُزنِ والأسَى إذ أنّ أبيات أُولئك الشاعرات لاتقلُّ لوعةً عن أبيات الشعراء في التعبير عن مشاعر الُحزنِ والتفَجُّعْ ، بل إنّ في ترديدهنَّ العبارات الموجِعَة وفي تجسيدهنّ الصور الحزينة مايُرشحهنَّ كي يكُنَّ أكثر توفيقاً في التعبير عن عاطِفَتِهُن ، وإنَّ البكاء الذي تحدّثَ عنهُ الباحثان السابقان والذي عَدّوه سبباً في ضُعفِ القُدرة على التعبير عن العاطفة الحزينة عند النساء ، ظهر عند الشعراء

(١) التعازي والمراثي : للمدائني ، ص١٤٦ .
(٢) بلاغات النساء : لابن طيفور ، ص١٩٣ .
(٣) ينظر شعر الخنساء ، تحقيق وشرح : كرم البستاني ، وينظر ديوان ليلى الأخيلية ، جمع وتحقيق : خليل إبراهيم العطية - جليل العطية ، مع ديوان الفرزدق ، تحقيق : ص ، وشرح ديوان جرير : جمع وشرح محمد اسماعيل الصاوي ، ١/١٩٩ ، ٢١٥ ، ٢٧٦ ، ٤٣٠ وأبيات مُتمِّم بن نويرة في الكامل : للمبرد ، ١/٢٥٩ . والعقد الفريد ، ٣/ ٢٦٢-٢٦٥ .

ولم يظهر عند الشواعر ، ثم أنّ الطبيعة الأنثوية عندهن لم تدفعهن الى كتمان عاطفتهن أو إخفائها كما ذهب الى ذلك العقّاد وعلى هذا الإساس فإن وُجِدَ فرقٌ بين قدرة النساء الشواعر وبين الشعراء في التعبير عن العاطفة فأنهُ لايُعزى الى طبيعة المرأة بل أنّهُ يرجع الى قدرة فنية وجِدَتْ عند ذاك ولم تُوجَدْ عند تلك .

ولعلنا لانعدو الحقيقة إذا ماقلنا أنّ من الصعوبة إعتماد القدرة الفنية في التعبير عن العاطفة وسيلة للتمييز بين عاطفة الرجل والمرأة .وإلاّ لماذا لم يعتمد الباحثون عليها لتوثيق النصوص وتحقيقها ، فلم يعتمد الأستاذ شوقي ضيف في كتابهِ (الرثاء) على جانب العاطفة وهو ينسب قصيدة رثائية قالتها أروى بنت الحارث في الإمام علي (□)[١] ، الى أبي الأسود الدؤلي[٢] وهو من الذين يقولون بالتمايز بين المرأة والرجل في التعبير عن العاطفة الحزينة بل أنَّه يقول مُعلّقاً عليها : ((وطبيعي أن يتفوق النساء على الرجال في ندب الموتى والنواح عليهم لأن المرأة أدَقُّ حِساً وأرقُّ شعوراً))[٣] .

وكان الأولى - طالما أنّهُ يقول بما سبق - أن يتفحصها بمقياس العاطفة الذي الذي يقول عَنْهُ . كما نلمح صعوبة أعتماد القدرة الفنية في التمييز من خلال التناقض والحيرة في الآراء التي وقع فيها د - يحيى الجبوري ، وهو يعقد موازنة بين عاطفة الحزن عند المرأة وعاطفة الحزن عند الرجل ، فقد تكلّم عن طبيعة المرأة مؤكداً أختلافها عن طبيعة الرجل حين قال : ((ولاشك أنّ المرأة أشدُّ من الرجل حزناً وأرقُّ عاطفة وأكثر جزعاً وأعظم لوعة وطبيعتهن أقرب الى الرثاء والبكاء واللوعة والأسى))[٤] ثم عاد ليُفنِّدَ رأيهُ السابق ويؤكد التشابه بينهما ، فيقول : ((صار رثاء المرأة أشبه برثاء الرجل ، وقلّما نجد في رثائها سمات تعبر عن عاطفتها الأنثوية))[٥] وفي خِضَمِّ تلك الآراء يُصرِّح برأيٍ آخر لا ليُعزِّز ماسبق قوله بل ليُناقضهُ قائلاً : ((إذا أرادت المرأة التعبير فلم تجد في صدرها ماتفصح بهِ غير لغة الدموع أمّا الرجل فيكبت أحزانهُ ويتجَلَّد ويستغرق في المصيبة والأسى المفْجِع فإذا أراد التعبير أنفجرت هُمومَهُ وأحزانَهُ وصار الشعر مُتنفَسهُ الى الراحة من الهموم))[٦] . وهذا الرأي قد يوافق ماجاء عليه الباحثان السابقان (د . أحمد الحوفي ود . بشرى الخطيب) ، ومَفادهُ ضعف قدره المرأة في التعبير عن الرثاء ، وهي آراء تُعدُّ من المفارقات التي واجهتها عند دراسة أدب المرأة العربية في الرثاء والذي يُفترض أن تشتهر بهِ المرأة وأن يُعدّ هو فنها الوحيد ، كما نلمس ذلك واضحاً من خلال الكثير من الآراء ومنها رأي العقاد الذي قال بعد أن أنكر شاعرية المرأة إلاّ في الأحزان : ((ولاينفي هذا أن الأنثى قد

(١) ينظر بلاغات النساء ، ص٢٩-٣٠ .
(٢) ينظر الرثاء : شوقي ضيف ، ص٥٨-٥٩ .
(٣) المصدر نفسه ، ص٨ .
(٤) الشعر الجاهلي : يحيى الجبوري ، ص٢٠٠.
(٥) الشعر الجاهلي : يحيى الجبوري ، ص٢٠٠-٢٠١ .
(٦) المصدر نفسه .

تعبر عن الحزن ، لأن الحزن لايناقض أستعداد الشخصية للتسليم ، والأستناد الى غيرها ، ولهذا كانت الشاعرة الكبرى التي نبغت في العربية باكية راثية وهي الخنساء))(١) .

وهناك رأيٌ آخر لايكتفي بنسبة فن الرثاء الى النساء فحسب بل أنّهُ يُفضلهنَّ على الرجال في أستنباطهنَّ فيهِ أساليبَ بديعة ، حيث قال بعد أن تحدث عن فصاحة العرب : ((وقد جرى نساؤُهم في ميدانهم ولاتراهُنَّ في الرثاءِ أنزلَ طبقةً من أيَّمتهم لا بل تجدهُنَّ يستنبطن في هذا الباب أساليبَ بديعةً لم يتنبّه لها الفحول لما طبعن عليه من رقة الطباع وشدَّة الجزع في المصائب وصِدق الحسّ فيُبرزن عواطفهن بشعرٍ سلس وكلامٍ ليّن قريبَ المأخذ يكادُ يسيلُ رقةً وآنسجاماً))(٢) .

ونحنُ إنْ كُنّا قد أنكرنا على المرأة ضعف قدرتها في التعبير عن الرثاء ، لايعني هذا اننّا نُقِرُّ لها بخصوصية هذا الفن دون غيرهِ يشفَعُ لنا في ذلك ماتوصَّلَ اليه أحد الباحثين في ضوء دراسةٍ حديثةٍ عن الشعر النسوي(٣) كشفَ من خلالها بالأدلَّةِ والقرائن عن عاطفة المرأة عموماً ، ومنها رثاء المرأة لذاتها وللرجل وللمرأة ، حتى إنّهُ قالُ مُلخِّصاً : ((وبهذا نكون قد أنتهينا من تحليل عاطفة المرأة الشاعرة وطبيعة حزنها في فن الرثاء "رثاؤها لذاتها وللرجل وللمرأة " وقد تأكدت لنا من خلال ذلك جملة حقائق تتعلق بأدب المرأة وخصوصيته ومن تلك الحقائق في مجال الرثاء ان المرأة ليست مجبولة على الحزن بل هي أكثر من الرجل كُرهاً لهُ ولمُسبَبَاتهِ))(٤) . وإذا ماوجدنا شيوع نظرة الحزن في شعر المرأة فذلك لايعني أن الأغراض الفنية الأُخرى لم تدخل أبواب القصيدة النسوية ولايعني أن الحزن الذي وَسَمَ أدب المرأة ورافق مسيرتها الفنية حزنٌ طبيعيٌ يرجع الى فطرتها إنّما هو ظاهرة إجتماعية ونتاج عوامل وظروف إقتصادية وإجتماعية وثقافية غير متكافئة مع الرجل أنعكست على أدب المرأة فجعلت منها نادبة ، وهذا ماأوضَحهُ د- داود سلّوم بقوله : ((إننا مهما أعطينا المرأة من حرّيات لتتعلم وتعمل إلاّ إنّا حرمناها من حق التعبير . فنحن أعطيناها حقاً واحداً من التعبير وهو : أن تكون (نادبة) تبكي أمجادنا أو تحثنا على أمجاد عجزنا عن تحقيقها))(٥) . أمّا وقد أنتفت عن المرأة تلك الظاهرة في العصر الحديث حيث وُجِدَ ذلك التكافؤ بينها وبين الرجل توصلّت الدراسة الآنفة الذكر الى كشف النقاب عن الملامح المميزة

(١) نزهة الجلساء في أشعار النساء : للسيوطي ، ص١٧-١٨ .

(٢) رياض الأدب في مراثي شواعر العرب : لويس شيخو ، ص١ .

(٣) ينظر الشعر النسوي في العراق مضامينه وخصائصه الفنية : علي محمد حسين الخالدي (رسالة ماجستير) ، ص٦٧-١١٩ لسنة ١٤٠٩هـ ١٩٨٨م .

(٤) المصدر نفسه ، ص١١٨ .

(٥) صورة المرأة في الأدب العربي : داود سلّوم ، ص٢٥ .

للأدب النسوي في ظل ذلك العصر حتى جنينا ثمارها متمثلة بقلّة الدمع والبكاء في شعر المرأة خلافاً للرجل الذي سكب الدمع غزيراً في شعرهِ[١] ، وهذا يخالف ماينطوي عليه واقع المرأة قديماً مع انّ المرأة هي المرأة من حيث عواطفها وأحاسيسها سواءٌ في فن الرثاء أو في غيرهِ وعلى أختلاف العصور .

ب ـ الأسلوب : يقول بشير يموت مستعرضاً كتابه (شاعرات العرب) : ((وبعد فهذا لون من الأدب العربي ، يمثل الشعر النسائي في جميع العصور ، من السهل أن يلاحظ المتأمل فيه أن المرأة هي المرأة ، فهي تجمع في شعرها خصالاً لايمكن تمييزها عن أشعار الرجال))[٢] .

ويقول علي الهاشمي في وضوح الأسلوب الفني عند المرأة : ((فيدرك القاريء أسلوبها الفني من أشعارها ويعرف رغباتها وذوقها من أختيارها للمعاني التي توردها ، والأوصاف التي تختارها ... وبهذا يتسنى للباحث أن يتصورها من وراء هذهِ العناصر الفنية))[٣] .

وإذا كان قد عُدَّ وضوح أدب المرأة وسهولة تمييزهِ ، وبناءً على ماتقدم من آراء عثرةً في أسلوبها الفني ، فإن هناك ومن وراء ذلك رأياً يقول بضعف أفكارها ((لأن العثرة في الأسلوب تعني عادةً العثرة في حركة الفكرة ذاتها))[٤] ، ((فالأسلوب في جوهرهِ ، عمل لايتعلق بذاتهِ حسب ، إنه مرتبط أرتباطاً وثيقاً بماهية المعرفة والفكر))[٥] .

ولربما تدفعنا هذه الآراء الى القول بضعف شاعرية المرأة ، لأن الشاعرية هي في التباين في درجة إحساسات الشاعر ، وعمق قوتها ووضوح صدقها في حالةٍ دون أخرى ، ومن شاعر الى آخر ، بل حتى لدى الشاعر الواحد ، كما تطرق الى ذلك نقادنا القدامى وبطرائق غير مباشرة ، إذ يذكر عنهم في هذا قولهم ، إن أشعر الناس ((امرؤ القيس إذا ركب ، وزهير إذا رغب والنابغة إذا رهب ، والأعشى إذا شرب))[٦] . وعندما سُئِلَ أحدهم عن أشعر شعراء وقتهِ أجاب : (... وأما شعراء الوقت فالفرزدق أفخرهم وجرير أهجاهم ، والأخطل أوصفهم))[٧] وهذا يعني أن مقياس الشاعرية لديهم في تنوع أساليبها الفنية ، وكان أبو هلال العسكري لايحب للشاعر ان يسير على طريقة واحدة ويتبع أسلوباً واحداً في شعره لأن التصرف في وجوه الشعر أبلغ[٨] ، وكان يرى أنّ المقدم من الشعراء هو المستولي على الشعر من جميع جهاتهِ ، المتمكن من جميع أنواعهِ ، الذي

---

(١) ينظر الشعر النسوي في العراق : علي الخالدي ، ص٧٢ ومابعدها .
(٢) شاعرات العرب في الجاهلية والإسلام : بشير يموت ، (ينظر المقدمة) .
(٣) المرأة في الشعر الجاهلي : علي الهاشمي ، ص٢٨٦ .
(٤) الأفكار والأسلوب : أ.ف . تشيتشرين ، ص٣٨ .
(٥) المصدر نفسه ، ص٣٦ .
(٦) العمدة ، ٩٥/١ .
(٧) خزانة الأدب : للبغدادي ، ٢٢٠/١ .
(٨) ينظر كتاب الصناعتين ، ص٢٣-٢٧ .

يتصرف في المعاني فيورد في شعره في كل قصيدة خلاف مايوردَهُ في الأخرى ، وبهذا فإن العسكري لاينادي بوحدة الأسلوب الفني عند الشاعر ، وهو مانُسِبَ الى أسلوب النساء الذي وجدوه واضحاً ومن السهلِ تصورهن من خلالهِ برأيهم لانعكاس سمات الأنوثة في شعرهن ((وشعرهن ألين من شعر الرجال كثيراً سواء في الرثاء أو في الفخر أو في الهجاء أو الغزل ، لأن طباعهن رقيقة لايلائمها اللفظ الحوشي المستكره ، وتعبيرهن صورة من طبعهن ولأن الجزالة والفحولة والقوة في التعبير لاتوائم نفسيتهن))[1] .

ولايعني ذلك أننا ننكر على المرأة ما أكَّد عليه الكاتب العربي نجيب محفوظ من أن أصالة وتفرد الأدب النسوي يقومان على قدرة المرأة على إكساب نتاجها طابع الأنوثة بقولهِ : ((لابد أن تكون هناك فروق اذن ، ولابد أن تكون هناك ضمن هذهِ الفروق الذكورة والأنوثة ، إذن هل تكون الرؤيا واحدة والتصور واحد ؟ لا ... وإلاّ أصبح الإثنان شخصاً واحداً . ولكن هذا رجل وتلك امرأة ، إذن الأدب النسائي ان يحمل طابع المرأة وهذا ليس تقليلاً من قدرهِ ولكنها شهادة لهُ ، اذن الادب النسائي عندما يحمل طابع المرأة نشهد لهُ بالتفرد والأصالة))[2] . لكننا لايمكن أن نعتبر ذلك مقياساً عاماً ونبني عليه أحكاماً تتعلق بطبيعة أدب المرأة بدليل أن أحد الباحثين نقض رأي الكاتب مؤكداً على عدم الإختلاف بين الرجل والمرأة الاّ من حيث التكوين الجسماني قائلاً : ((المرأة لاتختلف عن الرجل إلاّ من الناحية - السيكولوجية - والفسيولوجية - فلها نفس العواطف والأحاسيس والهواجس والنوازع ولكنها بصورةٍ أعمق ، فهي ترق وتغلظ وتصلح وتطلح ، تنعم وتخشن فهي ذات وجدان وضمير كما أنها معدومة الوجدان والضمير ، هي تكوين يجتمع في هذا الكيان الحي ، لايميز الرجل عنها إلاّ التكوين - الفسيولوجي -))[3] . بل إننا قد لانفاجىء بشعراء رجال جاءت أبياتهم رقيقة سلسلة خالية من اللفظ الحوشي المستكره ، وإذا كُنّا قد سَلَّمنا على جعل أسلوبها الفني صدىً واضحاً لطبيعتها الأنثوية وافترضنا ماجاء عليها من آراء بأن للمرأة عاطفةً وأحساساً وشعوراً يختلف عن الرجل ((وهناك بعض الناس يخطئون إذ يقيسون المرأة بالرجل فهم يطلبون من المرأة وينتظرون منها عملاً كعمل الرجل وأحساساً كأحساسهِ ، وهي ليست رجلاً . فللمرأة طريقتها في التعبير وللرجل طريقته ، ومن يريد أن يكون تعبير المرأة عن شعورها كتعبير الرجل فهو كمن يريد أن تصبح المرأة رجلاً))[4] ، فاننا قد لانرقى الى اليقين مع من قال : ((وتستطيع بغير جهدٍ كبير أن تخلط بين عشرين قصيدة لعشرين شاعرة فلا

---

(١) المرأة في الشعر الجاهلي : محمد الحوفي ، ص٦٦٩ .
(٢) المجالس العدد ٧١ بتاريخ ١٩٨٥/٢/١٦ ، وينظر الشعر النسوي ، ص٦ .
(٣) المرأة بين المادية والوجدان : غالب الناهي ، ص٣٦ .
(٤) شاعرات عربيات : روحية القليني ، ص٥ .

ترى بينها مايضطرك الى استغراب هذا الخلط بين عباراتها ومعانيها))[١] . وقال : ((فاذا نظمت المرأة الشعر فهناك فارق محسوس بين شعرها وشعر الرجل في الجودة والطبقة))[٢] . ولنا الحُجّة في ذلك فيما شهدناه عند بعض الباحثين من صعوبة التمييز بين أشعار النساء والرجال ، فالدكتور الحوفي وهو من أقدم الباحثين وأكثرهم تحمساً لهذه الفكرة ، لم يعتمد الرأي السابق بتشابه أساليب النساء الشواعر - لصعوبة التمييز بين أسلوبهن وأسلوب الرجال - وهو يحاول توثيق نص شعري فغَلَّب كونهُ لرجل بناءً على شواهد لغوية ، تتعلق بالضمائر فحسب ، جاء في زهر الآداب لأمرأة ترثي أبنها :

ياعمُرو مالِي عنك من   ياعَمْرُو يا أسفي على

....

فدَعَا لأنْصُرَهُ وكُنْتُ لَهُ   من قبل ذلك حاضرَ النَّصْرِ

فعجزتُ عنه وهي زَاهِقةٌ   بين الوريد ومَدْفَع السَّحْرِ

لوقيل تَفْدِيه بذلتُ لَهُ   مالي وماجَمّعْتُ من وَفْرِ

أو كنت مُقتَدراً على عُمْرِي   آثرتُهُ بالشَّطْرِ من عُمْرِي

قد كنتُ ذا فَقرٍ لَهُ ، فَعَدَا   ورَمَى عليَّ وقد رأى[٣]

حيث قال الحوفي : ((فكلمة حاضر ، وتفديه ، ومقتدر ، وذا ، دالّة على ذكرٍ لا أنثى))[٤] .

ولعل صعوبة الإعتماد على الأسلوب كما ظهر عند الحوفي ، كان وراء مانلحَظَهُ من نسبة نص شعري ما الى رجل ، ثم نسبتَهُ عند آخر لأمرأة كأبيات يزيد بن الحكم الثقفي والتي يقول فيها :

إنْ تحتَسِبْ تُؤجَر وإن تبكِهِ تَكُنْ   كباكيةٍ لم يُحيي ميتاً بكاؤها

ومن شرِّ حَظَّيْ مسلم من وصيةٍ   بكاءٌ ، وأحزانٌ ، قليلٌ جزاؤها[٥]

فقد رواها صاحب كتاب التعازي ليزيد بن الحكم الثقفي ، ورواها صاحب العقد الفريد[٦] لامرأة إعرابية مسلمة فقدت أبنها عامر . وكأبيات صفية بنت عبد

---

(١) بين الكتب والناس : للعقاد ، ص١٢٣ .
(٢) المصدر نفسه .
(٣) زهر الآداب : للحصري ، ٤٦٠/٢ -٤٦١ .
(٤) المرأة في الشعر الجاهلي : للحوفي ، ص ٦١٠ .
(٥) كتاب التعازي : للمدائني ، ص٦٠-٦١ وهو أحد شعراء الدولة الأموية .
(٦) العقد الفريد : لابن عبد ربه ،٢٦٠/٣ .

المطلب في رثاء أخيها الحمزة والتي مطلعها :

أسائلةٌ أصحابَ أحدٍ مخافةً   بناتِ أبي من أعجمٍ وخبيرِ

فقد أختلف المؤرخون والرواة وخلطوا بين نسبتها الى صفية مرَّة والى حسان بن ثابت مرَّةً أخرى[1] ، ولم يميزوا بين أبيات رجلٍ هو أشعر اهل المدر وأهل الأنصار وهو مَنْ يَرونَ فيه الجزالة والفحولة والقوة في التعبير وبين أبيات امرأة يَرونَ في تعبيرها صورةً من طبعها بحيث يتسنى للباحث أن يتصورها من اختيارها للمعاني والأوصاف التي توردها .

أما أبيات حُمَيد بن ثور الهلالي في الأشباه والنظائر والتي يقول فيها :

ومُشَقَّقٌ عنه القميصُ تخالُهُ   وسط البيوتِ من الحياءِ سَقِيمَا

حتى إذا رُفِعَ الّلواء رأيتَهُ   تحتَ اللواءِ على الخَميسِ زَعِيمَا[2]

فقد رواها المحُقّقان خليل إبراهيم العطية وجليل العطية ضمن ديوان الشاعرة ليلى الأخيلية[3] ، فيما نسبها الخالديان للشاعر حُمَيد بن ثور الهلالي ثم عادا ليجوزا نسبتها للشاعرة دون أن يجعلا من الأسلوب فيصلاً في نسبة تلك الأبيات بل إنَّهما أكَّدَا حيرتهما حينما صَرَّحَا بذلك مُعلّقين على معنى الأبيات : ((وقد أكثرت الشعراء في هذا المعنى .وقول ليلى أو حُميَد الذي ذكرناه منْ أجودِ ماقيل فيه))[4] .

وربما ذلك ماجعل رأياً يقول بصعوبة نقد أدب المرأة ويُفند آراء غيره حينما ذهب الى ((إنَّ نقّدَ النساءِ صعبٌ كرثائهن ، وخصوصاً إذا كُنَّ مسلمات))[5] .

ج - النفس الشعري :

يقول أحد الباحثين : ((إن أشعار المرأة قصائد قصيرة بجملتها أو مقطوعات والظاهر أن طبيعة النساء الفنية لاتساعد في العادة على الإطالة في القصيدة ،

---

(١) ينظر السيرة النبوية : لابن هشام ، ١٧٦/٣ ، وشعراء الرسول : وليد الأعظمي ، ص٣٣٩-٣٤٠ ، وشاعرات العرب : جمع وتحقيق عبد البديع صقر ، ص٢٠٤ ، والأدب في عصر النبوة والراشدين : صلاح الدين الهادي ، ص٢٦٢ ، حيث نُسِبَتْ الأبيات الى صفية بنت عبد المطلب ، أما في ديوان حسان بن ثابت ، ص٤٣-٤٤ ، فقد نُسِبَتْ الى حسان .

(٢) كتاب الأشباه والنظائر : الخالديان ، ٤٤/١ .

(٣) ينظر ديوان ليلى الأخيلية ، ص١١٠ .

(٤) كتاب الأشباه والنظائر ، ٤٤/١ . وفي شرح ديوان الخنساء ، ص٤٤ أبيات للحارثية بنت زيد بن بدر العراثي في رثاء زياد بن عبيد القرشي ، وكان توفي في ابتداء الإسلام ، وقد نُسِبَتْ الى حارث بن بدر وهو عم الحارثية قيل أنه رثى بها زياد بن أبي سفيان .

(٥) مُجَدِّدون ومُجْتَرُّون : مارون عبود ، ص١٨٦ .

حتى في قصائد الرثاء الذي هو الفن الأقرب الى أذواقهن))[1] .

ويقول آخر : ((ولعل هذهِ المقطعات جزءٌ من قصائدٍ ضائعة ، ولكن المرجح أن تكون فعلاً مقطعات ، لأن ماوصل منها لايدل على نفس شعري طويل . فافتقاد المرأة الى النفس الشعري الطويل يدل على أنَّها لم تكن تعتد بالشعر وتشغل نفسها بهِ كما يفعل الرجل))[2] .

ففي قولهم (.... أن طبيعة النساء الفنية لاتساعد ..) و (.... أفتقاد المرأة الى النفس الشعري الطويل يدل على أنّها لم تكن تعتد بالشعر ...) ، يعني إنَّهُم جعلوا القصيدة الطويلة شرطاً من شروط الإبداع والمقدرة الفنية التي لم يلحظوها في شعر المرأة ، ولم يعيروا الأهمية للقدرة على الصياغة الفنية في أدبها ، لاسيما وأنَّ ((هذهِ القدرة على تحويل المشاعر أو صياغتها فنياً ، هي الحد الفاصل بين من نسميهم شعراء وغير شعراء))[3] . فطبيعة المرأة الفنية تلك لم تمنع من أن يُشيد لها شاعرٌ معروف مثل الفرزدق ويُقرُّ لها بعدم مجاراة شعرهِ في الإجادة وذلك ما روي عن الفرزدق أنَّهُ سُئِلْ : ((هل حسدت أحداً على شيء من الشعر ؟ فقال لا ، لم أحسد على شيء منه إلاّ ليلى الأخيلية في قولها :

ومُخرّقٍ عنه القميص تخالَهُ بين البيوت من الحياءِ سقيما
حتى إذا برز اللواء رايتهُ تحت اللواء على الخميس زعيما
لاتقربن الدهر آل مطرف لا ظالماً أبداً ولامظلوما))[4]

((ويبدو أن السؤال : هل حسدت أحداً على شيء من الشعر ؟ يعني : هل أعجبت كثيراً بشعرٍ لم يقدر لشعرك أن يجاريهِ في الإجادة ؟))[5] .

((فليس مهماً أن تطول القصيدة ويكثر عدد أبياتها ، بل المهم أن تكون جيدة وإن لم تَطُل . وهذا هو المقياس الفني أو الكيفي الذي رجحناه على المقياس الكمّي الذي اتخذ في التفريق بين الشاعر الكبير والصغير عند نقّاد قدماء ومعاصرين))[6] .

وإننا لو جعلنا مقياس الجودة والمقدرة الفنية في القصائد الطوال وفي من دَعَا إليها لكان الأجدر بنا أن نحكم على شاعرٍ كبير مثل الحطيئة بقصورهِ الفني في الشعر نسبةً الى ماقالهُ لابنتهِ عندما سألته : ((مابالُ قِصَارك أكثرُ من طوالك ؟ فقال : لأنها في الآذان أوْلَج ، وبالأفواه أعْلَق))[7] .

---

(١) المرأة في الشعر الجاهلي : علي الهاشمي ، ص٢٨٣-٢٨٤ .
(٢) شعر المرأة في القرن الأول الهجري ، شاكر محمود ، ص٢٣١ .
(٣) الشعر بين الواقع والإبداع : صبيح ناجي القصّاب ، ص٩٣ .
(٤) الشعراء نقاداً : عبد الجبار المطلبّي ، ص٢١٠-٢١١ .
(٥) المصدر نفسه ، ص٢١١ .
(٦) بناء القصيدة في النقد العربي القديم : يوسف بكّار ، ص٢٦٦ .
(٧) كتاب الصناعتين ، ص١٧٤ .

أما لماذا عُرِفَتْ أغلب الشواعر المسلمات بأسلوب المقطعات والقصائد القصيرة ؟ .

فلأن عصر الإسلام هو عصر فتوح وحروب وصراعات فلم تكن بعض الشواعر لينظمن أبياتهن شعراً قدر مانُظِّم أراجيز أو مقطوعات قصيرة تستثير حماسة المجاهدين وتشعل حَمَّيتُهم[1] . هذا من جانب أما من جانبٍ آخر ، فإن الشاعرة المسلمة قد تأثرت بأسلوب القرآن الكريم تأثراً ملموساً وماأسلوب القصائد القصيرة والمقطعات التي عُرِفَتْ بها مُعظمهن إلاّ محاكاةً للسور المكيّة التي نزلت عند بدء الدعوة الجديدة والتي كانت تقتضي أسلوباً ((يتخذ طابع الحملات النارية العنيفة ، ويتألف من فقرات وجمل قصيرة رنّانة))[2] .

ولاينسحب إزاء ذلك قصور المرأة فنياً إذا ماهي قصدت في أبياتها الى المعنى الذي تريدهُ وتُحِسّهُ ، يقول أبو العتاهية : ((وماقَصُرَ من الشعر وقيل في المعنى الذي تومىءُ إليه أبلغ وأملح))[3] ، ومع ذلك فاننا لسنا مع مغالاة القدامى والمحدثين في آرائهم تلك - لاسيما وأنَّ هناك آراءً تناقضها - ومع الرأي المتوازن والذي قد ينتشل أدب المرأة من القوقعة التي حُصِرَ فيها وهو ((إنّ الأخذ بالأعتبارات القديمة والحديثة أخذاً مطلقاً فيه إهمال كبير لعنصر الطبع والإستعداد الذي عرفُه المحدثون وكثيرون من القدماء ، وتناسٍ شنيع للتجربة الشعرية التي تعبر عن موضوع تحدده وتتحكم في طوله))[4] .

والتي قد ترشح أبياتاً لشاعرة ما على أُخرى قالها أحد الشعراء ، سُئِلَ بشار بن برد عن سبب تَضلُّعِهِ من اللغة فأجاب : ((ومن أين يأتيني الخطأ ، ولدتُ هاهنا ، ونشأتُ في حجور ثمانين شيخاً من فصحاء بني عقيل ، ومافيهم أحد يعرف كلمة من الخطأ ، وإن دخلت الى نسائِهم ، فنساؤهم أفصح منهم ، وأيفعتُ فأبديت الى أن أدركتُ فمن أين يأتيني الخطأ ؟))[5] ، ونظراً لثقافة المرأة العربية واطلاعها على أشعار العرب القدماء فقد نافست أبرز الشعراء حتى اقتبسوا من معجمها ألفاظاً لأبياتهم ومن موسيقى أبياتها أنغاماً لها ومن أمثلة ذلك قصيدة جرير الحائية في مدح الخليفة عبد الملك بن مروان ، ففي البيتين الرابع عشر والخامس عشر التي يقول فيهما :

سَأَشْكُر أنْ رَدَدْتَ عَلَيَّ ريشِي   وأَثْبَتَّ القَوادِمِ في جَناحِي
أَلَسْتُمْ خَيرَ منْ رَكِبَ المطايا   وأَنْدَى العالمَينَ بُطونَ رَاحِ[6]

(١) ينظر الظاهرة الأدبية : أحسان سركيس ، ص١٢٨ .
(٢) الأدب في عصر النبوة والراشدين : صلاح الدين الهادي ، ص٦٨ .
(٣) الأغاني ، ١٧٢/١٢ .
(٤) بناء القصيدة : يوسف بكّار ، ص٢٦٠ .
(٥) النقد اللغوي عند العرب : نعمة رحيم العزاوي ، ص٦٦ .
(٦) شرح ديوان جرير ، ٩٨/١ .

لو قابلنا بيتهُ الأخير ببيت الشاعرة هند بنت أثاثة والذي قالته في مدح الرسول (f) :

وإنّك خير من ركب المطايا وأكرمهم إذا نسبوا جُدودا[١]

نجدهُ قد اقتبس منها المعنى نفسه من البحر الوافر والوزن نفسه .

وقد سبقتهُ الشاعرة فاطمة بنت الأحجم بقصيدتها الحائية عندما قالت ترثي زوجها :

قد كُنْتَ لي جَبلاً ألوذُ بظلّهِ فتَركْتَني أضْحَى بِأجْرَدَ ضاح[٢]

حيث اقتبس منها جرير وهو من فحول الشعراء الوزن والقافية والصورة الشعرية .

أمّا الحُصين بن الحُمام المُرِّي ففي قوله :

تَأخَّرْتُ أستبقي الحياةَ فلم أجِدْ لنفسِي حياةً مثلَ أن أتقدَّ ما[٣]

قد أقتبس المعنى وهو أن التقدم في الحرب أبقى للنفوس ، من قول الخنساء

نهُينُ النفوسَ وهونُ النفو س يومَ الكريهةِ ، أبْقَى لها[٤]

ويبدو أنّ د. علي الهاشمي لم يفطن لهذا وهو يحكم على جودة المرأة الفنية بقدرتها على الإطالة بقوله : ((... والظاهر أن طبيعة النساء الفنية لاتساعد في العادة على الإطالة في القصيدة ...)) ولم يفطن مرّةً أخرى حينما فَنَّدَ رأيهُ السابق وصَرَّح مشيداً على معظم الشواعر بقدرتهن على الإطالة إذ قال : ((أمّا عن أوصاف أحزانهن وآثارها في عقولهن وأبدانهن فقد أطالت وأبدعت كثيرات منهن في وصفها وتصويرها))[٥] . ثم أنّهُ يعود ليستبعد ذلك ويخصُّ الخنساء بتلك القدرة قائلاً : ((فان هؤلاء لم يستطعن أن يطلن في الحديث عن أحزانهن))[٦] ويبِّرر قوله : ((إذ إنهن لم يكن لهن من القدرة على وصف خلجات النفس والتعبير عن عواطفهن العميقة ماكان لزعيمتهن الخنساء

---

(١) الطبقات الكبير : لابن سعد ، ٩٧/٢ . وهي هند بنت أثاثة بن عباد بن المطلب بن عبد مناف القرشية المطلبية ، أُخت مِسْطح ، أسلمت عند بدء الإسلام في مكة ، وتحملت أذى قريش وهاجرت الى المدينة ، ينظر الإصابة ، ٨/ ١٤٨ وشعراء الرسول ، ص٣٤٩ .

(٢) ديوان الحماسة : لأبي تمّام ، ص٢٥٧ ، وينظر معجم النساء الشاعرات ، ص٢٠٢ ، وهي فاطمة بنت أحجم بن دندنة الخزاعي وهو أحد سادات العرب تزوج بخالدة بنت هاشم بن عبد المطلب ، ولفاطمة أبيات رثاء كثيرة يتمثل بها العرب . جاء في شاعرات العرب ، ص١٦٤ ، أنها من صحابة الرسول (f) .

(٣) الأشباه والنظائر : الخالديان ، ١٤٣/١ . وفي شعراء أُمويون : دراسة وتحقيق نوري حمودي القيسي ، ص٢٣٨ ، نُسِبَ البيت الى شبيب بن البرصاء .

(٤) شعر الخنساء ، ص١٧١ .

(٥) المرأة في الشعر الجاهلي ، ص٢٨٢ .

(٦) المصدر نفسه ، ص٢٩١ .

الشاعرة الموهوبة في هذا الميدان))[١] .

وربّ قائلٍ يقول : ان ذلك الرأي قد يصحُّ على الخنساء دون غيرها من الشواعر لما تتقدم بهِ عليهن من عظمة الشاعرية ، ولكنّ هذا القول يُرِدَّهُ إنّنا إذا حكمنا على قصائد الخنساء بالجودة كان من الأولى أن نطلق صفة الجودة تلك على الأبيات التي نُسِبَتْ الى هند بنت عُتبة وهي :

منْ حَسَّ لي الأخوين كالغصنين أو مَنْ رَاهُمَا
أخَوَينِ كالصّقْرَينِ لَمْ يَرَ ناظرٌ شَرْوَاهُمَا
قَرْمَيْنِ لايتظالما نِ ولاَ يُرَامُ حِماهُمَا
أبْكِي على أخويَّ والقَبرْ الذي وَارَاهُمَا

لأنها أبيات للخنساء وقد نُسِبَتْ الى هند بنت عتبة في ديوان الخنساء وفي شرح الديوان[٢] ، وإذا كانت هند قد ارتقت الى مصافِ الخنساء في الشعر بدليل إختلاط شعرها بشعر الخنساء ، لاسيما وقد صَعُبَ تمييزهُ مع العلم أن التمييز على أساس مقاييس الجودة التي عُرِفَتْ بها الخنساء دون غيرها من الشواعر كان لابد أن يكون أمراً سهلاً . فإن ذلك قد يُرشح أبيات هند بنت عتبة الى حمل سمات أدب الخنساء علماً أن هند تتساوى في أدبها مع كثير من الشواعر آنذاك .

ولعله استنتاجاً يفتقد الى الدِّقة - ولكن الباحث لم يجد بأساً من أن يطرح فكرةً قد راودتهُ أثناء عرضهِ المادة ومزاوجتها -

ومن خلال عرضنا هذا نتساءل هل الطول لازم في الشعر ؟ وهل هو من خصائص الجودة الفنية التي يحكم بها على شاعرٍ دون آخر ؟

ربما لانستطيع أن نستخلص من ذلك نظرية مبنية على أُسس واعتبارات فنية لاشكلية ، لأن أحكام النقاد القدامى والمحدثين تظل ذاتية شخصية وتختلف من ناقدٍ الى آخر وفي قول ابن رشيق مصداقٌ لما ذهبنا إليه حيث يقول : ((المُطيل من الشعراء أهْيَبُ في النفوسِ من الموجِزِ وإن أجلا))[٣] .

(١) المصدر نفسه ، ص٢٩١ .
(٢) ينظر ديوان الخنساء ، ص١٠٦ . وينظر شرح ديوان الخنساء ، ص٨٨ .
(٣) العمدة ، ١٨٧/١ .

الخاتمة

هذهِ رحلتنا الأدبية النقدية مع أديبات القرن الأول الهجري تجلو لنا صوراً عن أغراضهن الشعرية وفنونهن النثرية ، وتبرز لنا جانباً من آراء النقاد والباحثين حول أدب المرأة وأدب الرجل ، وقدرة المرأة على مجاراة أدب الرجل فيما لو توفرت لها الظروف الأجتماعية والثقافية وأُتيحت لها الفرص لكشف قدراتها وقابلياتها .

أمّا قيمتها الفنية فتكمن في أن الباحث اللغوي أو المؤرخ الأدبي لا يمكنه أن يتركها لأنَّها ظاهرة واقعة دخلت اللغة شعراً ونثراً ، ويمكنهُ أن يُفيد ممّا وَرَدَ فيها من ألفاظ ومفردات وأساليب ومصطلحات فيُحدِّد معالمها ودلالاتها ويتتبَّع تطورها الأدبي التاريخي ، لذا كان من متممّات حُرصي على إفادة الباحثين في هذا المجال اِنّي قد حقّقت النصوص الشعرية والنثرية مُبيِّنَة لكلٍ منها مصادرهُ الدراسية مُحدِّدة ذلك بالجزء والصفحة لتُعين من يُريد أن يخوض غُمار البحث أن يُكمِل ما بدأتُ بِهِ ويُضيفَ الى ماقدَّمته ما قد يُغني المكتبة العربية من جديد الدراسة .

أمَّا ما كانَ لي من هذهِ الرحلة الطويلة المُضنية فهذا القُطاف الذي أحسِبُهُ ناضجاً :

١ - لقد تنوع حزن المرأة على فقيدها متخذاً أشكالاً من العاطفة قد تفاوتت تبعاً لتفاوت نفسية الشاعرة نفسها وموقفها إزاء المرثي ، وهو أمّا أن يكون رثاءً شخصياً كرثاء الأبناء والإخوان والآباء والأزواج والأقارب ، أو رثاءً دينياً سياسياً متمثلاً بشخص الرسول والخلفاء من بعدِهِ .

٢ - يبدو أن الشواعر المسلمات قد اتخذن أُسلوباً في رثائِهن العائلي ورثاء رجال الدين والسياسة ، ذلك هو مزج الصفات الدينية بصفات المروءة والكرم والشجاعة وهذا يعني أن المعاني الجاهلية في الرثاء تصاحب المعاني الإسلامية الجديدة فحين يوصف الفقيد بأنّه شجاعٌ كريمٌ معطاء ، يوصف أيضاً بالتقوى والزهد والأيمان .

٣ - على الرغم من غلبة الآثار الجاهلية على أفكار أغلب الشواعر إلاّ أنّ مجيء الإسلام أثر بأفكارهِ ومبادئهِ عليها وجعلها ترتدي ثوب الإسلام وطابعه ، إذ تغيرت أحزان الشاعرة ونظرتها إزاء من فقدتهُ عمّا كانت عليه في عصر ماقبل الإسلام فلقد صقلت القيم الأسلامية أفكار الشواعر حتى استغلّن تلك القيم في شعرهن فجاء رثاؤهن ليتلاءم مع موقف دينهن الذي عمل على تقوية عزيمتهن والأرتقاء بأحاسيسهن ولاسيما في نظرتهن الى الموت نظرةً لاتخلو من الأيمان بالمصير الآخروي ومايتصل بالثواب والعقاب .

٤ - لم تغفل الشاعرة تضمين رثائها الهدف السياسي وإن لم تقصد إليه في أبياتها قصداً صريحاً ، كما أختلط بعضُه ببعض الأغراض الأُخرى كوصف مايصيبها من ذلّة وهوان إثر فقد المرثي أو العتاب الشديد لقاتلهِ أو الهجاء اللائم .

٥ - ثمة ظاهرة أُخرى في رثاء المرأة تجدر الأشارة إليها وهي أنّ الشاعرة لم

تبكِ بنات جنسها ولم ترثهن ، فما وجدنا بكاءً لأم أو أُخت أو بنت أو قريبة ولابدَّ أنَّ هناك عُرفاً إجتماعياً قاهراً قد حال دونَ ذلك .
٦ ـ ونظرةٌ في أبيات الغزل القليلة للمرأة في القرن الأول الهجري تطالعنا صورتان قد رسمتهما فيه إحداهما صورة الغزل العذري والذي أحتل مساحةً واسعةً من ديوان أشعار المرأة المسلمة التي تأثرت بالإسلام وتعاليمه فجاء غزلها مُتَّسِماً بالعِفّة وإمساك هوى النفس والحياء ، والأُخرى تتّسم بالصراحة والإباحيّة أحياناً فلا تجد الشاعرة في نظمهِ استحياءً أو خجل .
٧ ـ كما أنّ الشاعرة لم تجد بُدّاً من أن تجعل من موسم الحج فرصةً تغتنمها لتنظم أبياتاً من الغزل تعبر فيها عن مشاعرها وتلفت إليها الأنظار .
٨ ـ دخلت المرأة الحرب اللسانية المتمثلة بالهجاء ، ولأن الشواعر آنذاك كُنَّ ينقسمن على طائفتين من المسلمات والمشركات فقد أضحت الشاعرة المسلمة مدافعة بلسانها عن الدين الجديد هاجية المشركين ناصرة لدين الله ، وتقابلها الشاعرة المشركة التي لم تقلَّ شأناً في نُصرتها ودفاعها عن وثنيتها وهجاء المسلمين ومحاربة الدين الجديد فكان هجاءً دينياً ، أمّا الهجاء الشخصي فقد تتنفسُ فيه الشاعرة عمّا يخص حياتها من المنازعات والخصومات التي قد تحدث بين الأزواج أو غيرها ، وتجدر الأشارة الى أن الهجائين بنوعيهما لم تَعِبْ فيهما الشاعرة بالعيوب الخُلُقية ولم تضمن أبياتها الفحش ، ويبدو أنّ المرأة كانت أكثر شجاعةً في هجائها ولعل ذلك متأتٍ من أمنها من أن تؤخذ بما تقول .
٩ ـ لقد كان للمرأة الشاعرة في ذلك القرن نصيبٌ لابأس بهِ من شعر المديح الذي بدا متأثراً بقيم الدين الجديد من حيث المعاني والأهداف والأساليب قليلٌ منه كان سياسياً وأغلبهُ كان مديحاً شخصياً يبتعد عن الكذب والرياء ويكشف عن صدق عاطفة الشاعرة واتزانها بالقول وربما كان ذلك نتيجة عدم إيغال المرأة في التكسّب بالشعر ، إذ أنّها غالباً ماتبعد في مديحها عن المبالغة والنفاق حتى يصير أقرب الى الإعتدال والإنصاف .
١٠ ـ ساهمت المرأة في أغراضٍ شعريةٍ متنوعة فضلاً عن الأغراض التقليدية كأشعار الحماسة والفخر وأشعار ترقيص الأطفال وأشعار الحنين الى الأوطان وأشعار الإستعطاف وقد كان لأبيات الشاعرة في جميعها دورٌ بارزٌ ومميزٌ لأنها أغراضٌ بَدَتْ قريبةً منها وثيقة الصلة بها .
١١ ـ فضلاً عن أغراض المرأة الشعرية في القرن الأول الهجري ، كان لها نشاطٌ ملحوظ ومواقفٌ بليغة في فنون الآداب النثرية ، كالخطب بأنواعها المختلفة والكتب والرسائل وجودة التفصيل والتحليل في الوصف ، فضلاً عن دورها المتميز في النقد .
وعلى الرغم من كثرة الأديبات الناثرات إلاّ أنّ الشاعرات كُنَّ أكثر ، ولعلّهُ أمراً طبيعياً لن رواية الشعر وحفظهِ كانت أيسر والأتجاه إليهِ كان أسرع .
١٢ ـ أختلفت قطع المرأة النثرية من حيث الشكل والمضمون فمنها الطويلة ومنها القصيرة ومنها ما عالجت موضوعات سياسية أو أجتماعية أو دينية أو

أدبية ، ولكن أغلب خطب المرأة كانت دينية سياسية أجتماعية .
١٣ - من مظاهر التجديد في أدب المرأة في القرن الذي نحن بصددهِ أدب الوافدات على معاوية اللواتي كُنَّ من أنصار الإمام علي (□) وقد تمسكن بمذهبهن الديني السياسي والتزمنَ بعقيدتهنْ ومبدأهن وتفانينَ من أجلهِ ، وفن الرسائل الذي لم تتطرق إليهِ المرأة سابقاً وقد دعتْ إليه متطلبات الحياة الجديدة .
١٤ - فيما يخصُّ اللغة والأسلوب ، أثّر الإسلام بجوانبه الفكرية والإجتماعية والحضارية في الأديبة المسلمة وانعكس هذا الأثرَ في أدبها ، فقد تطورت أساليبها الإدبية حتى جاءت رشيقةً متّسمة بالعفوية الصادقة البعيدة عن التكلُّف والمبالغة ، وجاءت ألفاظها بسيطة سهلة تستمدها الأديبة من ألفاظ القرآن الكريم وتقتبس لبعض أبياتها الشعرية معانٍ من الآيات القرآنية .
١٥ - أمّا بالنسبة للموسيقى فيُلاحَظ كثرة الأوزان الخفيفة والضربات القِصار في أشعار المرأة ، وقد كان الترصيع والجناس قليلاً في شعرها آنذاك نسبةً الى الطباق - مع قلّتهِ أيضاً - وفي ذلك أشارةً الى عفوية الشاعرات في ذلك القرن في بناء صورهن الشعرية ، أمّا في النثر فلم تقصد الأديبة الى السجع كعنصرٍ أساس في قطعها النثرية كما في السابق ، وإنما سبيلهُ أن يأتي عفو الخاطر أو حُليةً يُزانُ بها الكلم .
١٦ - يسود الشعر النسوي آنذاك نمطان من الخيال عبّرت عنهما الشاعرة المسلمة أحدهما تقليدي يعتمد على الصور التي تأثرت بها الشاعرة عن شعر ماقبل الإسلام والاخر إسلامي ظهر بتأثير الإسلام ، أمّا قطع المرأة النثرية فقد بدت مستوحية صورها وأخيلتها من التشبيهات والصور القرآنية التي جاءت واضحة وسامية ومتزنة الخيال ، بعيدة عن المبالغة .
١٧ - ومن أهم ثمرات هذه الدراسة أنّها وضعتْ إحدى القضايا الفنيّة التي شهدت إختلافاً بين النُقّاد والباحثين محل المعالجة التطبيقية ، وهي قضية التمايز بين المرأة والرجل من حيث التكوين النفسي الإنفعالي وانعكاس ذلك على قدرتهما الفنية في التعبير . فقد أعتمدت الدراسة تحليل النصوص واستنطاقها ووضع بعض الآراء النقدية موضع الإختبار والتحقيق ، وعقد الموازنة على أساس المقياس الفنّي عند الطرفين لا على أساس المقياس الفسيولوجي لكليهما من حيث العاطفة والأسلوب والنفس الشعري ، دون تأثر بحكمٍ ما أو الأخذ بالأحكام العامّة .
لذا فقد خلصت الدراسة - بقدر ما من التثبُّت - الى عدم وجود فرق بين أدب المرأة وأدب الرجل ، بل هناك فقط أدبٌ جيد ، وإنْ وجِدَ فرقٌ فإنّهُ لايعزى الى طبيعةِ كلٍ منهما بل إنّهُ يرجع الى قدرةٍ فنية وجدت عند ذاك ولم توجد عند تلك ، وذلك بناءً على بعض الأحكام التالية :
أ - إنّ من الصعوبة أعتماد القدرة الفنية في التعبير عن العاطفة وسيلة للتمييز بين عاطفة الرجل والمرأة ، وإلاّ لماذا لم يعتمدها الباحثون والنُقّاد لتوثيق النصوص وتحقيقها ، ولماذا التناقض والحيرة في الآراء النقدية التي عقدت موازنة لذلك التمايز .

ب - صعوبة تمييز الأسلوب الأدبي بين المرأة والرجل كان وراء ما أثبتناه من نسبة نص شعري ما الى رجل ثم نسبته عند آخر لامرأة ثم عجز بعض الباحثين عن توثيق بعض النصوص الشعرية كونها لرجل أو لامرأة دون أن يجعلوا من الأسلوب فيصلاً في نسبةِ تلك النصوص .

ج - من الخطأ أن نجعل من القصيدة الطويلة شرطاً من شروط الإبداع والمقدرة الفنية الذي أنسحب على قصور المرأة فنياً ، لأنّ أحكام النُقّاد القدامى والمحدثين تظلُّ ذاتية شخصية وتختلف من ناقدٍ الى آخر بدليل ماتوصلنا اليه من منافسة الشاعرة أبرز الشعراء حتى أقتبسوا من معجمها ألفاظاً لأبياتهم ومن موسيقى أبياتها أنغاماً لها .

المصادر والمراجع

١ - القرآن الكريم .
٢ - إتجاهات الشعر في العصر الأموي ، صلاح الدين الهادي ، مطبعة المدني ، القاهرة ، ط١ ، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٦م .
٣ - أحاديث أم المؤمنين عائشة ، مرتضى العسكري ، مطبعة الحيدري ، بغداد ، ب.ت .
٤ - الأحاديث النبويّة في الأخلاق والإجتماع والمدنيّة ، حمدي عبيد ، المطبعة الهاشمية ، دمشق ، ط٤ ، ١٣٧٨هـ - ١٩٥٨م .
٥ - الإحتجاج ، أبو منصور أحمد بن علي الطبرسي ، تعليقات وملاحظات : محمد باقر الخرسان ، مؤسسة النعمان للطباعة والنشر ، بيروت - لبنان ، ب .ت .
٦ - أخبار أبي نؤاس تاريخه ، نوادره ، شعره ، مجونه ، لابن منظور المصري ، شرحه وضبطه : محمد عبد الرسول أبراهيم ، عني بجمعه ونشره : عباس الشربيني ، مطبعة الإعتماد ، مصر ، ١٣٤٣هـ - ١٩٢٤م .
٧ - الأخبار الموفقيات ، للزبير بن بكّار ، تح : سامي مكي العاني ، مطبعة العاني ، بغداد ، ١٣٩٢هـ - ١٩٧٢م .
٨ - الأدب في عصر النبوّة والراشدين ، صلاح الدين الهادي ، مطبعة المدني ، القاهرة ،ط٣ ، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م .
٩ - الأدب في موكب الحضارة الإسلامية ، مصطفى الشكعة ، دار الكتاب اللبناني ، بيروت ،ط٢ ، ١٩٧٤.
١٠ - أدب النساء في الجاهلية والإسلام ، محمد بدر معبدي ، مطبعة مكتبة الآداب المطبعة النموذجية ، ١٩٨٣.
١١ - الإستيعاب في معرفة الأصحاب ، لأبي عمر يوسف بن عبد الله بن عبد البر ، تح : علي محمد البجاوي ، مطبعة نهضة مصر ، الفجالة - القاهرة ، ب - ت .
١٢ - أسد الغابة في معرفة الصحابة ، عز الدين أبي الحسن علي ابن الأثير ، المطبعة الإسلامية بالأفسِت ، طهران ، ١٣٧٧هـ .
١٣ - الإسلام دين الفطرة ، عبد العزيز شاويش ، مطبعة الهداية ، ١٩٠٥.
١٤ - الأسلوب ، أحمد الشايب ، مكتبة النهضة المصرية ،ط٥ ، ١٣٥٨هـ - ١٩٣٩م .
١٥ - الأشباه والنظائر ، للخالديين أبي بكر محمد (ت ٣٨٠) وأبي عثمان سعيد (ت ٣٩٠ - ٣٩١) إبني هاشم ، تح : السيد محمد يوسف ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ، ١٩٥٨ .
١٦ - أشعار الترقيص عند العرب ، سعيد الدّيوه جي ، ١٣٨٦هـ - ١٩٦٧م .
١٧ - أشعار النساء ، لأبي عبيد الله محمد بن عمران المرزباني (ت ٣٨٤)، تح :

سامي مكي العاني ، هلال ناجي ، دار الرسالة للطباعة ، بغداد ، ١٣٩٦هـ - ١٩٧٦م .
١٨ - الإصابة في تمييز الصحابة ، لابن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢) ، تح : علي محمد البجاوي ، دار نهضة مصر للطبع والنشر ، مطبعة السنة المحمدية ، القاهرة ، ١٣٩٢هـ - ١٩٧٢م .
١٩ - أصول الشعر العربي ، د - س مرجليوث ، ترجمة : يحيى الجبوري ، مؤسسة الرسالة ، بغداد ،ط١ ، ١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م .
٢٠ - الأعلام ، خير الدين الزركلي ، مطبعة كوستاتسوماس وشركاه ،ط٢، ١٣٧٦هـ ١٩٥٦م .
٢١ - أعلام النساء افي عالمي العرب والأسلام ، عمر رضا كحالة ، المطبعة الهاشمية ، دمشق ، ١٣٥٩هـ - ١٩٤٠م .
٢٢ - أعلام النساء المؤمنات ، محمد الحسون ، أم علي مشكور ، دار الأسوة للطباعة والنشر ، إيران ، ط١ ، ب - ت .
٢٣ - الأغاني ، أبو الفرج الأصفهاني (ت ٣٥٦) ، تح : سمير جابر ، دار الفكر ، بيروت ،ط٢ ، ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩.
٢٤ - الأفكار والأسلوب ، أ : ف تشيتشرين ، ترجمة : حياة شرارة ، دار الشؤون الثقافية العامة للطباعة والنشر ، وزارة الثقافة والإعلام ، العراق - بغداد ، ١٩٦٤.
٢٥ - إلى الحياة ، حمدي عبيد ، المطبعة الهاشمية ، دمشق ،ط١ ، ١٣٧٥هـ - ١٩٥٦م .
٢٦ - إلمامة بالرجز في الجاهلية وصدر الإسلام ، شاكر الجودي ، مطبعة العاني ، ١٣٨٦هـ - ١٩٦٦م .
٢٧ - الإماء الشواعر ، أبو الفرج الأصفهاني ، تح : جليل العطية ، دار النضال للطباعة والنشر والتوزيع ، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م .
٢٨ - الأمالي ، أبو علي اسماعيل بن القاسم القالي البغدادي (ت٣٥٦) ، مطبعة السعادة ، مصر ، ط٣ ، ١٣٧٣هـ - ١٩٥٤م .
٢٩ - الإمامة والسياسة ، أبو محمد عبد الله ابن قتيبة الدينوري (ت ٢٧٦) ، تح : طه محمد الزيني ، مطابع سجل العرب ، ب.ت .
٣٠ - أمراء الشعر العباسي ، أنيس المقدسي ، بيروت ، ١٩٦١.
٣١ - أمُّ المساكين وأمُّ سلمة ، بإشراف : محمد أحمد برانق ، دار المعارف ، مصر ، ١٩٥٨.
٣٢ - أنباء نجباء الأبناء ، لأبي هاشم محمد بن ظفر الصقلي المكي ، مطبعة التقدم ، مصر ، ط١، ب.ت .
٣٣ - أيام العرب في الجاهلية ، محمد أحمد جاد المولى ، علي محمد البجاوي ، محمد أبو الفضل إبراهيم ، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه ، مصر ، ب - ت .

٣٤ - بحث في نقد الأدب العربي ، محمد بديع شريف ، مطبعة العلوم ، ط١ ، ١٣٥٢هـ - ١٩٣٤م .

٣٥ - البداية والنهاية ، أبو الفداء الحافظ ابن كثير الدمشقي (ت ٧٧٤) ، تح : أحمد أبو مِلحم ، علي نجيب عَطوي ، فؤاد السيد ، مهدي ناصر الدين ، علي عبد الساتر ، دار الكتب العلمية ، بيروت - لبنان ، ب - ت .

٣٦ - بسط سامع المسامر في أخبار مجنون بني عامر ، لابن طولون الدمشقي الصالحي ، تح : عبد المتعال الصعيدي ، مكتبة القاهرة ، ب - ت .

٣٧ - بلاغات النساء ، لابن طيفور أحمد بن أبي طاهر (ت ٢٨٠)، المكتبة الرضوية ومطبعتها الحيدرية ، النجف ، ١٣٦١هـ .

٣٨ - بناء القصيدة في النقد العربي القديم (في ضوء النقد الحديث) ، يوسف حسين بكّار ، دار الأندلس ، بيروت - لبنان ،ط٢ ، ١٩٨٢ .

٣٩ - بهجة المجَالِس وأنس المجُالِس وشحذ الذاهِن والهاجِس ، لابن عبد البر النمري القرطبي (ت ٤٦٣) ، تح : محمد مرسي الخولي ، مراجعة : عبد القادر القط ، دار الكاتب العربي للطباعة والنشر ، ب - ت .

٤٠ - البيان والتبيين ، أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ (ت ٢٥٥) ، تح : عبد السلام هارون ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ،ط١ ، ١٣٦٧هـ - ١٩٤٨م .

٤١ - بين الكتب والناس ، عباس محمود العقاد ، دار الكتاب العربي ، مطابع دار الغندور ، بيروت - لبنان ،ط١ ، ١٩٦٦.

٤٢ - تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والإجتماعي ، حسن إبراهيم حسن ، مطبعة السنّة المحمدية ، القاهرة ،ط٧، ١٩٦٥.

٤٣ - تاريخ الإسلام وطبقات المشاهير والأعلام ، شمس الدين بن عثمان الذهبي (ت ٧٤٨) ، عن نسخة دار الكتب المصرية ونسخة كمبريدج ، مطبعة السعادة ، مصر ، ١٣٦٧هـ .

٤٤ - تاريخ التمدن الإسلامي ، جرجي زيدان ، منشورات دار مكتبة الحياة للطباعة والنشر ، بيروت - لبنان ، ب.ت .

٤٥ - تاريخ الرسل والملوك ، لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري (ت ٣١٠) ، تح : محمد أبو الفضل إبراهيم ، مطابع دار المعارف ، القاهرة ، ط٢ ، ب.ت .

٤٦ - تاريخ العرب في الجاهلية وعصر الدعوة الإسلامية ، رشيد الجميلي ، مطبعة الرصافي ، بغداد ، ط٢، ١٩٧٦.

٤٧ - تطور الأساليب النثرية في الأدب العربي ، أنيس المقدسي .

٤٨ - التطور والتجديد في الشعر الأموي ، شوقي ضيف ، دار المعارف ، القاهرة ، ط٨ ، ١٩٥٩م.

٤٩ - التعازي والمراثي ، لأبي العباس بن محمد بن يزيد المبّرد (ت ٢٨٦) ، تح : محمد الديباجي ، مطبعة زيد بن ثابت ، دمشق ، ١٣٩٦هـ - ١٩٧٦م .

٥٠ - ثلاثون مؤمنة وصحابية كُنَّ مشاعلاً للنور ، محمد موسى أبو شرار ، دار البيارق ، بيروت - لبنان ،ط١ ، ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م .
٥١ - ثمرات الأوراق في المحاضرات ، تقي الدين ابن حجة الحموي ، تصحيح : أحمد سعد علي ، مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده ، مصر ، ١٣٧١هـ - ١٩٥٢م .
٥٢ - جمهرة أشعار العرب في الجاهلية والإسلام ، أبو زيد محمد بن أبي الخطاب القرشي ، تح : علي محمد البجاوي ، دار نهضة مصر للطبع والنشر ، مطبعة لجنة البيان العربي ، الفجالة - القاهرة ،ط١ ، ب.ت .
٥٣ - جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة ، أحمد زكي صفوت ، مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده ، مصر ،ط١ ، ١٣٥٢هـ - ١٩٣٣م .
٥٤ - جمهرة رسائل العرب في عصور العربية الزاهرة ، أحمد زكي صفوت ، مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده ، مصر ،ط١، ١٣٥٦هـ - ١٩٣٧م .
٥٥ - جمهرة نسب قريش وأخبارها ، للزبير بن بكّار ، تح : محمود محمد شاكر ، مطبعة المدني ، القاهرة ، ١٣٨١هـ .
٥٦ - حرمة المرأة في الأسلام وفضليات النساء ، علي الجمال ، مطبعة الغري الحديثة ، النجف ، ١٣٨١هـ .
٥٧ - الحنين الى الوطن في الأدب العربي حتى نهاية العصر الأموي ، محمد إبراهيم حُوَّر ، دار نهضة مصر للطبع والنشر ، دار العالم العربي ، ١٩٧٣م .
٥٨ - حول التعاليم الإسلامية ، عبد الأمير الجمري ، النجف ، ١٣٨٦هـ .
٥٩ - الحياة العربية من الشعر الجاهلي ، أحمد محمد الحوفي ، دار القلم ، بيروت ، لبنان ، ١٣٩٢هـ-١٩٧٢م .
٦٠ - خزانة الأدب وغاية الأرب ، لتقي الدين أبي بكر علي المعروف بابن حجة الحموي ، دار القاموس الحديث للطباعة والنشر ، بيروت ، ب.ت .
٦١ - خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب ، عبد القادر بن عمر البغدادي (ت ١٠٩٣) ، تح : عبد السلام محمد هارون ، دار الكاتب العربي للطباعة والنشر ، القاهرة ، ١٣٨٧هـ-١٩٦٧م .
٦٢ - الخطابة ، آرسطو طاليس ، تح : عبد الرحمن بدوي ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ، ١٩٥٩.
٦٣ - دائرة المعارف الإسلامية ، ترجمة : جماعة ، أُصدر بالألمانية والأنجليزية والفرنسية واعتمد في الترجمة العربية على الأصلين الأنجليزي والفرنسي ، ب - ت .
٦٤ - دراسات في الأدب الإسلامي ، سامي مكي العاني ، مطبعة المعارف ، بغداد ، ١٩٦٨م.

٦٥ - الدر المنثور في طبقات ربات الخدور ، زينب بنت علي فوّاز العاملي ، المطبعة الكبرى الأميرية ببولاق ، مصر ، ١٣١٢هـ.
٦٦ - دلائل الأعجاز ، عبد القاهر الجرجاني ، صححهُ وشرحهُ وعلّق عليه : أحمد مصطفى المراغي ، راجعه : محمد عبده ، محمد محمود الشنقيطي ، المكتبة المحمودية التجارية بمصر ، المطبعة العربية ، ط٢، ١٣٥١هـ .
٦٧ - دلائل الإمامة ، لأبي جعفر محمد بن جرير بن رستم الطبري ، منشورات المطبعة الحيدرية ، النجف ، ١٣٦٩هـ - ١٩٤٩م .
٦٨ - ديوان الأعشى الكبير ، شرح وتعليق : م. محمد حسين ، المطبعة النموذجية ، ١٩٥٠م .
٦٩ - ديوان امريء القيس ، شرحهُ وضبط نصوصهُ وقدَّم لهُ : عمر فاروق الطبّاع ، شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت - لبنان ، ب.ت .
٧٠ - ديوان حسان بن ثابت ، تح : حسن محمد الفاكهاني ، مطبعة الدولة التونسية ، ١٢٨١هـ .
٧١ - ديوان الحماسة ، لأبي تمّام حبيب بن أوس الطائي (ت ٢٣١) ، تح : عبد المنعم أحمد صالح ، دار الرشيد للنشر ، منشورات وزارة الثقافة والأعلام ، الجمهورية العراقية ، ١٩٨٠م.
٧٢ - ديوان الخنساء ، المكتبة الثقافية ، بيروت - لبنان ، ب - ت .
٧٣ - ديوان ذي الرمّة ، تح : عبد القدوس أبو صالح ، شرح : أبو نصر أحمد بن حاتم الباهلي ، مطبعة طربين ، دمشق ، ١٣٩٢هـ-١٩٧٢م .
٧٤ - ديوان سويد بن أبي كاهل اليشكري ، جمع وتحقيق : شاكر العاشور ، مراجعة : محمد جبار المعيبد ، دار الطباعة الحديثة ، البصرة ، ط١٩٧٢،١.
٧٥ - ديوان طرفة بن العبد البكري ، إعتنى بتصحيحه ونقله الى اللغة الفرنساوية مكس سلغسون ، طبع في مدينة شالون على نهر سون بمطبع برطرند ، ١٩٠٠المسيحية .
٧٦ - ديوان عنترة بن شداد ، تح : فوزي عطوي ، الشركة اللبنانية للكتاب للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، لبنان ، ط١ ، ١٣٨٨هـ - ١٩٦٨م .
٧٧ - ديوان الفرزدق ، تح : كرم البستاني ، دار صادر للطباعة والنشر ، دار بيروت للطباعة والنشر ، بيروت ، ١٣٨٠هـ - ١٩٦٠م .
٧٨ - ديوان كعب بن مالك الأنصاري ، تح : سامي مكي العاني ، مطبعة المعارف ، ط١، ١٣٨٦هـ-١٩٦٦م .
٧٩ - ديوان لبيد بن ربيعة العامري ، دار صادر ، بيروت ، ١٣٨٦هـ - ١٩٦٦م .
٨٠ - ديوان ليلى الأخيلية ، تح : خليل إبراهيم العطية ، جليل العطية ، دار الجمهورية ، بغداد ، ١٣٨٦هـ - ١٩٦٧م .
٨١ - ديوان النابغة الذبياني ، فارس صويتي ، دار الكاتب العربي ، بيروت ، ب .ت .

٨٢ - ربيع الأبرار ونصوص الأخبار ، تصنيف : محمود بن عمر الزمخشري ، تح : سليم النعيمي ، مطبعة العاني ، بغداد ، ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م .
٨٣ - الرثاء ، شوقي ضيف ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٥٥ .
٨٤ - رثاء الأبناء في الشعر العربي الى نهاية القرن الخامس الهجري ، مخيمر صالح موسى ، مكتبة المنار ، الزرقاء - الأردن ،ط١، ١٩٨١.
٨٥ - الرثاء في الشعر الجاهلي وصدر الإسلام ، بشرى محمد علي الخطيب ، مديرية مطبعة الإدارة المحلية ، بغداد ، ١٩٧٧.
٨٦ - روضة المحبين ونزهة المشتاقين ، شمس الدين أبي عبيد الله بن قيم الجوزية (ت ٧٥١)، تصحيح وتعليق : أحمد عبيد ، مطبعة الترقي ، دمشق ، ١٣٤٩ هـ.
٨٧ - رياض الأدب في مراثي شواعر العرب ، لويس شيخو اليسوعي ، مطبعة الآباء اليسوعيين ، ب.ت .
٨٨ - زهر الآداب وثمر الألباب ، لأبي إسحاق إبراهيم القيرواني (ت ٤٥٢)، تفصيل وضبط وشرح : زكي مبارك ، تح : محمد محيي الدين عبد الحميد ، دار الجيل للنشر والتوزيع والطباعة ، بيروت - لبنان ، ط٤ ، ١٩٧٢.
٨٩ - الزهراء فاطمة بنت محمد (f) ، عبد الزهراء عثمان محمد ، مطبعة النعمان ، النجف ،ط١، ١٣٨٨هـ - ١٩٦٩م .
٩٠ - الزهراء (□) في السُنّة والتاريخ ، محمد كاظم الكفائي ، مكتبة الأمين ، ١٩٥٢.
٩١ - سكينة بنت الحسين ، توفيق الفكيكي ، مطبعة المعارف ، بغداد ،ط٢، ١٣٩٩هـ ١٩٥٠م .
٩٢ - سكينة بنت الحسين ، عائشة عبد الرحمن بنت الشاطيء ، دار الهلال ، مصر ، ١٣٧٨هـ-١٩٥٨م .
٩٣ - سمير المؤمنات وأنيس الصالحات ، عبد الله بدران ، محي الدين بوابيجي ، دار الخير للطباعة والنشر والتوزيع ، دمشق - بيروت ، ط١، ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م .
٩٤ - سُنن ابن ماجه ، الحافظ أبي عبد الله محمد بن يزيد القزويني ابن ماجة (ت ٢٧٥) ، تح : محمد فؤاد عبد الباقي ، دار إحياء الكتب العربية ، عيسى البابي الحلبي وشركاه ، ١٣٧٢هـ - ١٩٥٢م .
٩٥ - السُنن الكبرى ، للحافظ الجليل بن أبي بكر أحمد بن علي البهيقي (ت ٤٥٨) ، مطبعة مجلس دائرة المعارف بحيدر باد الدكن ، الهند ، ط١ ، ١٣٥٦هـ .
٩٦ - السيدة سكينة إبنة الإمام الشهيد أبي عبد الله الحسين (□) ، عبد الرزاق الموسوي المقرّم ، مطبعة أمير ، قم ، إيران ، ط١، ١٣٧١هـ-١٤١٣هـ.
٩٧ - السيرة النبوية ، لابن هشام ، تح : مصطفى السقا ، إبراهيم الأبياري ، عبد الحفيظ شلبي ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده ، مصر ، ١٣٥٥هـ -

١٩٣٦م .
٩٨ - شاعرات العرب ، جمع وتحقيق : عبد البديع صقر ، منشورات المكتب الإسلامي ، ط١ ، ١٣٨٧هـ - ١٩٦٧م .
٩٩ - شاعرات العرب في الجاهلية والإسلام ، جمع وترتيب : بشير يموت ، المطبعة الوطنية ، بيروت ، ط١ ، ١٣٥٣هـ - ١٩٣٤م .
١٠٠ - شاعرات عربيات ، روحية القليبي ، الدار القومية للطباعة والنشر ، ب - ت .
١٠١ - الشاعرة العربية المعاصرة ، عائشة عبد الرحمن بنت الشاطيء .
١٠٢ - شرح خطبة عائشة أم المؤمنين في أبيها ، محمد بن القاسم الأنباري (ت ٣٢٧) ، تح : صلاح الدين المنجد ، دمشق ، ١٣٨٢هـ - ١٩٦٢م .
١٠٣ - شرح ديوان جرير ، محمد إسماعيل عبد الله الصَّاوي ، دار مكتبة الحياة للطباعة والنشر ، بيروت - لبنان ، ١٣٥٣هـ .
١٠٤ - شرح ديوان الخنساء ، لويس شيخو ، دار التراث ، بيروت ، ١٣٨٨هـ - ١٩٦٨م .
١٠٥ - شرح ديوان علقمة الفحل ، السيد أحمد الصقر ، المطبعة المحمودية ، القاهرة ، ١٣٥٣هـ - ١٩٣٥م .
١٠٦ - شعراء أمويون ، دراسة وتحقيق : نوري حمودي القيسي ، مطبعة المجمع العلمي العراقي ، بغداد ، ١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢م .
١٠٧ - شعراء الرسول ، وليد الأعظمي ، مطبعة أسعد ، بغداد ،ط١، ١٤١١هـ - ١٩٩٠م .
١٠٨ - الشعراء نقاداً ، عبد الجبار المطلّبي ، دار الشؤون الثقافية العامة ، وزارة الثقافة والأعلام ، ١٩٨٦.
١٠٩ - الشعر بين الواقع والإبداع ، صبيح ناجي القصّاب ، دار الحرية للطباعة ، بغداد ، ١٩٧٩.
١١٠ - الشعر الجاهلي خصائصه وفنونه ، يحيى الجبوري ، دار التربية للطباعة ، ب - ت .
١١١ - شعر الحرب في عصر الرسالة ، نوري حمودي القيسي ، دارالحرية للطباعة ، بغداد ، ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م .
١١٢ - شعر الخنساء ، تح : كرم البستاني ، مطبعة المناهل ، بيروت ، ١٩٥١.
١١٣ - شعر الخوارج ، تح : إحسان عاس ، دار الثقافة للطباعة والنشر ، بيروت - لبنان ، ١٩٢٣.
١١٤ - شعر الفتوح الإسلامية في صدر الإسلام ، النعمان عبد المتعال القاضي ، الدار القومية للطباعة والنشر ، القاهرة ، ١٣٨٥هـ - ١٩٦٥م .
١١٥ - شعر المخضرمين وأثر الإسلام فيه ، يحيى الجبوري ، طبع في مطابع الإرشاد ، بغداد ، ط١، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤م .
١١٦ - شعر النابغة الجعدي ، منشورات المكتب الإسلامي ، دمشق ، ط١،

١٣٨٤هـ-١٩٦٤م .
١١٧ - الشعر والشعراء ، لأبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة ، دار الثقافة ، بيروت - لبنان ، ١٩٦٤.
١١٨ - الشعر والغناء في المدينة ومكّة لعصر بني أميّة ، شوقي ضيف ، دار المعارف ، مصر ، ط٣ ، ١٩٧٦.
١١٩ - شهيرات النساء في العالم الإسلامي ، قدرية حسين ، المكتبة المصرية ، مصر ، ط١، ١٣٤٣هـ - ١٩٢٤م .
١٢٠ - صبح الأعشى في صناعة الإنشا ، لأبي العباس أحمد القلقشندي ، دار الكتب المصرية ، القاهرة ، ١٣٤٠هـ - ١٩٢٢م .
١٢١ - صحيح البخاري بحاشية السندي ، للمدقق أبي عبد الله محمد بن اسماعيل البخاري ، طبع بمطبعة دار إحياء الكتب العربية لأصحابها عيسى البابي الحلبي وشركاه ، ب.ت .
١٢٢ - صحيح الترمذي ، بشرح ابن العربي المالكي ، المطبعة المصرية بالأزهر ، ط١، ١٣٥٠هـ-١٩٣١م .
١٢٣ - الصراع بين القديم والجديد في الشعر العربي ، محمد حسين الأعرجي ، دار الحرية للطباعة ، بغداد ، ١٩٧٨.
١٢٤ - الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي ، جابر أحمد عصفور ، مطبعة دار نشر الثقافة ، القاهرة ، ١٩٧٤.
١٢٥ - طبائع النساء ، أحمد بن محمد بن عبد ربّه الأندلسي ، تح : محمد إبراهيم سليم ، مكتبة القرآن للطبع والنشر والتوزيع ، بولاق - القاهرة ، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.
١٢٦ - الطبقات الكبير ، تصنيف محمد بن سعد ، عُني بتصحيحه وطبعه : أدوارد سَخو ، مطبعة كاشن ، طهران ، ١٣٢٥هـ - ١٩١٢م .
١٢٧ - الطلاق أبغض الحلال الى الله، عز الدين السيد علي بحر العلوم ، النجف ، ١٩٨٨ .
١٢٨ - طوق الحمامة في الألفة والألاّف ، لابن حزم الأندلسي ، تح : صلاح الدين القاسمي ، طباعة ونشر دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ، ب - ت .
١٢٩ - الظاهرة الأدبية في صدر الإسلام والدولة الأموية ، إحسان سركيس ، دار الطليعة للطباعة والنشر ، بيروت ،ط١، ١٩٨١.
١٣٠ - عائشة بنت طلحة ، كمال بسيوني ، دار المعارف ، مصر ، ١٩٥٣.
١٣١ - العشّاق الثلاثة ، محمد زكي عبد السلام مبارك ، طبع بمصر الجديدة ، ١٩٤٤.
١٣٢ - العصر الإسلامي ، شوقي ضيف ، طبع بمطابع دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٦٣.
١٣٣ - العصر الجاهلي ، شوقي ضيف ، دار المعارف ، مصر ، ط٣، ١٩٦٠.
١٣٤ - عصر النبّوة ، إبراهيم نمير سيف الدين ، لبيد إبراهيم أحمد ، دار الطباعة

الحديثة ، البصرة ، ط١، ١٩٦٨.
١٣٥ - العقد الفريد ، لأبي عمر أحمد بن محمد بن عبد ربّه الأندلسي ، شرحه وضبطه : أحمد أمين ، أحمد الزين ، إبراهيم الأبياري ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ، ١٩٦٧.
١٣٦ - العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده ، لأبي علي الحسن بن رشيق القيرواني الأزدي (ت ٤٥٦) ، تح : محمد محي الدين عبد الحميد ، دار الجيل ، بيروت - لبنان ، ط٤ ، ١٩٧٢.
١٣٧ - عيار الشعر ، محمد بن أحمد بن طباطبا العلوي ، تح : طه الحاجري ، محمد زغلول سلام ، ١٩٥٦.
١٣٨ - عيون الأخبار ، لأبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (ت ٢٧٦) ، شرح وتعليق : مفيد محمد قميحة ، دار الكتب العلمية ، بيروت - لبنان ، ب - ت .
١٣٩ - الغزل في العصر الجاهلي ، أحمد محمد الحوفي ، دار القلم ، بيروت - لبنان ، ١٣٨١هـ-١٩٦١م .
١٤٠ - غزل النساء ، عيسى سابا ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ط١، ١٩٥٣.
١٤١ - فاطمة بنت الحسين (□) ، جعفر النقدي (ت ١٣٧٠) ، المطبعة الحيدرية ، النجف ،ط١، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤م .
١٤٢ - فاطمة الزهراء أم أبيها ، فاضل الحسيني الميلاني ، مطبعة الآداب ، النجف ، ب.ت .
١٤٣ - فاطمة الزهراء وترٌ في غِمد ، سليمان كِتّاني ، دار الصادق ، بيروت ، ط٢، ١٩٦٨.
١٤٤ - فاطمة الزهراء والفاطميون ، عباس محمود العقاد ، دار الكتاب العربي ، بيروت - لبنان ، ط٢، ١٩٦٧.
١٤٥ - الفتاة في ظل الإسلام ، غادة أحمد جابر ، دار التعارف للمطبوعات ، بيروت ، ١٣٩٦هـ - ١٩٧٦م .
١٤٦ - فتوح أفريقيا ، محمد الواقدي ، مطبعة المنار ، تونس ، ١٩٦٦.
١٤٧ - فتوح الشام ، لأبي عبد الله بن عمر الواقدي ، منشورات المكتبة الأهلية ، بيروت ، ط١ ، ١٩٦٦.
١٤٨ - فتوح اليمن المعروف برأس الغول ، مصر ، ١٣٠٥هـ .
١٤٩ - فجر الإسلام ، أحمد أمين ، دار الكتاب العربي ، بيروت - لبنان ، ط١٠، ١٩٦٩ .
١٥٠ - فصول في الشعر ونقده ، شوقي ضيف ، مطبعة المعارف ، مصر ، ١٩٧١.
١٥١ - فضائل آل الرسول (□) في المعقول والمنقول ، حسون ملاّ رَجي الدُلفي ، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات ، بيروت - لبنان ،ط١، ١٣٩٣هـ - ١٩٧٣م .
١٥٢ - فن الخطابة ، أحمد محمد الحوفي ، مطبعة الرسالة ، القاهرة ، ط٣ ، ١٣٨٢هـ -

١٩٦٣م .
١٥٣ - فن الشعر ، آرسطو طاليس ، تح : عبد الرحمن بدوي ، دار الثقافة ، بيروت - لبنان ، ط٢ ، ١٩٧٣.
١٥٤ - الفن ومذاهبه في النثر العربي ، شوقي ضيف ، دار المعارف ، القاهرة .
١٥٥ - قصة الحضارة ، ول ديورانت ، ترجمة : محمد بدران ، دار الجيل ، بيروت - لبنان ، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م .
١٥٦ - قضايا الشعر المعاصر ، نازك الملائكة ، مكتبة النهضة ، القاهرة ،ط٣ ، ١٩٦٧.
١٥٧ - الكامل ، لأبي العباس محمد بن يزيد المبِّرد ، تعليق : محمد أبو الفضل إبراهيم ، ب.ت .
١٥٨ - الكامل في التاريخ ، لأبي الحسن علي الشيباني المعروف بابن الأثير الملقب بعز الدين (ت ٦٣٠) ، إدارة الطباعة المنيرية ، مصر ، ١٣٥٦هـ .
١٥٩ - كتاب التعازي ، لأبي الحسن علي بن محمد المدائني ، تح : إبتسام مرهون الصفار ، بدري محمد فهد ، مطبعة النعمان ، النجف ، ١٣٩١هـ - ١٩٧١م .
١٦٠ - كتاب الصناعتين ، تصنيف : أبو هلال الحسن بن عبد الله العسكري ، تح : علي محمد البجاوي ، محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي وشركاه ، ط١، ١٣٧١هـ - ١٩٥٢م .
١٦١ - لسان العرب ، لأبي الفضل جمال الدين ابن منظور ، دار صادر للطباعة والنشر ، دار بيروت للطباعة والنشر ، بيروت ، ١٣٧٤هـ - ١٩٥٥م .
١٦٢ - لطائف المعارف ، لأبي منصور عبد الملك الثعالبي (ت ٤٢٩) ، تح : إبراهيم الأبياري ، حسن كامل الصيرفي ، دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي وشركاه ، ١٣٧٩هـ - ١٩٦٠م .
١٦٣ - ليلى الأخيلية وتوبة ، أبو الفرج الأصبهاني ، تح : كرم البستاني ، مطبعة المناهل ، بيروت ، ١٩٥٠ .
١٦٤ - المتخير من حديث رسول الله ، تخيره وشرحه وضبطه : جمال الدين الآلوسي ، مطبعة وزارة الأوقاف ، بغداد ، ١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م .
١٦٥ - مجددون ومجتّرون ، مارون عبود ، دار العلم للملايين ، مطبعة الكشاف ، بيروت ، ١٩٤٨.
١٦٦ - مجمع الأمثال ، لأبي الفضل أحمد المعروف بالميداني (ت ٥١٨) ، طبع بميدان الجامع الأزهر ، مصر ، ١٣٥٢هـ .
١٦٧ - المحاسن والمساويء ، إبراهيم بن محمد البهيقي ، تصحيح : محمد بدر الدين النعاسي الحلبي ، مطبعة السعادة ، ١٣٢٥هـ - ١٩٦٠م .
١٦٨ - محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء ، لأبي القاسم الراغب الأصبهاني ، دار مكتبة الحياة ، بيروت - لبنان ، ١٩٦١م .
١٦٩ - محاضرات في عنصر الصدق في الأدب ، محمد النويهي ، معهد الدراسات العربية ، القاهرة ، ١٩٥٩م .

١٧٠ ـ المحبّر ، لأبي جعفر محمد بن حبيب البغدادي (ت ٢٤٥) ، تصحيح : إيلزة ليختن شتيتر ، منشورات المكتب التجاري للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، ب.ت .
١٧١ ـ محنة فاطمة بعد وفاة رسول الله (f) ، عبد الله الناصر ، مؤسسة النبراس للطباعة والنشر والتوزيع ، النجف ـ العراق ، ١٤٢١هـ .
١٧٢ ـ المرأة بين البيت والمجتمع ، البهي الخولي ، مطبعة دار الجهاد ، مصر ، ب ـ ت .
١٧٣ ـ المرأة بين الفقه والقانون ، مصطفى السباعي ، مطبعة جامعة دمشق ، دمشق ، ط١ ، ١٣٨٢هـ ـ ١٩٦٢م .
١٧٤ ـ المرأة بين المادية والوجدان في الشعر العربي ، غالب الناهي ، مطبعة العاني ، بغداد ،ط١، ١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٨م .
١٧٥ ـ المرأة العربية في جاهليتها وإسلامها ، عبد الله عفيفي ، مطبعة المعارف ، مصر ، ط٢، ١٣٥٢هـ ـ ١٩٣٣م .
١٧٦ ـ المرأة في أدب العصر العباسي ، واجدة مجيد الأطرقجي ، دار الرشيد ، بغداد ، ١٩٨١.
١٧٧ ـ المرأة في الإسلام ، علي عبد الواحد وافي ، مطبعة العالم العربي ، القاهرة ، ١٩٧١.
١٧٨ ـ المرأة في أفق الأدب العربي ، داود سلّوم ، مطبعة السطور ، بغداد ، ١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م .
١٧٩ ـ المرأة في التصور الإسلامي ، عبد المتعال الجبري ، مطبعة الحضارة العربية ، الفجالة ، ١٩٧٥ .
١٨٠ ـ المرأة في حضارة العرب والعرب في تاريخ المرأة ، محمد جميل بيهم ، دار النشر للجامعيين ،ط١، ١٩٦٢ .
١٨١ ـ المرأة في الشعر الجاهلي ، أحمد محمد الحوفي ، دار نهضة مصر للطبع والنشر ، الفجالة ـ القاهرة ،ط١ ـ ١٩٥٤،ط٢ ـ ١٩٦٣، ط٣ ـ ١٩٨٠ .
١٨٢ ـ المرأة في الشعر الجاهلي ، علي الهاشمي ، مطبعة المعارف ، بغداد ، ١٩٦٠.
١٨٣ ـ المرأة في الفكر الإسلامي ، جمال محمد فقي رسول الباجوري ، دار الكتب للطباعة والنشر ، جامعة الموصل ، ١٤٠٦هـ ـ ١٩٨٦م .
١٨٤ ـ المرأة في القرآن ، عباس محمود العقاد ، دار الهلال ، القاهرة ، ب ـ ت .
١٨٥ ـ المرأة وحقوق الإنسان ، محمد جمال الهاشمي ، مطبعة الغري الحديثة ، النجف ، ١٣٨٠هـ .
١٨٦ ـ المرثاة الغزلية في الشعر العربي ، عناد غزوان إسماعيل ، مطبعة الزهراء ، بغداد ،ط١ ، ١٣٩٤هـ ـ ١٩٧٤م .
١٨٧ ـ المرجع في الحضارة العربية الإسلامية ، إبراهيم سلمان الكروي ، عبد التواب شرف الدين ، منشورات ذات السلاسل ، الكويت ، ط٢ ، ١٤٠٧هـ ـ

١٩٨٧م .
١٨٨ - مروج الذهب ومعادن الجوهر ، علي بن الحسين بن علي المسعودي (ت ٣٤٦) ، تح : محمد محي الدين عبد الحميد ، ب.ت .
١٨٩ - المستطرف في كل فن مستظرف ، شهاب الدين محمد بن أحمد الأبشيهي المحلي (ت ٨٥٠) ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده ، مصر ، ١٣٧١هـ - ١٩٥٢م .
١٩٠ - مسند أحمد بن حنبل ، لأحمد بن محمد بن حنبل ، المطبعة الميمنينة ، مصر ، ١٣١٣هـ .
١٩١ - مصارع العُشّاق ، لأبي محمدبن جعفر السرَّاج القاريء ، دار بيروت ودار النفائس للطباعة والنشر ، بيروت - لبنان ، ط١ ، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م .
١٩٢ - مضمون الرسائل الشعرية في الجاهلية والإسلام ، عدنان عبد النبي البلداوي ، مطبعة الأديب البغدادية ، ١٩٨٣.
١٩٣ - معجم الأدباء ، لياقوت الحموي ، مطبوعات دار المأمون ، مصر ، الطبعة الأخيرة ، ب.ت .
١٩٤ - معجم النساء الشاعرات في الجاهلية والإسلام ، عبد أ - مهنا ، دار الكتب العلمية ، بيروت - لبنان ، ط١ ، ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م .
١٩٥ - المعجم الوسيط ، إبراهيم مصطفى ، أحمد حسن الزيات ، حامد عبد القادر ، محمد علي النجار ، إشراف : عبد السلام هارون ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت - لبنان ، ب.ت .
١٩٦ - مقاتل الطالبيين ، لأبي الفرج الأصفهاني ، إشراف : إبراهيم الزين ، دار إحياء علوم الدين ، بيروت ، ١٣٨٠هـ-١٩٦١م .
١٩٧ - مقدمة إبن خلدون ، روجعت بمعرفة لجنة من الجامعيين ، مطبعة الكشاف ، بيروت ، ب.ت .
١٩٨ - مكارم الأخلاق ، رضي الدين أبي نصر الطبرسي ، تصحيح وتعليق : علاء الدين الطالقاني ، عنيت بنشره دار الكتب الإسلامية ، طهران ، ١٣٧٦هـ .
١٩٩ - من عيون الأخبار ، حمدي عبيد ، المطبعة الهاشمية ، دمشق ، ط٣ ، ١٣٧٦هـ ١٩٥٧م .
٢٠٠ - المُنمّق في أخبار قريش ، لمحمد بن حبيب البغدادي (ت ٢٤٥)، تصحيح وتعليق : خورشيد أحمد فاروق ، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد الدكن ، الهند ، ط١ ، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤م .
٢٠١ - منهاج البلغاء وسراج الأدباء ، لأبي الحسن حازم القرطاجني (ت ٦٨٤)، تح : محمد الحبيب ابن الخوجة ، دار الكتب الشرقية ، تونس ، ١٩٦٦م .
٢٠٢ - المهلكات من كبائر النساء ، أم الخير سَلمى بنت محمد ، دار الكتب العلمية ، بيروت - لبنان ، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م .
٢٠٣ - الموشى أو الظرف والظرفاء ، لأبي الطيب محمد بن إسحاق الوشّاء ،

تح : كمال مصطفى ، مطبعة الإعتماد ، مصر ،ط٢، ١٣٧٢هـ - ١٩٥٣م .
٢٠٤ - الموشح ، للمرزباني (ت ٣٨٤) ، تح : علي محمد البجاوي ، طبعة محمد حسين شمس الدين ، بيروت ، ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م .
٢٠٥ - نزهة الجلساء في أشعار النساء ، جلال الدين السيوطي ، تح : عبد اللطيف عاشور ، مكتبة القرآن للطبع والنشر والتوزيع ، بولاق - القاهرة ، ب .ت .
٢٠٦ - نساء أحبهم الرسول ، محمد الصايم .
٢٠٧ - نساء شهيرات ، مبارك إبراهيم ، دار المعارف ، مصر ، ١٩٥٢م .
٢٠٨ - النساء العربيات ، كرم البستاني ، دار صادر ودار بيروت للطباعة والنشر ، بيروت ، ١٩٦٤.
٢٠٩ - نساء لهن في التاريخ الإسلامي نصيب ، علي إبراهيم حسن ، مطبعة السعادة ، القاهرة ، ط٢ ، ١٩٦٣ .
٢١٠ - النساء المسلمات والتعليم العالي ، أنيس أحمد ، طبعة معهد الدراسات التخطيطية بالباكستان ، ١٩٨٤.
٢١١ - نساء نزل فيهن قرآن ، عبد العزيز الشناوي ، دار النصر للطباعة الإسلامية ، القاهرة ، ب - ت .
٢١٢ - النقد الأدبي الحديث ، محمد غنيمي هلال ، دار الثقافة ودار العودة ، بيروت - لبنان ، ١٩٧٣.
٢١٣ - نقد الشعر ، لأبي الفرج قدامة بن جعفر ، تح : كمال مصطفى ، طبع بنفقة مكتبة الخانجي بمصر ، ط١، ١٣٦٧هـ - ١٩٤٨م .
٢١٤ - النقد اللغوي عند العرب حتى نهاية القرن السابع الهجري ، نعمة رحيم العزاوي ، دار الحرية للطباعة ، العراق ، ١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م .
٢١٥ - النقد المنهجي عند العرب ، محمد مندور ، مطبعة نهضة مصر ، الفجالة - القاهرة ، ١٩٤٨ .
٢١٦ - نهاية الأرب في فنون الأدب ، أحمد بن عبد الوهاب النويري ، مطابع كوستاتسوماس وشركاه بالظاهر ، القاهرة ، ب .ت .
٢١٧ - الهجاء الجاهلي صورهُ وأساليبهُ الفنية ، عباس بيومي عجلان ، مؤسسة شباب الجامعة للطباعة والنشر والتوزيع ، جامعة الإسكندرية ، ١٩٨٥ .
٢١٨ - وحي الرسالة ، أحمد حسن الزيات ، دار نهضة مصر للطبع والنثر ، الفجالة - القاهرة ،ط٢، ١٩٥٣.
٢١٩ - وسائل الشيعة الى تحصيل مسائل الشريعة ، محمد بن الحسن الحُرّ العاملي ، المطبعة الإسلامية بطهران ، ١٣٨٢هـ.
٢٢٠ - الوساطة بين المتنبي وخصومه ، للقاضي علي بن عبد العزيز الجرجاني ، مراجعة : عبد المتعال الصعيدي ، تصحيح وشرح : أحمد عارف الزين ، مطبعة محمد علي صبيح وأولاده ، مصر ، ١٣٦٨هـ - ١٩٤٨م .
٢٢١ - وقعة صفين ، لنصر بن مزاحم المنقري (ت ٢١٢) ، تح : عبد

السلام محمد هارون ، دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي وشركاه ، القاهرة ، ط١ ، ١٣٦٥هـ .

الرسائل الجامعية :

١ - أثر المرأة في الحياة الإسلامية حتى نهاية العصر الراشدي ، علي كسار غدير الغزالي ، رسالة ماجستير في التاريخ الإسلامي مقدمة الى كلية الآداب ، جامعة الكوفة ، ١٩٩٧ .
٢ - الأمومة والبنوّة في الأدب العربي حتى نهاية القرن الأول الهجري ، انعام داود سلّوم ، رسالة ماجستير في اللغة العربية وآدابها مقدمة الى كلية التربية ، جامعة بغداد ، ١٩٩٠ .
٣ - شعر المرأة في القرن الأول الهجري أغراضه وميزاته الفنية ، شاكر محمود عبد علي ، رسالة ماجستير في اللغة العربية وآدابها مقدمة الى كلية التربية ، جامعة بغداد ، ١٩٨٩ .
٤ - الشعر النسوي في العراق مضامينه وخصائصه الفنية من الحرب العالمية الثانية حتى ثورة تموز ١٩٥٨، علي محمد حسين الخالدي ، رسالة ماجستير في اللغة العربية وآدابها مقدمة الى كلية الآداب ، الجامعة المستنصرية ، ١٩٨٨ .

المجلات والدوريات :

١ - الأهرام : حول أدب النساء ، د - سهير القلماوي ، ع ١٩٨٥/٣/١٠/٣٥٨٥٤
٢ - المجالس : حول الأدب النسوي ، مقابلات ، ع ١٩٨٥/٢/١٦/٧١٠.
٣ - المؤرخ العربي : شهيرات نساء العصر الأموي ، د - رمزية الأطرقجي ، ع١٩٨٠/١٥ .

البحوث والدراسات :

١ - صورة المرأة في الأدب العربي ، داود سلّوم ، ضمن بحوث حلقة دراسية نظّمها الإتحاد العام لنساء العراق في الفترة ١٠ - ١٢ نيسان ١٩٧٨بالتعاون مع جامعة السليمانية .